دكتور محمد خيري محمد علي

المدخل إلى الرفاهية الاجتماعية

دار النهضة العربية
٣٢ شارع عبد الخالق ثروت

المدخل إلى الرفاهية الاجتماعية

المدخل إلى

الرفاهية الاجتماعية

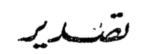
دكتور
محمد خيري محمد علي

كلية الآداب – جامعة القاهرة

فهرس

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم


تقدير

قد يرغب القارىء قبل اعتزامه مطالعة هذا الكتاب أن يعرف بادىء ذى بدء الإجابات على بعض الأسئلة البسيطة بخصوصه ، فهو يرغب مثلا فى معرفة الموضوع الذى يدور عليه ؟ وما الفرق بينه وبين غيره من كتب أسهمت فى توضيح فن الخدمة الاجتماعية؟

وليس من شك فى أن موضوع الكتاب من حيث أنه مدخل إلى الخدمة الاجتماعية يختلف بالضرورة عن كتب الخدمة الاجتماعية نفسها ، ولسنا نعنى بكلمة « المدخل » ما يعنيه بعض الكتاب بكلمة « المقدمة » ، وإنما نعنى أن الخدمة الاجتماعية لا يمكن الأخذ بها فى مجتمعنا الراهن دون تفهم لعدة حقائق نرى وجوب الأخذ بها أولا قبل تطبيق أساليب فن الخدمة الاجتماعية . فالمدخل إذن يعالج مبادىء أساسية ينبغى تحقيقها فى مجتمعنا . وتتلخص هذه المبادىء فى أن الرفاهية الاقتصادية أساس الرفاهية الاجتماعية ، وإن للرفاهية الاجتماعية سمات خاصة ينبغى توافرها بالأساليب التى أشرنا إليها فى صلب الكتاب ، ومتى تحققت هذه الرفاهية أمكن عند ظهور بعض المشكلات أو السمات المرضية اللجوء إلى الخدمة الإجتماعية إن المجتمع النامى فى حاجة إلى تحقيق مظاهر الرفاهية الاجتماعية أولا . كما أن الخصائص التى تتسم بها الدول التى قطعت شوطا كبيرا فى التقدم تختلف فى معظم الاعتبارات عن الخصائص التى تتسم بها الدول المتأخرة ، وفى المرحلة التى تسبق

عملية البدء فى التغيير تحتاج هذه الدول إلى محو الأمية عن معظم سكانها ووقايتهم من الأمراض المتوطنة التى تفتك بهم وتقلل من جهودهم وتعقدهم عن فعاليتهم واستغلال طاقتهم إلى الحد الأمثل ، وتحتاج قبل هذا كله إلى تنمية إقتصادياتها فى الصناعة عن طريق الإنشاء والخلق والتنمية وفى الزراعة عن طريق زيادة الرقعة الصالحة واستغلالها إلى أقصى حد يفرضه العلم .

تحتاج الدول النامية إذن إلى تغيير المخلوقات البائسة المحرومة من الهواء النقى والذين لايلبسون إلا الخرق ولا يأكلون إلا التافه ويقضون شبابهم فى بؤس وحرمان: وجوه مصفرة وعيون غائرة وأجسام هزيلة وخدودنائية ، وقد أهملت تربيتهم الخلقية والعقلية والروحية والجسمية ، يحتاج أبناء هذه الدول إلى غذاء وكساء ومسكن وتعليم وتربية ورعاية صحية ، وفى عبارة واحدة تحتاج إلى الرفاهية الاجتماعية بالمعنى الذى أشرنا اليه فى هذا الكتاب . وما أن تتحقق هذه الصورة عن طريق الجهد والعرق والعمل ، عن طريق العلم الذى يضع أسس التخطيط الاقتصادى والاجتماعى ، حتى يصح كيان المجتمع ، ويسلم بناؤه وتتحدد معالم نظمه أى وظائفه ، وتبرز سمات ثقافته المادية واللامادية ، نقول وما أن تتحقق هذه الصورة حتى يخضع لناموس المجتمع السليم الذى لا يفتأ أن تظهر فيه بعض علامات المرض ولكنه مرض المجتمع السليم القوى البناء ، لا مرض المجتمع الفقير الضعيف التركيب الهزيل النظم . ومن ثم قد تبدو هذه العلامات أو السمات فى انحراف

بعض الأفراد أو عدم تكيفهم وتوافقهم أو تصدع بعض الأسر لأسباب تحتاج إذن إلى دراسة شاملة تشير فى نتائجها إلى الإفادة من فنون الخدمة الاجتماعية .

والخلاصة أن الرفاهية الاجتماعية مطلب أول لمجتمعنا النامى الذى فرضت عليه العوامل السياسية والظروف الاقتصادية أن يتخلف عن ركب الحضارة .


مقدمة

عمل الباحث الاجتماعى العلمى هو إيجاد الصلة بين عمله وبين الحاجات العميقة التى يحس بها أفراد الجماعة لتحقيق حياة أفضل من الناحيتين المادية والروحية . وكثير من المشتغلين بالدراسات الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة على وعى بالفرق بين البحث الاجتماعى العلمى والبحث الاجتماعى العملى . وقد أوضحت الأستاذة بولين يونج فى كتابها المسوح والبحوث الاجتماعية العلمية هذا الفرق ، فذكرت أن البحث الاجتماعى العملى يهدف إلى إبراز المشكلات الواقعية بصورة تمكن المجتمع من التعرف على أوجه حلولها بشكل يتفق والإمكانيات القائمة ، وهو يعتمد فى ذلك على المسوح التى تجرى على موضوعات خاصة وعلى البيانات الإحصائية . أما البحث الاجتماعى العلمى فيختلف عن ذلك اختلافا أساسيا من حيث إن له منهجا معينا يكشف عن أشياء جديدة ويتحقق من فروض معينة ويلاحظ طبيعتها وعلاقاتها المشتركة واستقراء العوامل المصاحبة التى تربط بينها وبين القوانين المنظمة لها . وكثير من العاملين فى ميدان البحث الاجتماعى العلمى يحاولون الدعوة إلى الاكتفاء بمجرد الدراسة الوصفية ، أى الدراسة التى تقتصر على التشخيص ومعرفة سمات أو معالم الظاهرة أو الناحية موضوع البحث ، ولسنا ننكر أن ذلك مرحلة أولى للبحث الاجتماعى العلمى ، ولكن خطورة الوقوف عند هذه المرحلة دون تعديها إلى مرحلة التحليل والتفسير والكشف عن العلاج بدعوى أننا لازلنا فى مرحلة التفهم والكشف عن العوامل المصاحبة أو المؤدية إلى الظاهرة ، تقول إن هذه الدعوة إلى الاكتفاء بمجرد الوصف شل للحركة العلمية الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة وبعد عن المشاركة الإيجابية فى مرحلة البناء والانطلاق والعمل . ونحن نرجع دعوة هؤلاء الدعاة إلى الجهل بأمرين : الأول جهل بتاريخ التفكير العلمى ، والثانى جهل بتاريخ التفكير الفلسفى . ولسنا نقصد من ذلك أن ينقلب العالم الاجتماعى إلى فيلسوف اجتماعى قد ينأى عن جادة

البحث فى الواقع العملى ليحاول أن يتأمل أو يفلسف الوقائع الاجتماعية مجردة عن كل ظروفها العملية ، وإنما نعتقد أن الافتقار إلى بعض المسلمات الواضحة التى تقوم عليها هذه الوقائع، يؤدى إلى تعذر التحرر من ربق بعض المسوح التى لا تؤدى فى النهاية إلى شىء جديد . لابد إذن للباحث الاجتماعى العلمى من بعض المعطيات الفكرية ؛ والاعتماد على ما تكشفه اللقانة أو البصيرة من مسائل ليست فى حاجة فى حد ذاتها إلى زيادة إيضاح . ونحن نؤيد قول لويس فيرث من أنه « لكى نتمكن من إنماء وإيضاح معارفنا فى الحقل الاجتماعى لسنا بحاجة إلى تسهيلات مادية ولا إلى ألوان خاصة من التشجيع ولكننا بحاجة إلى مفكرين مزودين بالعبقرية والإرادة (١) .

واستنادا إلى هذا المنطق نقول إن الذين يتناولون فن الخدمة الاجتماعية بالدراسة لا يغيب عنهم ثلاث حقائق : الأولى أن مشكلة المجتمع المصرى هى مشكلة التخلف، وهى ليست من المشكلات التى يجدى معها فن خدمة الفرد بمعناه الغربى أو فن خدمة الجماعة بمعناه الذى يعتمد على الإفادة من الطاقات البشرية التى اطمأنت فى حياتها الواقعية بتوافر فرص العمل وتحقق دخل لائق يكفل لها الغذاء والكساء والمسكن والتعليم ، كما اطمأنت إلى حياتها المستقبلة بمختلف أساليب التأمينات الاجتماعية، أو فن تنظيم المجتمع بمعناه الذى تلقنه الجامعات الامريكية لأبنائها حيث توضح لهم أن تنسيق الخدمات التى تقدمها الهيئات الحكومية أو الأهلية يؤدى إلى الارتفاع بمستوى الخدمة وعدم تكرارها وتقليل نفقاتها وبذل الجهود المتضاربة فى أداء خدمات جديدة تحتاجها الجماعة.

وإذا كانت الخدمة الاجتماعية لا تستطيع وحدها كأسلوب عمل أن تنهض بالمجتمع المتخلف ، فرجع ذلك إلى أنها إنما تحقق التوافق والتكيف فى مجتمع متقدم حظى بمعظم الإمكانيات التى أسهمت فى رفع مستوى الجموح الأكبر من

---

(١) روجيه جيرو ، البحث الاجتماعى العلمى كأداة للتقدم الاجتماعى، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية ، ١٩٥٢ ، ص ١٠٧ .

السكان والهيئات والمجتمعات المحلية ، حتى إذا تخلفت فئة من الأفراد أو بعض الجماعات لجأ العلم إذن إلى الاستعانة بأساليبها .

وليس معنى ذلك أننا نقصر استخدام أساليب. فن الخدمة الاجتماعية على المجتمعات المتقدمة وحدها ، وإنما ينبغى الاستعانة أولا بمناهج الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية التى سنتحدث عنها فيما بعد بالإضافة إلى أساليب الخدمة . فالمسألة إذن مسألة أولويات ، ذلك لأن الفرق بين الفقر فى المجتمعات المتخلفة والفقر فى المجتمعات المتقدمة إنما هو فى الدرجة والشمول والدوام . فالفقر فى المجتمعات المتخلفة يشمل الجزء الأكبر من السكان ومعظمه من النوع الدائم ، وليس بالفقر العارض المؤقت كما هو عليه فى المجتمعات المتقدمة . ويصاحب الفقر غالبا سوء التغذية وحقارة المسكن وانعدام الوسائل الصحية والمرض والأمية ، والأمية الاجتماعية .

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى ما نعنيه بالتخلف . إنه ظاهرة مركبة وهى فى جوهرها ظاهرة اقتصادية سواء من حيث العوامل الرئيسية المسببة لها أو من حيث طبيعة النتائج المترتبة عليها ، ولكن تأثيراتها وتفاعلاتها تمتد مع ذلك إلى سائر جوانب المجتمع ، فتصيب بالركود والجمود والتأخر مقوماته السياسية والاجتماعية والثقافية والروحية . والمجتمع العربى اليوم فى حالة تخلف ، مجتمع ران عليه الجمود قرنا بعد قرن ، وأصاب التأخر مقوماته الاقتصادية فالقى بشعوبه فى غياهب من الفقر وما يتصل به وينبنى عليه من علل وأمراض . وتسبب ظاهرة التخلف عوامل متعددة ، بعضها اقتصادى وبعضها الآخر غير اقتصادى ، وإن كنا نميل إلى زيادة أهمية العامل الاقتصادى ، لأن ظاهرتى الرفاهية الاقتصادية وتخفيف وطأة المشاكل الاجتماعية وجهين لقطعة النقود الواحدة ومع ذلك فاننا نعترف بتفاعل جميع العوامل التى تساهم فى خلق مشكلة التخلف وفى تعقيدها واستدامتها ، فإن جميع مظاهر السلوك الإنسانى وكل شىء آخر — فى دنيانا هذه — التى يسودها التغير الاجتماعى والمنظمات التى تعتمد كل منها على الأخرى تنزع لأن تتفاعل معا ، ولا نستطيع بعد الآن أن ننظر للمشكلات الاقتصادية والسياسية الأساسية كأمور إقتصادية وسياسية فحسب ، أو ننظر لمشاكل الحضر والريف والجماعات والأسرة

كأمور لها أهمية تنظيمية محصورة فى مجال ضيق مصطنع الحدود ، ونزعة التحليل فى المجتمع يعارضها بالمثل اتجاه آخر نحو التنظيم ، يدعو لدراسات الوحدة المصفاة كجزء فى وحدة وظيفية كلية (١) وبعبارة أخرى فان النظم القانونية والاجتماعية والثقافية التى تنشأ فى ظل كيان اقتصادى بعينه ، مرتبطة بأسسه ومقوماته، منظمة لأسلوبه وعلاقاته ؛ كثيرا ما تتخلف حينا عن الاستجابة لتغيرات، ذلك الكيان ، ومن ثم لا تلبث حتى تصبح عائقا له عن التطور والنمو ، فيرتبط ذلك الكيان المتطور بطبيعته بعجلة تلك النظم الجامدة المقيدة ، يرتطم بها كلما تحرك خطوة إلى الأمام فلا يستطيع منها فكاكا . ولذلك نطالب بدراسة التاريخ الاجتماعى والحضارى العام لمجتمعنا فهى ضرورية لتفهم ما يسوده الآن من نظم .

ومن المسلمات أن عالمنا يتطور تطورا سريعا ، والمعايير الخلقية تتبدل فيه من يوم لآخر ، والأفكار تختمر باستمرار وتغلى غليان المرجل ، ولم يعد يصح أن يقال إن أى نظام اجتماعى راسخ رسوخ الراسيات ، فالاختراعات الجديدة تتوالى بسرعة يضطرب معها كيان الفرد وكيان المجتمع ، وقد تكون هذه المظاهر أكثر بروزا فى العالم العربى ، ولكن تقدم وسائل الاتصال الجمعى لم تدع لمجتمعنا المتخلف فرصة أن يفلت من عملية التطور ، وهكذا فان أثر التغيرات قد كون مشكلة اجتماعية اهتم بها علماء الاجتماع فى مصر إلى حدما

ولم تكن المشكلة فى مجتمعنا قاصرة على التفاوت فى الدخول بين الأفراد والطبقات وإنما تفاوت بين مناحى الفكر والاتجاهات والنزعات بين أفراده ، تفاوت فى النظرة إلى الحياة وغاياتها ووسائلها المشروعة مما يعقد مهمة المشرع أو المصلح الاجتماعى ، بل مما قد يجعل نقطة البدء فى أية حركة جديدة للإصلاح أن نعمل جاهدين للتقريب بين مختلف الأجيال التى يعاصر بعضها بعضا فى الوقت الحاضر (١) .

---

(١) سليمان حزين ، خطط الاصلاح الاجتماعى والاوضاع التاريخية والثقافية فى الشرق العربى ، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية ، ١٩٤٩ ، ص ٢٧ .

والواقع أن المجتمعات المتخلفة تميل فى كثير من الحالات نحو الاستقرار، وقد يرجع ذلك إلى أن الزعماء والمشرعين فى هذه المجتمعات يهدفون إلى المحافظة على تراث اجتماعى معين ويسترشدون بالتقاليد، والهدف من وراء ماسنوه من قوانين وما وضعوه من سياسات هو الابقاء عليها فى المستقبل. وفى بعض الأحيان كان هدف التطور الاقتصادى يرفض رفضا باتا إيثاراً منهم للاستقرار الاجتماعى. وقد يكون من الصعب أن تتصور وجود فكرة مناهضة للتغير الاجتماعى والتقدم الاقتصادى أكثر من تلك الفكرة. وطبقا للستويات التى شكلت على أساسها هذه المجتمعات، فانها لابد أن يحكم عليها بالنجاح والكفاءة إلى الحد الذى يجعلها تتمسك بالروتين الخاص بها وترفض تكييف نفسها بما يتمشى مع العالم الحديث. ونستطيع أن نقول: إن وجوه الروتين السائدة فى هذه المجتمعات المتأخرة تعتبر معتادة وتقليدية، فأفراد هذه المجتمعات وهم يشكلون مئات الملايين من صغار الحرفيين والتجار، وخاصة الفلاحين، قد أخذوا على عاتقهم مهمة القيام بنفس الأعمال التى قام بها آباؤهم من قبل بل وبنفس الطريقة التى كانت تؤدى بها هذه الأعمال. وينظر هؤلاء الأفراد إلى المخترعات نظرة ملؤها الشك والريبة والكراهية. وفضلا عن ذلك فان هذه المجتمعات تتبع فى الحاضر والمستقبل نفس الأساليب التى كانت سائدة فى الماضى. لذلك نجد أن عملية التطور أو التغير تتطلب حثهم على التحرك بطريقة أسرع من ذلك، وفى اتجاهات جديدة، الأمر الذى يحتاج إلى قدر ضخم من الجهد أو المبادرة أو الاندفاع [1].

إن معظم سكان الجمهورية العربية يعيشون فى الريف ومن حقائق علم الاجتماع الريفى أن الزراعيين يتمسكون فى العادة بالتقاليد؛ فضلا عن بطئهم فى التعلم والإدراك، والواقع أن ضغط الفقر والجوع لايحرك عندهم ساكنا على الدوام كما اتضح ذلك من سلوك الزراعيين فى أكثر مناطق آسيا اكتظاظا بالسكان.

---

(1) هـ. كاما، «الحاجة الى الرعاية الاجتماعية فى مشروعات التنمية الاقتصادية فى البلاد العربية»، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية، ١٩٥٤، ص ٥١.

والحقيقة الثانية هي أن المجتمع المصرى فى تغير ، ويشمل هذا التغير نظامه الاقتصادى[1] والثقافى والاجتماعى والسياسى.

ولا يمكن إزاء حقيقة التغير هذه أن نبدأ بمشروع إصلاحى أو سن قانون أو أداء خدمة بعينها دون بحث ماناله هذا التغيير من سمات وظواهر ونظم وعادات وتقاليد أو بعبارة أدق ما نال البناء الاجتماعى والوظائف الاجتماعية والثقافية من تحول أو تغير . لابد إذن من دراسة شاملة للآثار التى ترتبت على مبادىء ثورة ٢٣ يوليه عام ١٩٥٢ ودعوة القومية العربية وموقف الحياد الإيجابى وعدم الانحياز والوحدة الوطنية . ما هى الآثار التى ترتبت على مبادىء الثورة باعتبارها ركيزة لتوجيه نشاط المجتمع وتغيير نظمه وأوضاعه ؟ ماهى آثار القضاء على الاستعمار وأعوانه والاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم وإقامة جيش وطنى وعدالة اجتماعية وحياة ديمقراطية سليمة ؟ ما هى الآثار التى ترتبت على الاشتراكية والديمقراطية والتعاونية ؟ ماهى آثار التنمية الاقتصادية من حيث إنها تعنى زيادة الإنتاج وزيادة الدخل القومى واتساع مجال العمل وتوافر السلع اللازمة لاستهلاك الفرد فى حياته اليومية ؟ ما هى الآثار التى ترتبت على التصنيع من حيث إنه عامل قد أدى إلى تغيير البيئة الطبيعية والبشرية فى الدول التى سبقتنا فى التصنيع ؟ لقد أدت الصناعة فى هذه الدول إلى تغيير تركيب السكان ومهنهم وحاجاتهم ومستويات معيشتهم وطموحهم ، كما أنها ظاهرة صاحبها التحضر وظهور طبقة البروليتاريا . كما أدى العمل المنتظم فى المصانع إلى انفصال العال عن مجتمعهم التقليدى وإحساس العامل بشخصيته وكيانه ، ومن شأن شعوره باستقلاله وذاتيته ومسئوليته عن نفسه ، وأن ما يكسبه من أجر يعود عليه وحده أن يزلزل تمسكه بالعادات والتقاليد القديمة ، كما يهز قيمه الاجتماعية ومستويات طموحه . ان النظام الذى يسود قبل الصناعة يتغير تغيراً واسعا بعد الأخذ بالتصنيع بل أن منطقة الصناعة تصبح مدينة لها وحدتها القانونية والاقتصادية والاجتماعية . ذلك لأنها تضم أناسا كثيرين

---

(١) ريموند فروست ، المجتمع المتأخر ، الدار القومية للطباعة والنشر ترجمة عصمت عبد المجيد ، ص ٥٢ .

لهم سمات اجتماعية بارزة ، ويؤدى تجمع هؤلاء الأفراد فى هذه المنطقة المعلومة إلى إيجاد حكومة محلية خاصة بها تعمل على المحافظة على أمن مشروعاتها الاقتصادية المتعددة، وتعنى بمحاولة حل المشكلات التى قد يتعرض لها الأفراد والجماعات نتيجة وجودهم بها ومعيشتهم فيها معا . وباختصار ما هى سمات التغير من حيث أنماط المعيشة فى المأكل والمشرب والملبس والتنقل والعادات والتقاليد التى يخضع لها الأفراد فى علاقاتهم بعضهم ببعض ؟ ما هى طبيعة المشاكل الاجتماعية الناجمة عن هذا التغيير ؟ هل هى مشاكل ذات طبيعة داخلية كالمشاكل التى تتعلق بنظام الأسرة أو وظائفها ، مشاكل من حيث التركيب أو البناء ، أو مشاكل تتعلق بعلاقات الأفراد التى تتمثل فى المنافسة والصراع واللامبالاة ، أم هى مشكلات تتعلق بفيزيقية المنزل من حيث عدد الغرف والازدحام ، أم هى سمات ذات طبيعة خارجية كطريقة الحكم فى المجتمع وعلاقة الحاكم بالأفراد وعلاقة المجتمع بغيره من المجتمعات ؟

ونحب أن نشير هنا إلى أنه إذ لم تقترن التطورات الكبيرة التى تحدث الآن فى مجتمعنا فى ميادين الزراعة والصناعة بتنمية مساوية لها فى الرفاهية الاجتماعية فإن التقدم سينجح إلى ناحية واحدة ،وقد يؤدى إلى تجربة تقترن بالبؤس والفقر والأدواء والشرور الاجتماعية ، وينبغى أن ينظر للأموال التى تقترن على الصحة والتعليم ، على أنها مساهمة فى إنتاج المستقبل ، لا على أنها عبء يستنزف الدخل القومى .

وثمة حقيقة تضاف إلى ما أشرنا إليه وهى أن التصنيع فى حد ذاته ليس عصا سحرية قادرة على تحقيق المعجزات وانقاذ مجتمعنا المتخلف بأيسر الطرق ، فهو لايمكن أن يقترن بالنجاح إلا إذا قام على أساس تنظيم شامل يحقق النمو الاقتصادى المتوازن ويتلاءم معظروفنا الاجتماعية ، وهو لايعطى النتائج الطيبة إلا إذا اقترن بنشر الثقافةوتغيير العادات والتقاليد القديمةوالمفاهيم البالية وإصلاح ما يعتور بعض النظم الاجتماعية من فساد .

هذه الدراسات والبحوث التىأشرنا إليهالازمةلوضع برامجالانعاشالاجتماعى ،

فان النجاح فى تطبيق هذه البرامج يتوقف على تفهم صحيح للمشكلة ، ولقد كان العمل التجريبى الاصلاحى يباشر عادة قبل استكمال المقدمات وجمع المعلومات الضرورية له ، فيأتى بادىء الأمر بنجاح ظاهر ، لكنه لايحقق الشفاء ، زد على ذلك أنه قد يعرقل العمل الناجح المثمر . وليس هناك اليوم ما يبرر استعمال طرق الارتجال لمعالجة المشاكل الاجتماعية ، فإن شئنا إذن أن يكون برنامج الاصلاح ناجحا يجب أن يستند إلى معرفة الأوضاع التى يعمل فيها ، وأن يتضمن تقديراً علمياً للمشاكل التى ينوى معالجتها .

والحقيقة الثالثة هى أن المجتمع المصرى لا يجتاز الآن مجرد مرحلة تطور وإنما يجتاز مرحلة من مراحل التقدم يحتاج إزاءها إلى عمليات متعددة ، ولكى يجتاز المجتمع — أى مجتمع — مراحل التقدم لابد أن يحدد مفهوم التقدم فى معالم إطار مرجعى ؛ (إيديولوجية) .

ويمكن أن نلخص الايديولوجية العربية فى قسمين رئيسيين يتضمن الأول الدولة ونظام الحكم ويتضمن الثانى مقومات بناء المجتمع .

الدولة ونظام الحكم :

١ — الجمهورية العربية المتحدة دولة ديموقراطية إشتراكية دينها الإسلام ولغتها العربية تقوم على تحالف قوى الشعب العاملة (الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية) والشعب المصرى جزء من الأمة العربية .

٢ — الشعب مصدر السلطة وله السيادة .

٣ — الديموقراطية ليست مجرد ديموقراطية سياسية بل ديموقراطية اجتماعية تحقق حدا أدنى لمستوى المعيشة وترتبط بالاشتراكية .

٤ — الاتحاد الاشتراكى العربى تنظيم يمارس به الشعب سلطاته على صورة أقرب الصور الديموقراطية المباشرة واعتباره ضرورة حتمية لمباشرة الديموقراطية على أكمل صورها وأحسن تنظيم لها .

٥ — أجهزة الدولة وظائف عامة ذات اختصاصات فى نظام الحكم تمارس كواجبات عليها نحو الشعب صاحب الحق وترتبط بينها وبين القاعدة الشعبية .

٦ — الحكومة فى خدمة الشعب كهيئة تنفيذية للاتحاد الاشتراكى العربى .

٧ — للحكومة وظيفتها عن طريق التخصص واللامركزية والتوسع فى الوظيفة الاقتصادية لها .

٨ — أهمية اللامركزية المحلية واللامركزية الإدارية .

٩ — مجلس الأمة هيئة برلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى وله اختصاصاته فى نواحى التشريع والشئون المالية والرقابة والمشاركة فى التخطيط .

١٠ — القضاء هيئة مستقلة فى إدارة العدالة لسيادة القانون .

١١ — القوات المسلحة ملك للشعب ودورها حماية مكاسب النضال الشعبى وحماية البلاد .

مقومات بناء المجتمع :

١ — مقومات ذات صبغة اقتصادية :

(ا) النظام الاشتراكى أساس اقتصادى للدولة يمنع استغلال الإنسان للإنسان.
(ب) تكافؤ الفرص لكل مواطن فى نصيب عادل من ثروة وطنه .
(حـ) سيطرة الشعب على أدوات الإنتاج ورقابته الشاملة للقطاعين العام والخاص .

(ى) التخطيط الاشتراكى الكفء يوجه الاقتصاد القومى .
(هـ) التخطيط الشامل لعملية الانتاج والذى يستهدف زيادة الإنتاج وعدالة التوزيع .

(و) تحقيق أكبر قدر من الكفاية الإنتاجية باتباع الطرق العلمية والفنية وأحدث الوسائل فى الإدارة والتنظيم .

(ز) الملكية عامة وتعاونية وخاصة .
(ح) الملكية العامة لجميع الثروات الطبيعية .

(ط) حماية الملكية العامة ودعمها باعتبارها أساسا للنظام الاشتراكى .

(ى) للقطاع العام دوره فى التنمية الاقتصادية .

(ك) تشجيع التعاون ورعاية منشآته .

(ل) قيام الملكية الخاصة من مصدر مشروع تستخدم فى خدمة الاقتصاد القومى دون انحراف أو استغلال وحق الأرث مكفول بالنسبة إليها .

(م) تحديد الملكية الزراعية بما يمنع من قيام الاقطاع ويحقق زيادة عدد الملاك وحماية الملكية الصغيرة وكفالة اقتصاد قوى نشيط لها .

(ن) حماية الإدخار وتشجيعه .

٢ — مقومات ذات صبغة اجتماعية وهى :

(ا) الدين طاقة روحية للشعب تعمل على تحقيق المثل العليا للمجتمع وتحمى الدولة مزاولة الشعائر الدينية فى حدود النظام العام .

(ب) السلوك الفردى من ناحية الأخلاق والقيم الاشتراكية والمساهمة فى الخدمة العامة والارتباط بالجماهير أساس تقدير المجتمع وتقوم العلاقات بين الأفراد على أساس احترام الإنسان وحقوقه وحرياته.

(ح) الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق والوطنية وتكفل الدولة دعم الأسرة وتنظيمها وحماية الأمومة والطفولة .

(ء) رعاية الشباب وتوجيه هدف للمجتمع وتهتم الدولة بنمو الشباب البدنى والعقلى والخلقى .

(هـ) مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات .

(و) العمل حق وواجب وشرف ويهيئ المجتمع الظروف الملائمة لتأهيل المواطن للعمل ولإيجاد العمل المناسب له طبقا للكفاية والاستعداد . والعاملون الممتازون محل تقدير المجتمع .

(ز) المعاملة العادلة فى العمل وساعاته ووضع حد أدنى للأجور وتنظيم حق الراحة والاجازات .

(ح) كفالة خدمات التأمينات الاجتماعية وحق المعونة فى حالة الشيخوخة والمرض والعجز عن العمل أو البطالة .

(ط) الرعاية الصحية حق للمواطنين .

(ى) كفالة التعليم بمختلف أنواعه بهدف تحقيق مطالب الخطة الاقتصادية والمساهمة فى بناء المجتمع .

(ك) ضرورة وصول القرية إلى المستوى الحضارى للمدينة .

٣ — مقومات ذات صبغة سياسية وهى :

(ا) المساواة لدى القانون والمساواة فى الحقوق والواجبات .

(ب) للقيادات الشعبية دورها السياسى .

(ح) سيادة القانون الذى يجب أن يتفق مع أهداف المجتمع صياغة وتطبيقا وتفسيرا وتحقيق العدالة لكل مواطن من غير مواقع مادية أو عقبات إدارية .

(ى) دور النقابات والتنظيمات العمالية وحرية الاجتماعات وتشكيل الجمعيات.

(ه) حرية الرأى والبحث العلمى وتشجيع الكلمة والتعبير والنقد الذاتى والنقد البناء كضمان لسلامة البناء الوطنى .

(و) حرية الصحافة والنشر ووسائل الإعلام ودورها فى المجتمع الاشتراكى كأداة تعبير وتوعية ورقابة(١) .

وهكذا فى ضوء الفهم وعدم التحيز ومواجهة الواقع ، تبدو هذه الحقائق الثلاث : التخلف ، والتغير الشامل المترتب على ثورة اقتصادية وإجتماعية وسياسية والتقدم النابع من إيديولوجية محددة المعالم ومعتمدة على تراث وثقافة وماض وجغرافية معينة ، تبدو هذا الحقائق الثلاث أنها السمات التى ينبغى أن تكون بمثابة المقدمة أو المدخل لفهم هذه المجتمع ومشكلاته .

---

(١) استقى المؤلف هذه الايديولوجية من الاطار العام لمشروع الدستور الدائم والذى جاء بالصحف .

الباب الأول

المفـــاهيم

الرفاهية الاجتماعية ، الرفاهية الاقتصادية ، الرفاهية العامة

يشيع بين العاملين فى ميادين الشئون الاجتماعية عدة مفاهيم ، وقد اهتم علماء طرق البحث الاجتماعى بموضوع تحديد المفاهيم المستخدمة ويرجعون الوقوع فى الخطأ والغموض فى الفهم إلى عدم تحديد المفاهيم أو تعريفها تعريفا جامعا مانعا ، ويشرح فرانسيس بيكون (١٥٦١ — ١٦٢٦) فى كتابه «الأرجانون الجديد» بعض الأخطاء الشائعة التى كثيرا ما وقفت حجر عثرة فى سبيل البحث العلمى وجمعها فى أربع طوائف منفصلة هى :

أوهام الجنس ، أوهام الكهف ، أوهام السوق ، وأوهام المسرح ، ويهمنا أن نشير هنا إلى أوهام السوق ويراد بها تلك الأخطاء الناشئة عن التخاطب والتعامل مع الناس ومصدرها الأول اللغة وعجزها عن أداء المعانى على وجهها الصحيح ، وكم من كلمات غامضة وأخرى تدل على أشياء لا وجود لها[1] . وقد وضع ديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠) قواعده الأربع التى تتلخص فى ضرب من المران العقلى يراد به جمع أكبر عدد ممكن من الحقائق اليقينية والبحث عما بينها من صلات وروابط تمكننا من قياس بعضها على بعض . وهذه القواعد فى اختصار هى :

أولا : لانقبل مطلقا شيئا على أنه حق إلا إذا عرفناه كذلك فى وضوح بحيث لا يعرض له الشك فى الذهن بحال .

ثانيا : نقسم المشكلة التى نحن بصددها ما وسعتنا القسمة . وما فسح لنا ذلك السبيل إلى حلها على أحسن وجه .

---

(١) ابراهيم مدكور ، دروس فى تاريخ الفلسفة ، ص ١١٤ .

ثالثا : قيادة الأفكار بنظام مبتدئين بأبسطها ومنتهين بأكثرها تعقيدا .

رابعا : احصاءات تامة واستعراضات عامة بحيث نتأكد من أننا لم نغفل شيئا مما له صلة بالمشكلة المعروضة (١) .

وخلاصة القول أن واجب الباحث هو رفع الغموض وإزالة اللبس الذى يكتنف اللفظ ، بحيث يؤدى ذلك إلى إيضاح الفكر عن معنى شيء مبهم أو غير معروف كتعريفنا الإنسان بأنه حيوان ناطق والمثلث بأنه سطح مستو محاط بثلاثة خطوط مستقيمة متقاطعة وصفة ذلك أن يتضمن التعريف الصفات الذاتية العامة التى يشترك فيها المعرف مع غيره من الأنواع الأخرى والصفة الذاتية الخاصة به . فحيوان ناطق الذى هو تعريف للإنسان يحتوى على الصفة الذاتية العامة ، والصفة الذاتية الخاصة ، وسطح مستو محاط بثلاثة خطوط مستقيمة الذى هو تعريف للمثلث يحتوى على الصفة الذاتية العامة وهى السطح المستوى ، ومحاط الحد الذى هو الصفة الذاتية الخاصة . والتعريف بهذا الاسلوب تحليل تام لمفهوم اللفظ الدال على الشيء المراد تعريفه . ويطلق المناطقة على هذا التعريف، التعريف بالحد وهو أهم أنواع التعريف جميعا ، وأكثرها استعمالا فى العلوم المضبوطة كعلوم الرياضة والطبيعة والكيمياء ، بل هو الغاية القصوى من كل علم ، إذ مهمة كل علم كما أدركها أرسطو هى البحث فى الأشياء التى تقع فى دائرته بقصد معرفة صفاتها الذاتية وصفاتها العرضيه اللازمة ، وإذا عرف العلماء الصفات الذاتية للأشياء التى يبحثونها أمكنهم وضع حدود لها . ولكن التعريف بالحد أصعب أنواع التعريف لأنه يتطلب ملاحظة دقيقة ومقارنة بين أفراد المعرف ، وتحليلا لصفاتها المختلفة لمعرفة ماهو ذاتى منها فيؤخذ فى الحد وما هو غير ذاتى فيترك . والتميز بين الصفات الذاتية وغير الذاتية فى الأشياء من أصعب المشاكل التى يواجهها العلماء كما تقدم . زد على ذلك أن العلوم فى تطور مستمر وكثيرا ما تتغير وجهة نظر العلماء فيترتب على ذلك التغير ، اعتبار بعض الصفات الذاتية عرضية أو بعض الصفات العرضية ذاتية (٢) .

---

(١) ابراهيم مدكور ، المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٢) أبو العلا عفيفى ، المنطق التوجيهى ، مطبعة لاعتماد ، ١٩٣٨ ، ص ٤٠ — ٤٥ .

وسنحاول أن نلتزم هنا هـذه الحقيقة المنطقية ، ونعرف المفـاهيم الآتيـة : الرفاهية الإجتماعية ، الرفاهية الاقتصادية ، الرفاهية العامة ، الرفاهية العالمية .

الرفاهية

١ — الرفاهية الاجتماعية . ٢ — الرفاهية الاقتصادية .
٣ — الرفاهية العامة . ٤ — الرفاهية العالمية .

الرفاهية الإجتماعية Social welfare

التعريف : الرفاهية الاجتماعية هى : « حالة » تمس حيـاة الفرد والجماعة ؛ وتتحقق بمتعلقات « الحاجات الأساسية البيولوجية » للفرد وهى : الغذاء والكساء والمسكن ، كما تتضمن « الحـاجات الأساسية للحيـاة فى المجتمع » وهى : التعليم والتأمين الإجتماعى والرعاية الصحية ؛ وتظهر سمات هذه الرفاهية فى صورة : الخدمات الإقتصادية والإجتماعية المختلفة ، وفى التنظيم الإجتماعى كالأسرة واللغة والاقتصاد والتربية ، وتتشـكل فى مؤسسات تعليمية وجماعية وتعاونية وصحية ومصانع ونقابات .

ميادين الرفاهية الإجتماعية : تتضمن ميادين الرفاهية الإجتماعية ما يأتى :

١ — الحاجات الأساسية البيولوجية للفرد وهى :

(١) الغذاء .
(ب) الكساء .
(حـ) المسكن .

٢ — الحاجات الأساسية للحياة فى المجتمع وهى :

(١) التعليم .
(ب) التأمين الإجتماعى
(حـ الرعاية الصحية .

سمات الرفاهية الاجتماعية :

(ا) الخدمات الاقتصادية والاجتماعية .
(ب) التنظيم الاجتماعى لمكونات البناء الاجتماعى وهى :

(ا) الأسرة .
(ب) اللغة .
(حـ) الاقتصاد .
(ى) التربية .

وتتشكل الرفاهية الاجتماعية فى مؤسسات :

(ا) تعليمية .
(ب) اجتماعية .
(حـ) تعاونية .
(ى) صحية .
(هـ) مصانع .
(و) نقابات .

منهج الرفاهية الاجتماعية :

يمكن حصر أساليب الرفاهية الاجتماعية فيما يلى :

(ا) التخطيط الاجتماعى.
(ب) العمل المحلى .
(حـ) التخطط الإقتصادى.
(ى) توطين الصناعة .
(هـ) التعاون .
(و) فن الخدمة الاجتماعية
(ز) تنمية المجتمع .
(ع) التشريع الإجتماعى .

مقاييس الرفاهية الاجتماعية :

١ — مقياس ميلز وآلمار .
٢ — مقياس ميلر وفورم :
٣ — مقياس ثورنديك .
٤ — مقاييس بالنسبة لفئة العمال .
٥ — مقياس الرفاهية الاقتصادية .
٦ — مقياس الوحدة الاجتماعية .
٧ — مقياس معدل وفيات الأطفال والمواليد.
٨ — مقياس متوسط العمر .
٩ — مقياس ماينفق على الفرد من أنشطة الرفاهية الاجتماعية .
١٠ — مقياس أوزان الأطفال وأطوالهم .
١١ — ارتفاع مستوى التغذية (من حيث الحجم والكيف) .

ملحوظة : (أنظر هذه المقاييس وتفصيلها فى مقاييس الرفاهية الاجتماعية) .

١٢ — انخفاض معدل الخصوبة .
١٣ — انخفاض معدل الوفيات .
١٤ — ارتفاع نسبة التعليم .
١٥ — ارتفاع المستوى الاجتماعى للمرأة .

هدف الرفاهية الاجتماعية :

هدف الرفاهية الاجتماعية هو تحقيق « حالة » هذه الرفاهية . فالرفاهية الاجتماعية « حالة » و « هدف » كقولنا أن السعادة « حالة » من حيث أن لها سمات معينة تعمل الجهود البشرية لتحقيقها ، وهى « هدف» من حيث أن الجهود البشرية تبذل طاقتها للوصول إلى هذه « الحالة » .

الرفاهية الاقتصادية : Economic welfare

تعريف الرفاهية الاقتصادية :

هى ذلك الجزء من الرفاهية الاجتماعية الذى يتناوله المقياس النقدى بطريق مباشر أو غير مباشر ، ونقطة البدء فى دراسة اقتصاديات الرفاهية هى دراسة الرفاهية الاقتصادية للفرد فى مجتمع وهى بمثابة مقدمة تحليلية منطقية لما يجب أن يتلوها من دراسة لرفاهية المجتمع ، وتتوقف رفاهية الأفراد على كميات السلع والخدمات ومنافعها الاقتصادية ، كما هى « حالة » الدخل لمقابلة المطالب الضرورية للحياة .

ميادين الرفاهية الاقتصادية :

يتضمن مجال الرفاهية الاقتصادية ما يأتى :

(ا) الزراعة .
(ب) الصناعة .
(حـ) التجارة .
(ى) السياحة .

وتتلخص سمات الرفاهية الاقتصادية فيما يلى :

١ — ارتفاع نسبة السكان المشتغلين بغير الزراعة .
٢ — توافر العمالة .
٣ — زيادة نصيب الفرد من رأس المال العينى والدخل القومى .
٤ — قدرة الغالبية العظمى من السكان على الادخار .
٥ — كفاية الدخل لمقابلة المطالب الضرورية للحياة .
٦ — عدم تركيز الإنتاج الزراعى فى الحبوب والمواد الأولية .
٧ — كثرة إنتاج البروتينات وارتفاع نسبة تحويل الحبوب إلى منتجات لحومية .
٨ — عدم إنفاق معظم المصروفات على الغذاء والضروريات .
٩ — ألا يكون معظم الصادرات من المنتجات الأولية .

١٠ — زيادة نصيب الفرد من التجارة الخارجية .
١١ — يسر التسهيلات الائتمانية ووسائل التموين السليم .
١٢ — ارتفاع مستوى الاسكان .
١٣ — كبر حجم الحيازة الزراعية .

منهج الرفاهية الاقتصادية :

يمكن حصر أساليب الرفاهية الاقتصادية فيما يأتى .

١ — التخطيط الاقتصادى.
٢ — توطين الصناعة .
٣ — التعاون .
٤ — التنمية الاقتصادية .
٥ — التشريع .

مقاييس الرفاهية الاقتصادية :

١ — ارتفاع درجة التوطن الصناعى لأن ارتفاع نسبة السكان المشتغلين بالزراعة يرتبط بالفقر .

ملحوظة : وضع المؤلف مقياساً لدرجة التوطن الصناعى وهو :

$$\frac{\text{عدد عمال الصناعة من الذكور}}{\text{عدد أفراد القوة العاملة من الذكور}} \times ١٠٠$$ [1]

٢ — انخفاض نسبة البطالة . .
٣ — ارتفاع نصيب الفرد من رأس المال العينى والدخل القومى .
٤ — قدرة معظم السكان على الإدخار .

---

(١) محمد خيرى محمد على ، توطين الصناعة والرفاهية الاقتصادية والاجتماعية ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٥ ، ص ى .

٥ — زيادة السعرات الحرارية من البروتينات فى غذاء الأفراد .

٦ — ارتفاع نصيب الفرد من التجارة الخارجية .

٧ — ارتفاع مستوى الإسكان .

٨ — انخفاض معدلات الخصوبة ومعدلات الوفيات ، وارتفاع مستوى التغذية .

٩ — انخفاض نسبة الأمية .

هدف الرفاهية الاقتصادية :

هدف الرفاهية الإقتصادية هو تحقيق حالة الرفاهية الاجتماعية بالمعنى الذى أشرنا إليه . (أنظر تعريف وميادين ومنهج ومقاييس الرفاهية الاجتماعية) .

الرفاهية العامة : Public Welfare

تعريف الرفاهية العامة :

يمكن تعريف الرفاهية العامة بأنها حالة تحقيق الحد الأمثل من خدمات المرافق الأساسية للمواطنين ، وهى الخدمات التى تقدم فى ضوء أحدث ما انتهى إليه العلم الإنسانى والطبيعى .

ميادين الرفاهية العامة :

تتضمن هذه الميادين الموضوعات التالية :

١ — الرعاية الصحية .
٢ — التعليم العام
٣ — الرعاية الإجتماعية وتشمل :

(أ) رعاية الأسرة والطفولة .
(ب) رعاية الشباب .

٤ — التربية الإجتماعية .
٥ — الرعاية العمالية .
٦ — التعاونيات .

٧ — الإنشاء والتعمير أى :

(ا) المرافق العامة .
(ب) الإنشاءات .
(ح) التعمير .
(ى) الإسكان .

٨ — المواصلات :

(ا) السكك الحديدية .
(ب) طرق النقل البرى .
(ح) النقل الجوى .
(ى) النقل البحرى .
(هـ) النقل النهرى .
(و) البريد .
(ز) المواصلات السلكية واللاسلكية .

٩ — الأمن الداخلى ومن بين ما يتضمنه :

(ا) المرور .
(ب) مكافحة الحريق .
(ح) الدفاع المدنى .
(ى) السجون .

١٠ — الثقافة والاعلام وتشمل :

(ا) الثقافة الشعبية .
(ب) دور الكتب .
(ح) الإذاعة .
(ى) السياحة .

المنهج :

ينحصر أسلوب الرفاهية الصحية فى :

١ — الوقاية من الأمراض بجوانبها المتعددة المتشعبة .

٢ — تحسين البيئة ونشر الوعى الصحى بين المواطنين .

٣ — رفع مستوى الخدمات الطبية والصحية وتوفير أسباب الوقاية والعلاج لأفراد الشعب جميعاً .

٤ — مقاومة أمراض الجماعة وإنشاء المؤسسات العلاجية والوقائية .

٥ — وضع الأسس لمكافحة المرض وعلاجه .

٦ — مكافحة الأمراض المتوطنة .

٧ — مكافحة الأمراض الصدرية .

٨ — رفع مستوى الصحة الاجتماعية التى تهدف إلى العناية بالأمومة والطفولة وبالزواج الموجه ومحاربة الأمراض الوراثية والزهرية والجذام ورفع مستوى الأسرة ومحاربة الجهل .

٩ — البطاقات الطبية الشخصية وتثبت فيها كل التطورات الطبيعية والمرضية والنفسية التى قد تحدث للطفل منذ ولادته حتى إلحاقه بالخدمة العسكرية .

١٠ — المجموعات الصحية لرفع مستوى الصحة القروية .

١١ — إنشاء مؤسسات الصحة العقلية .

أما أساليب الرعاية الإجتماعية فهى :

١ — إنشاء المساكن الشعبية .

٢ — الضمان الأجتماعى .

٣ — التعاون .

٤ — رعاية شئون العمال .

٥ — المراكز الاجتماعية والوحدات المجمعة لإصلاح القرية .

٦ — تنظيم البر فى القطاع الأهلى .
٧ — التأهيل المهنى لذوى العاهات .
٨ — الإغاثة .

وأساليب رعاية الأسرة والطفولة هى :
١ — تنظيم الطلاق وتعدد الزوجات .
٢ — إنشاء مكاتب التوجيه الأسرى .
٣ — الرعاية الاجتماعية الأطفال عن طريق الأسر البديلة .
٤ — حل مشكلات الأسرة وتنظيم النسل .
٥ — حل مشكلات الطلبة المنحرفين وتوفير رعاية سليمة لهم .
٦ — رعاية ضعاف العقول والأطفال اللقطاء والضالين .
٧ — إنشاء مؤسسات المتسولين .

وأساليب التربية الاجتماعية هى :
١ — الفحص الشامل للمواطنين جميعاً من النواحى الطبية والنفسية والاجتماعية .

٢ — تشيع الفنون والحرف اليدوية الإقليمية والفنون الشعبية .
٣ — إنشاء الوحدات الترويحية المتنقلة .
٤ — شغل أوقات الفراغ .

مقاييس الرفاهية العامة :

الهدف : هدف الرعاية الصحية :
١ — خلق جيل سليم قوى متين وتوافر بيئة ينعم فيها أفرادالمجتمع بالرفاهية .

٢ — أما الأهداف التى ترمى إليها الدولة من نشر التربية الاجتماعية بين الشباب فهى[1] :

---
(١) الكتاب السنوى ١٩٥٩ ، الجمهورية العربية المتحدة ، مصلحة الاستعلامات ، ص ٥٩٧ .

(أ) أهداف التوجيه الثقافى : الاستفادة من وسائل وأماكن الثقافة ، تشجيع القراءة وتنظيمها ، تشجيع إنشاء الوسائل الثقافية والاهتمام بالثقافة اليومية وتشجيع الاستفادة من الثقافة العلمية وتشجيع الإنتاج الثقافى والاستماع .

(ب) أهداف التوجيه المهنى : قيمة الكفاية الإنتاجية والنفسية ، تنمية المهارات الفنية والصناعية ، تعريف المواطنين بوسائل شغل أوقات الفراغ بنشاط فنى ترويحى ، الوصول بالمجتمع فى شتى سنى حياة أفراده إلى درجة من المعرفة تعاونه على فهم بيئته وما تحويه من تراث فنى وترغيب النشء فى الهدايات الفنية بشتى فروعها وتمكين النشء من ممارسة ناحية من نواحى الفنون ممارسة عملية .

(ح) أهداف التوجيه الصحى : علاج الأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية وعلاج ومكافحة الأمراض المتوطنة والأمراض الصدرية وغيرها ، ومعالجة المشاكل النفسية للشباب ومكافحة المخدرات والمسكرات والمنبهات والمنومات ، ونشر الثقافة الصحية بين مختلف فئات الشعب .

* * *

الفصل الأول

مفهوم الرفاهية الاجتماعية

ظهر اصطلاح « الرفاهية الاجتماعية » أثناء الربع الثانى من القرن العشرين ، ومعناه : رفاهية المجتمع أى رفاهية الأفراد والأسر والمجتمعات المحلية التى يشتمل عليها هذا المجتمع ، ويستخدم هذا الاصطلاح استخداما واسعا بقصد تصنيف أهداف الحركات الاجتماعية التى كان الدافع اليها إعتبارات دينية وإنسانية وديموقراطية .

وقد بدأ الاهتمام بالرفاهية الاجتماعية فى المجتمعات البدائية فى صورة تبادل المساعدة ، ثم تطورت بتطور المسئولية التى ألقتها الديانات على عاتق الإنسان نحو إخوانه فى الإنسانية ، حتى وصلت إلى قمتها فى صورة الإحسان والمحبة الإنسانية التى دعا إليها الدين المسيحى فى القرنين التاسع عشر والعشرين[1] . وقد دعا أنبياء العهد القديم والعهد الجديد ومحمد (صلعم) إلى العدالة الاجتماعية ، كما دعا إلى الرفاهية الاجتماعية المصلحون الاجتماعيون الذين آمنو بأنها سبيل تغيير البناء الاجتماعى . واضطلعت الحكومات فى عهد الاصلاح بمسئولية أنشطة الرفاهية ، وبخاصة فى ألمانيا والدول الاسكندناوية وانجلترا والولايات المتحدة . ومن ثم فإن الاهتمام بالرفاهية الاجتماعية لا يرجع إلى العصر الحديث ، أو إلى

---

(1) Marcel Mauss, The Gift, Forms and Functions of Exchange in Archaic Societies, being a translation of Essai sur le don by Cunnison, London, Cohen and West, 1954, Introductory, p. 5.

المجتمعات المتقدمة وإنما تتلمس جذورها فى طبيعة الإنسان والمجتمع ، ثم اشتد هذا الاهتمام بفضل الدوافع الخيرية ، فى الإنسان . وقد جاء فى تقرير لهيئة الأمم المتحدة (١) أن أساس الأديان العظمى إدراك دائماً لواجب الأثرياء نحو من هم أقل حظا ، ثم نما دافع الإحسان الإنسانى والعطاء الشخصى حتى استقر مفهوم شامل جديد ، وهو ألا تقتصر رعاية الدول على شئون مجتمعاتها فحسب بل يجب أن تتسع حتى تشمل العالم بأسره .

وقد تجلت طبيعة الإنسان الخيرة بأخيه الإنسان إبان الحرب العالمية الثانية أثناء الحركات غير الظاهرة فى الدول الأوربية حيث كان أعضاء هذه الحركات ، يقدمون المعونة الطبية والطعام والمساعدة المالية والمأوى والبطاقات التموينية وفوائد أخرى يحتاجها المجاهدون الذين يبذلون جهودهم وأموالهم لمكافحة الأعداء وكانت هذه المعونات تتم غالبا بالمخاطرة بالنفس عن طريق أهالى الأفراد الذين قتلوا فى حرب العصابات أو الطيارين الذين فقدوا ، أو جنود من القوات المسلحة يحاربون لتحرير أوطانهم . وعندما استقرت هذه النواحى الاجتماعية المختلفة ، أصبح لها تاريخ يتضمن العقبات التى تعترض تحقيق الأهداف ، فتحققت الصحة عن طريق التغلب على المرض ، كما تحققت العدالة الاجتماعية بالغاء مظاهر عدم المساواة ، وتقدمت الرفاهية الاجتماعية بالتغلب على العوامل العديدة التى تهدد الحياة الاجتماعية ، وتشمل الناحية الصحية للأفراد والأسر والمجتمعات المحلية والمجتمع الكبير . ومعنى ذلك أن الرفاهية الاجتماعية قد عنيت فى بادىء الأمر بتحسين ظروف حياة الأشخاص العاجزين فيزيقيا أو عقليا أو عاطفيا أو إقتصاديا أو إجتماعيا ، وبتحسين ظروف الأشخاص البائسين وبتحسين ظروف الجماعات (groups) المتخلفة (disadvantaged) وبهذه السمة يتميز مصطلح « الرفاهية الاجتماعية » عن مصطلحات أوسع مثل الرفاهية العامة General Welfare وهو مصطلح جاء فى ديباجة دستور الولايات المتحدة ، كما تتميز الرفاهية الاجتماعية

---

(1) U.N.O., Preliminary Report on The World Social Situation, New York State, 1952, p. 3.

عن مصطلح (الرفاهية) الذى يستخدم فى علم الاقتصاد (الرفاهية الاقتصادية (Economic Welfare .

خدمات الرفاهية الاجتماعية : Social Welfare Services

تقرر إدارة الرفاهية الاجتماعية التابعة لهيئة الأمم المتحدة فى تعريفها لهذا المفهوم مايأتى :

« بالإضافة إلى العمل الاجتماعى المنظم Organized Social Action الذى يهدف إلى حل المشكلات التى تتعلق بالصحة والتعليم والرفاهية الريفية والعمالية ، فإن ثمة خدمات إجتماعية أخرى قد نظمت وهى الخدمات التى تتصل بالمجتمع المحلى والأسرة ورفاهية الطفل والدفاع الاجتماعى وتأهيل العجزة وتخطيط الإسكان والمدينة الصغيرة (Town) والريف (Country) . ويمكن أن يقال عنها بصفة عامة أنها خدمات تستهدف تنظيم وسائل وضع الأشخاص فى علاقة فعالة مع الموارد الاجتماعية التى يكونون فى حاجة إليها[1] » .

ويتطلب « وضع الأشخاص فى علاقة فعالة » مع الموارد الاجتماعية المحتاج إليها ثلاثة أنواع من العمل :

١ — خدمة مباشرة تؤدى للأفراد والأسر والجماعات الاجتماعية والمجتمعات المحلية بأسرها . وتستهدف هذه الخدمة المباشرة المساعدة على التغلب على الصعاب التى تكتنف الوصول إلى الإفادة من الموارد الاجتماعية التى يحتاجها الأفراد أو تحتاجها هذه المجتمعات .

٢ — إجراء تعديلات يتبع فى أدائها أحد مناهج فن الخدمة الاجتماعية أو مناهج أخرى . وموضوع هذه التعديلات وسائل الموارد الاجتماعية

---

(1) Department of Social Affairs, Methods of Social Welfare Administration, New York, 1950, p. 1-2.

التى تحتاج إليها الأسر والمجتمعات المحلية بقصد تيسيرها بحيث تتوفر الخدمة الفعالة المناسبة .

٣ — خدمات توعية تتصل بالرفاهية الاجتماعية وهى خدمات منظمة لتحقيق مطالب الأسر والمجتمعات المحلية التى لم تحقق لها خدمة دقيقة بواسطة مؤسسات أساسية .

ورغم اهتمام المعنيين بالرفاهية الإجتماعية بالنوع الأول وبالنوع الثالث بدرجة أقل ، فقد شهد القرن العشرون اهتماما متزايدا بالنوع الثانى ، ففى ميدان الصحة مثلا بذلت فى ميدان الطب الوقائى جهود كثيرة بهدف الإقلال من الحاجة إلى إجراءات علاجية .

وهناك وسائل نمطية (Typical) تعمل بطريقة فعالة لتيسير الموارد الاجتماعية التى يحتاج إليها الأفراد والأسر والمجتمعات المحلية وتتضمن هذه الوسائل :

١ — سن تشريع للعمل للنساء والرجال بحيث يمتد التشريع المطبق على الأطفال إلى الرجال والنساء كذلك .

٢ — تقرير التعليم العام أو إمتداد هذا التعليم من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية والمستويات الأعلى .

٣ — جعل القوانين العقابية والخدمات الإصلاحية إنسانية .

٤ — تقرير علاوات الأسر أو معاشات الشيخوخة ، وهذا يقلل ضرورة المساعدة المالية الممنوحة على أساس بحث حالة العميل .

٥ — تشجيع ضمان خطط الأجر السنوى وذلك لتقليل ضرورة الأعتماد على مساعدة تعويض البطالة .

٦ — تغيرات فى أنماط معيشة الأسرة ودرجة مسئولية الآباء عن أطفالهم .

ويطلق على العملية العامة التي تحدث بواسطتها هذه التجديدات (Innovations) أو التعديلات الخاصة بالموارد الإجتماعية اصطلاح « الإصلاح الإجتماعي (Social Reform) أو العمل الإجتماعي (Social Action) . وبينما نجد أن العمل التشريعي غالبا مايتضمن تعديل الموارد الإجتماعية بحيث يمكن تيسيرها بالنسبة إلى أشخاص المحتاجين إليها ، فليس هذا بالضرورة صفة أساسية للعمل التشريعي .

أن الرفاهية الإجتماعية طريق مختصر للتغير الإجتماعي الشامل وهي تتعلق غالبا بتعديلات ـ لتساير التغير الإجتماعي السريع ـ للعوامل البيئية أو لعمليات ذات صلة بنظم اجتماعية معينة لها أثر سيء على أسر معينة أو جماعات أو مجتمعات محلية . ويحصر بعض المشتغلين بالتخطيط الإجتماعي موضوعات الرفاهية في الأجر والقوة الشرائية ونظم المعاشات والتعويضات والتأمينات المختلفة والخدمات الإجتماعية المتشعبة والعمل على تحديد ساعات العمل بأربعين ساعة أسبوعيا وجعل أيام العمل الأسبوعي خمسة أيام والأجازات المأجورة ، والاهتمام بالحالة الصحية والمعنوية للعامل ، وتعميم نظام الإرشاد الإجتماعي في المصانع والعمل على بث روح التعاون وتحسين الصلات الإنسانية والإجتماعية بين أفراد المنشأة :

ولقد أنشئت خدمات الرفاهية الإجتماعية في دول مختلفة لتكمل بعض نظم إجتماعية أساسية ، وقد جاء ذكرها في :

Methods of Social Welfare Administration (1)

وهي :

١ — أنشطة الرفاهية الإجتماعية المتعلقة بالصحة العامة ، وهي التي عززت خدمات الصحة العامة والرعاية الطبية بعدد من الأنشطة الطبية والإجتماعية . وتعتبر بعض هذه الأنشطة مثل إرشاد الطفولة والأمومة

---

(١) ص ٢٨٢ .

من مهام إدارة الصحة العامة . كما يعتبر البعض الآخر مثل الخدمة الاجتماعية الطبية والخدمة الاجتماعية الطبنفسية مساعدات أساسية تقدمها الهيئات الطبية لمرضاها أثناء مرحلة الشفاء .

٢ — أنشطة الرفاهية الاجتماعية المتعلقة بالتربية ، وهى التى عززت التربية بخدمات الرفاهية الاجتماعية ، وقد أدى ذلك إلى إرتفاع نسبة الحضور إلى المدرسة واستغلال أوقات الفراغ ، وإفادة الأطفال من نشاط الجماعة ، كما أدت هذه الخدمات دورا إيجابيا فى ميدان الشباب ومجال تعليم الكبار ومدارس الحضانة ودور الأطفال العاجزين .

٣ — أنشطة الرفاهية الاجتماعية المتعلقة بالتغذية ، وهى التى نمت خدمات خاصة بهدف تحقيق تغذية أفضل ، وبحيث تكون ميسرة لأكبر عدد ممكن من أفراد الشعب ، ورغم حداثة الخبرة فى هذا المجال فإن وعيا عاما قد بدأ يظهر فى الدول المتقدمة ، فقامت بتوزيع الطعام وإرشاد الجمهور إلى عناصر الغذاء التى يحتاجها الجسم ، وغالبا ماتوفر ذلك إدارة تتبع وزارة الصحة .

وفى بعض الدول تطبق قوانين التأمين الصحى ، وتصرف علاوة للأسرة ، ويهتم بالطب الوقائى وتعليم قواعد الصحة ، وكذلك بتعليم قواعد التغذية بإعطاء وجبات مغذية فى مطاعم شعبية وكافيتريا المصانع ومحلات اللبن .

٤ — أنشطة الرفاهية الاجتماعية المتعلقة بالعمالة ، وهى التى نمت خدمات الرفاهية فى ميدان العمالة كجزء من التوجيه المهنى ، كما يفاد منها عند هجرة العمال وفى إدارات المستخدمين ومنظمات العمل .

٥ — نواحى نشاط الرفاهية الاجتماعية المتصلة بالضمان الاجتماعى ، وذلك بالإضافة إلى أقساط التأمين الاجتماعى ومعاشات المساعدات الاجتماعية فإن الضمان الاجتماعى يقدم خدمات أخرى ، وتحتاج بعض هذه الخدمات إلى إدارة فردية من نوع خاص .

٦ — نواحى نشاط الرفاهية الاجتماعية المتصلة بالاسكان وتخطيط المدن

وتخطيط القرية ، فقد عززت إدارة الاسكان الشعبي بخدمات الرفاهية وهي خدمات تهدف إلى تكيف المستأجرين فى البيئة الجديدة ، وتكون إدارة هذه المراكز الاجتماعية تابعة للمنظمات الاجتماعية العامة سواء أكانت حكومية أم أهلية وسواء كان إهتمامها موجها نحو التربية أو الترفيه .

٧ — نواحى أنشطة الرفاهية الاجتماعية المتصلة بالنواحى القضائية ، وتشمل الخدمة الاجتماعية فى المحكمة كما تشمل المساعدة القانونية . وقد لاتعتبر بعض الدول هذه الخدمات أنشطة للرفاهية الاجتماعية بينما تعتبرها دول أخرى كذلك. ويرجع ذلك إلى الطبيعة النسبية للرفاهية الاجتماعية ، وتعتبر هذه النسبية سمة من سمات الرفاهية الأمر الذى يترتب عليه إختلاف الرفاهية الاجتماعية باختلاف الدول ، كما ترجع هذه النسبية إلى حقيقة الرفاهية الاجتماعية وهى أنها عبارة عن وظيفة للنظام الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع المحلى أو الشعب . ولهذه النسبية التى تؤدى إلى صعوبة تعريف الرفاهية الاجتماعية تاريخ طويل . فقد ورد فى قانون إنجليزى قديم حدد أغراض الاحسان أن الرفاهية الاجتماعية تتضمن إنشاء المنازل واضاءتها وتعبيد الطرق ، وهى وظائف اعتبرت فى المجتمعات الحديثة من بين الخدمات العامة . كما اعتبرت المساعدة التى منحتها براج التنمية الاجتماعية إلى الفلاحين فى القرى البعيدة فى الهند عام ١٩٥٠ لمساعدتهم على بناء الطرق ، من أنشطة الرفاهية الاجتماعية .

براج الرفاهية: أن الفروق فى التعريف وكذلك الفروق فى النظام الاقتصادى الاجتماعى للدول المختلفة ، تجعل من الممكن عمل مقارنات دولية عن مجال براج الرفاهية الاجتماعية وتكاليفها . ومن ذلك فقد أصبح من الممكن إجراء دراسة مقارنة لبراجها فى الدول المختلفة ، وذلك بفضل هيئة الأمم المتحدة وهيئاتها المتخصصة ، التى تصدر بعض تقارير بصفة دورية تعكس التغيرات التى تحدث فى هذا الميدان . وتعرض إدارة الرفاهية الاجتماعية مناهج ومعلومات مقارنة عن الموضوعات الآتية : المراكز الاجتماعية الريفية والمساعدات الاجتماعية ورفاهية أو رعاية الطفل ، والشباب والأسرة ، كما تعرض معلومات

نوعية عن برامج دول مختلفة لمساعدة الأفراد المحتاجين[١] . وتتخذ إجراءات أوسع لإفادة الأسر فى بعض الدول ، وتتضمن علاوات للأسرة ومنح للزواج وعلاوة عند الولادة وإعفاء من الضرائب لبعض محدودى الدخل ، وتقديم وجبات غذائية لتلاميذ المدارس ومنح قروض لشراء الأثاث ، وعلاوة للوقود ومنح مدرسية ومساعدات مالية تمنح للزوجات للافادة منها فى قضاء العطلات ، ومساعدات الزوجة والأطفال للاستعانة بها فى دفع مصاريف الانتقال[٢] . وباختصار فالمواد من ٢٢ إلى ٢٧ من إعلان حقوق الإنسان العالمى تتضمن أنشطة الرفاهية الاجتماعية التى يجب أن يتمتع بها أفراد الدول المختلفة .

المادة ٢٢ — « لكل شخص بصفته عضوا فى المجتمع الحق فى الضمانة الاجتماعية القائمة على أساس إنتفاعه بالحقوق الإقتصادية والاجتماعية والثقافية التى لاغنى عنها لكرامته ولنمو شخصيته نموا حرا بفضل المجهود القومى والتعاون الدولى وذلك وفقا لنظمها ومواردها » .

المادة ٢٣ — « لكل شخص الحق فى العمل وله حرية إختياره بشروط عادلة مرضية كما أن له حق الحماية من البطالة » .

« لكل فرد دون أى تمييز الحق فى أجر متساو للعمل » .

« لكل فرد يقوم بعمل الحق فى أجر عادل مرض يكفل له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الإنسان تضاف إليه عند اللزوم وسائل أخرى للحماية الاجتماعية » .

---

(١) Methods of Administering Assistance of the Need.

(٢) Economic Measures in Favour of the Family Department of Social Affairs, New York, 1952.

وتقارير دورتين عن برامج رعاية الطفل للدول المختلفة وكذلك تقارير عن الأطفال المحرومين من حياة الأسرة العادية ، وخدمات الاختبار القضائى والبارول :

Probation & Related Measures (Department of Social Affairs, New York, 1951).

ودراسات مقارنة عن برامج للضمان الاجتماعى تنشر فى :

International Labour Office in Geneva, Suitzerland.

المادة ٢٤ — « لكل فرد الحق فى الحصول على أوقات للراحة والفراغ على أن يشمل ذلك تحديداً مناسباً لساعات العمل وأجازات دورية بأجر » .

المادة ٢٥ — « لكل فرد الحق فى أن يعيش فى مستوى معقول من المعيشة بحيث يتوافر له ولأسرته الصحة والمعيشة الطيبة بما يتضمنه ذلك من غذاء وكساء ومسكن ورعاية صحية وخدمات اجتماعية لازمة ، وكذلك حق الضمان فى حالات التعطل والمرض والعجز والترمل والشيخوخة أوغير ذلك من العجز عن تكسب العيش لأسباب لايستطيع التحكم فيها » .

المادة ٢٦ — « لكل فرد حق التعلم ويجب أن يكون التعليم مجانا فى مرحلته الأولى على الأقل كما يجب أن يكون التعليم الأولى إلزاميا ، وينبغى أن يوفر التعليم الفنى والصناعى وأن تتاح فرص متكافئة للتعليم الجامعى على أسس الكفاية »

المادة ٢٧ — « لكل فرد حق الاشتراك بحرية فى النشاط الثقافى فى المجتمع الذى يعيش فيه وحق التمتع بالفنون والمساهمة فى التقدم العلمى وفى الانتفاع بمزاياه »

وتختلف الدول فى مدى تحقيق هذه الأنشطة لأفرادها باختلاف مستويات المعيشة لكل دولة . وتقوم بخدمات الرفاهية الاجتماعية هيئات حكومية أوهيئات متطوعة ، سواء أكانت طائفية أم غير طائفية ، وهى المعروفة قديمـــا بجمعيات الإحسان .

وتختلف الدول كذلك فيما بينها إختلافا كبيراً فى مقدار ما تخصصه فى دخلها القومى للرفاهية الاجتماعية . ومن الملاحظ أن الأمم التى تعتبر فى أشد الحاجة لرفع مستويات معيشة أفرادها بحيث يتحقق لهم المستوى اللائق بالكرامة الإنسانية هى أصغر الأمم ميزانية فى الرفاهية ، وتعتبر السويد من بين الأمم التى تخصص جزءا كبيرا من ميزانيتها للرفاهية الاجتماعية ، فى سنة ١٩٥٠ خصصت ٢٦٢٢ مليون كرون (٥٠٦٫٢٠٠٫٠٠٠ دولار) أنفقتها على أنشطة الرفاهية الاجتماعية التى تتضمن الخدمات الصحية ، والتأمين ضد أصابات العمل الصناعى

والتأمينات الخاصة بالعمالة والبطالة ، كما تتضمن خدمات خاصة فى حالات الشيخوخة والعجز ورعاية الأسرة والطفولة والمساعدات العامة . وتبلغ هذه النفقات ١١ ٪ من مجموع الدخل القومى . وتبلغ مساهمة الحكومة المركزية فى هذه النفقات ٣٢ ٪ من مجموع ميزانيتها .

أما بريطانيا فقد أنفقت على نفقات الرفاهية الاجتماعية عام ٥٣/٥٤ مايقرب من ٨٣٢ مليون جنيه ، صرفت على خدمات الصحة والتأمين القومى والمساعدات وعلاوة الأطفال ، والمعاشات .

كما بلغت نفقات الرفاهية الاجتماعية فى الولايات المتحدة عام ٥٢ / ٥٣ وهى نفقات الحكومة على التأمين الإجتماعى ، والمساعدات الاجتماعية ، والخدمات الصحية والطبية ، وخدمات الرفاهية الأخرى وبرامج الجنود ، مبلغ ١٦٫٤ بليون دولار . هذا بالإضافة إلى مئات الملايين من الدولارات التى تخصص لصناديق التمويل والصليب الأحمر الأمريكى ومؤسسات شلل الأطفال .

والخلاصة أن مجال الرفاهية الاجتماعية مجال واسع يختلف باختلاف مستوى الدولة الاقتصادى والاجتماعى ، وقد ترتب على تباين هذا المجال من دولة إلى أخرى تعذر وضع تعريف جامع مانع للرفاهية الاجتماعية .

وقد حاولنا فى بداية هذا الفصل أن نذكر بعض تعريفات للرفاهية الاجتماعية ولكن من الجدير بالذكر هنا أن نقول إنه قد بذلت أكثر من محاولة ، وصيغ أكثر من تعريف ، والواقع كذلك أن محاولة قد امتازت عن محاولة أخرى ، وتعريفا قد رجح على تعريف آخر ، بيد أن تعريفا واحدا لم ينل إجماع المشتغلين بها ، ونذكر فيما يلى تعريفين نحاول أن نفيد منهما فى التعريف الذى وصلنا إليه ، التعريف الأول : الرفاهية الإجتماعية هى تحقيق المستوى المناسب لمعيشة الشعب من النواحى الاقتصادية والصحية والثقافية والإجتماعية . وأما التعريف الثانى فهو : الرفاهية الاجتماعية هى إشباع الحاجات المادية والثقافية والفنية والعقلية والخلقية ، وتشمل الحاجات المادية : الطعام والنوم والراحة وأوقات الفراغ والعمل ، كما تتضمن الحاجات الثقافية

الأمن والاستقلال . أما أنشطة الرفاهية الاجتماعية فإنها تشمل مكافحة الأمراض ومحو الأمية وتحسين أحوال المعيشة — المسكن والغذاء والملبس — وتعميم بعض الصناعات وتركيزها ونشر الجمعيات التعاونية وتوافر حد أدنى من المعلومات والثقافة وتعميم التدريب العلمى كما تشمل أنشطة أخرى تتصل بالعمالة والضمان الإجتماعى والقضاء . أما التعريف الذى نأخذ به فهو أن الرفاهية الإجتماعية عبارة عن وظيفة للتنظيم الإجتماعى والإقتصادى للمجتمع أو الأمة . ونعنى بالوظيفة تحقيق خدمات مباشرة أى الخدمات التى تؤديها الدولة أو غيرها من الهيئات والمؤسسات والأفراد فى صورة فعلية للجماهير مباشرة مثل الخدمات التعليمية أو الطبية أو العمرانية أو الإجتماعية وغيرها ، وتقدم هذه الخدمات غالبا مؤسسات لامركزية أى مستقلة لاتخضع لنظام التبعية المركزية كالمعاهد والمدارس والمراكز الإجتماعية والمستشفيات وخدمات الشئون القروية والبلدية ، كما يقصد بالخدمات المباشرة مايحصل عليه الفرد من الحاجات الأساسية للمعيشة كالغذاء والكساء والمسكن ومن بين ماتشتمل عليه الخدمات المباشرة أيضا التأمين الإجتماعى بصوره المختلفة .

ويذكر نلز أندرسن أن كل من يستخدم مصطلح « الرفاهية » يجب أن يوضح المقصود من هذا المصطلح . ولتعذر وضع تعريف جامع مانع يفضل كثير من الاقتصاديين وعلماء الاجتماع والإخصائيين الإجتماعيين عدم أستخدام هذا المصطلح فى دراساتهم . ومع ذلك فان المصطلح موجود فى أذهانهم . ونذكر على سبيل المثال وليام فوت هوايت الذى لايتكلم عن الرفاهية عندما يكتب عن خدمات المجتمع وإنما يتحدث عن التوازن بين الوسائل والحاجات[1] . « ولايمكن — بالبداهة — أن تكون الحاجات والوسائل فى تعادل تام . فالطفل والشيخ أقل قدرة على الإعطاء من الباب كما أن المريض أقل من الصحيح والأسود أقل من الأبيض والفقير أقل من الغنى ، وكما تختلف الوسائل تختلف

---

(١) Nels Anderson, The Urban Community, Routledge & Kegan Paul, London, 1960, p. 404.

الحاجات كما أو كيفيا . وقد اتخذت عدة مشروعات لملاءمة الحاجات بالوسائل ولكن مشروعا واحدا حتى الآن لم يحقق الرضا الكامل [١] ، كذلك تختلف الحاجات باختلاف الأفراد والأسر والمواقف .

ويعطى ميثاق جينيف الصادر عام ١٩٢٣ أهمية قصوى لحقوق الطفل هي :

١ — يعطى الطفل الوسائل اللازمة لنموه الطبيعي والجسماني والروحي .

٢ — وأن يطعم الطفل الجائع ، ويعالج الطفل المريض ، ويساعد الطفل المتأخر .

٣ — وأن يكون الطفل أول من يتلقى المساعدة فى أوقات الضيق .

٤ — وأن يوضع الطفل فى مركز يكسب منه عيشه وأن يحمى من كل أنواع الاستغلال .

٥ — وأن ينشأ الطفل على تكريس مواهبه لخدمة إخوانه فى الإنسانية أى حق الطفل فى حيـــاة سعيدة ، وحق الطفل فى حضانة رشيدة وفى غذاء كامل مناسب وفى كساء يقيه الحر ويستره البرد ، وحقه فى أن يصح وأن يتعلم ، وأن ينمو بعيدا عن بؤر الفساد والزلل وبعيدا عن مواطن العلل والآفات الاجتماعية ، وحقه فى تقويم سلوكه إن هو إنحرف وحقه فى التأهيل المهنى ، وحقه فى الفحص الطبي قبل الولادة وفى الاستشارات الطبية ، وفى العناية الطبية قبل الولادة ، وفى تقديم المعونة عند الولادة وفى نفقة اليتيم .

ونحدد أنشطة الرفاهية الاجتماعية فى هذا البحث فيما يأتى :

١ — الغذاء :

رأينا أن تتضمن أنشطة الرفاهية الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة الغذاء

---

(١) نفس المرجع ونفس الصفحة ٧ .

والواقع أن المصرى كان بين وفد مصر فى مؤتمر الزراعة والتغذية الدولية فى سنة ١٩٤٧ ، وإن استطاع أن يحصل على الحد الأدنى اللازم من السعرات الغذائية ، إلا أن غذاءه فى نقص شديد فى البروتينات الحيوانية ، نتيجة للفقر الشديد الذى يرزح تحت كاهله . فهو حين يحصل على ٧٧,٦ ٪ من مجموع السعرات من الحبوب نجده لا يحصل ألا على ١ ٪ فقط من المواد البروتينية[١] . والواقع أن أول ما يلفت النظر فى غذاء المصرى أنه يستهلك من الحبوب والنباتات الدرنية مقدارا كبيرا بينما لا يستهلك إلا النادر من اللحوم والبيض واللبن والخضار والفاكهة .

ويرجع ذلك كما سنشير إلى ذلك فى فصل قادم ، إلى زيادة عدد السكان فى الخمسين سنة الأخيرة بنسبة عالية لا تقابلها زيادة فى مواردنا أو ثروتنا القومية أى أن مصادر الثروة غير قادرة بل وعاجزة تماما عن ملاحقة السكان فى نموهم ، ولذا كانت النتيجة انخفاض متوسط الدخل الحقيقى للفرد ، كما يرجع انخفاض ما ينفق على الغذاء إلى كثرة عدد أفراد الأسرة ، فان متوسط عدد أفراد الأسرة الريفية يبلغ خمسة أفراد كما أن متوسط عدد أفراد الأسرة الصناعية أربعة أفراد . والظاهرة الديموجرافية[٢] . الواضحة فى المناطق المتخلفة فى آسيا وأفريقيا هى ارتفاع معدلات الوفيات بوجه عام ، ويعزى السبب فى ذلك إلى هبوط مستوى التغذية .

إن هناك ارتباطا قويا بين زيادة معدلات الوفيات وبين انخفاض الإنفاق الفردى على الغذاء ، كما أن هناك ارتباطا قويا بين هذا المتغير الأخير وزيادة نسبة المشتغلين بالزراعة وانخفاض عدد الأطباء بالنسبة للمجموع الكلى من السكان ، وعلى العكس فإن انخفاض معدلات الوفيات فى الدولة يرتبط بالارتفاع فى الإنفاق الفردى وتوافر عدد الأطباء بالنسبة لمجموع السكان .

لقد هبطت معدلات الوفيات فى الدول الغربية منذ منتصف القرن التاسع عشر

---

(١) صلاح نامق ، مشكلة السكان فى مصر ، ص ٦١ — ٦٢ .
(٢) صلاح نامق ، دراسات فى السكان ، ص ١١٤ .

لتقدم النواحي الاجتماعية والصحية والاقتصادية فيها . والواقع أن التصنيع والتقدم الصناعي والتجاري وزيادة الإنتاجية الزراعية ، قد مهدت الطريق نحو حياة أكثر رخاء عن ذي قبل . وقد أدت هذه العوامل مجتمعة إلى حدوث انخفاض في معدلات الوفيات ، فالتغيرات الكبيرة الشاملة التي شملت الزراعة منذ أواخر القرن السابع عشر قد قلبت الأوضاع والوسائل الزراعية السائدة في ذلك الوقت رأسا على عقب . كما انقلبت الزراعة الأوربية إلى زراعة ميكانيكية هندسية فنية ، فتضاعف بذلك الإنتاج الزراعي ، وانخفضت معدلات الوفيات التي تنجم عن قلة الطعام ، وقد واصلت الزراعة الأوربية تقدمها خلال القرنين التاسع عشر والعشرين فبدأ الإنتاج في التنوع ، كما زاد الإنتاج الحيواني ، واكتفى بنسبة قليلة من العمال الزراعيين ، نتيجة لاستخدام الآلات التي أتاحت مع ذلك إنتاج كمية كبيرة جداً من الطعام . وهنا أمكن لهذه الدول أن تستفيد من عدد العمال الزائدين عن الحاجة في المجال الزراعي ، واستخدمتهم في المجال الصناعي الجديد . وبذلك زادت نسبة العمال الصناعيين كما زاد الإنتاج الصناعي وأدى هذا كله إلى ارتفاع ملموس في مستوى العيش وارتفاع مماثل في مستوى الصحة العامة ، وتحسنت المنازل ، كما أمكن إنتاج المزيد من الملابس . وهكذا تجمعت كل هذه العناصر في وحدة مؤتلفة هي التحسن في صحة الفرد وبالتالي انخفاض في الوفيات بالإضافة إلى ارتفاع في الدخل القومي . وبذلك أمكن إنشاء المستشفيات والمستوصفات وغير ذلك من المنشآت الصحية الحكومية ، وإنشاء المجاري وتنقية المياه(١) .

ولعله من الصعب معرفة أثر العامل الواحد في ظاهرة معينة ، إذ يتعذر فصل العوامل الأخرى التي قد تكون لها نفس الآثار في إحداث هذه الظاهرة ، فليس من اليسير عزل عامل معين ، ومحاولة دراسته وحده للتعرف على مدى ما يترتب عليه من نتائج ، وذلك لتعقد الظاهرة الاجتماعية والاقتصادية وتداخلها فلا نستطيع أن نعزو إنخفاض معدل الوفيات إلى عامل واحد مثل تقدم الأساليب الطبية

---

(١) صلاح نامق ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

أو زيادة الوعى القومى أو توافر المسكن المناسب أو تحسن الصحة العامة أو تحسن التغذية ، وإنما إلى تضافر هذه العوامل مجتمعة . وأيا ما كان فإن سوء التغذية عامل مصاحب لارتفاع معدل الوفيات ، وبهذا يمكن اتخاذ هذا المعدل للدلالة على التغذية ومستوى المعيشة — إرتفاع نسبة الوفيات يعكس سوء التغذية وإنخفاض مستوى المعيشة وليس معنى ذلك أننا نغفل أثر العوامل الأخرى كارتفاع مستوى الأجور وزيادة الإنتاج الصناعى وتحسن وسائل المواصلات والقضاء على البطالة وتقدم الزراعة فى تحسن الصحة العامة .

٢ — المسكن :

للمسكن تأثير مباشر فى حياة الفرد ، فهو مؤثر فى صحته وقدرته ومعنوياته . وتتصدر مشكلة المسكن اليوم قائمة الإصلاح فى جميع الدول الناهضة ، فتصدر تشريعات لعلاج المشكلة علاجا يتوافر معه المسكن الصحى للطبقات العاملة ولأزالة الأحياء الفقيرة المزدحمة وإقامة مساكن صحية عليها بمعرفة الأفراد ومدهم بالإعانة اللازمة . كما تعمل على تمويل عمليات البناء بمعرفة هيئات معينة ، وإلزام الهيئات المحلية ببناء المساكن كلما ثبت قصور عدد الموجود منها عن حاجة السكان ، وتنظم هذه الهيئات إصدار اللوائح الخاصة بتحديد عدد الأشخاص لكل مسكن وتوفير المياه والتهوية، والنظافة والضوء وتوصيل المنازل بالمجارى . هذا بالإضافة إلى الإعانات السنوية التى تمنحها الحكومة والهيئات المحلية لملاك المساكن ، حتى يحتفظوا بقيمة الإيجار دون زيادة وتنشط جمعيات التعاون عن طريق الإعفاءات والإمتيازات المتعددة حركة البناء ، كما تعنى بعض الدول المساكن الاجتماعية والمساكن الخاصة من ضريبة عوائد الملاك لمدة معينة. وتتكون فى دول أخرى اتحادات للدفاع عن مصالح المستأجرين أمام أصحاب الأملاك . والتخلص من ربح الوسطاء سواء فى البيع أو الإنشاء أو الإيجار ، وحث الأعضاء على التوفير واستعمال هذه المتوفرات كقروض تصرف لتكملة المنازل التى تشيد. وشراء شقق المبنى . وهناك جمعية فى السويد تسمى جمعية الأم[1] توجد فى كل

---

(١) سعد حبيب ، الخدمة الاجتماعية العمالية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٣١٧ .

مدينة أو ناحية تأخذ على عاتقها حل مشكلة السكن فى منطقة عملها على أساس تعاونى . وتوفر الحكومة وسيلة الحصول على أراضى للبناء ، كما تضمن القروض بسعر فائدة محدد ، هذا وقد اضطرت الحكومة للمحافظة على مستوى الايجارات إلى إعطاء مساعدة إضافية تتراوح بين ١٢ ٪ و ٢٠ ٪ من قيمة المبنى ، ولا يدفع عنها استهلاك ولا فوائد لمدة عشر سنوات ، بل وأكثر من هذا فالمبلغ يسقط ولا تطالب الحكومة المنتفعين بشىء إذا لم تتحسن الأحوال الإقتصادية فى نهاية السنوات العشر . ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل هناك هيئات تساهم بالأرض والمال للبناء ومساكن للشيوخ ولا يجوز أن يزيد معدل عدد الأشخاص عن إثنين لكل غرفة مع الاتجاه فى المستقبل إلى توفير مسكن من ثلاث غرف ومطبخ لكل عائلة لها ولدان ، كما تعمل هذه الهيئات على توفير الملاعب ودور الحضانة حيث تستطيع الأمهات ترك أطفالهن أثناء الوضع بالمصانع [١] .

« إن جزءاً كبيراً من مشكلات الأسرة المصرية يرجع أول مايرجع إلى سوء حالة المسكن ، وعدم توافر الجو العائلى ، وروح الارتباط الوثيق بين الإنسان وبين نفسه مما ترتب عليه أن أصبحت البيوت عند الطبقات الفقيرة المحدودة الدخل ، مجرد مأوى للنوم ، يذهب إليه متثاقلا وينتهز أول فرصة للفرار منه ، وأعتقد أن فرار الرجل من المنزل عامل كبير فى عدم الترابط العائلى ونسيان العائل لوظيفته فى الأسرة وأهمها وظيفة الأبوة وهى وظيفة تربوية [٢] » ولهذا اتخذنا المسكن كمقياس يعكس الرفاهية الاجتماعية فى المجتمع .

٣ ـــ الأمية :

تعرف الأمية بأنها حالة عدم معرفة الشخص الذى يزيد عمره على عشر سنوات القراءة والكتابة [٣] ، ولا شك أن تقدم الأمة يتوقف على مدى ما يحصله

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

(٢) عباس عمارة ، الاخبار الجديدة عدد ٣٦٤ فى ١٩٥٤/١/١٩ .

(٣) H. P. Fairchild, Dictionary of Sociology. Illiteracy.

الأفراد من معلومات عن العالم الذي يعيشون فيه ، ولعل أول أداة لإكتساب هذه المعلومات هي الإلمام بالقراءة والكتابة .

والواقع أن مشكلة الأمية ضخمة ومعقدة وذلك لكثرة عدد الأميين بين سكان الجمهورية ، ولأنها ظاهرة يصاحبها عادة التأخر الصحي والاقتصادي والاجتماعي ، وقد درس الدكتور محمود رشدي خاطر موضوع الأمية في أعداد متوالية من مجلة التربية الأساسية [1] ، وقد عرض في هذه المقالات لحالة الأمية في مصر ومدى ما أحرزناه من تقدم خلال الخمسين سنة الأخيرة . وهناك اختلاف بين الدول في تعريف الأمي فهو في بعض البلاد الشخص الذي لا يقرأ ولا يكتب وفي بعض البلاد الأخرى هو الشخص الذي يقرأ فقط وفي بعض الدول هو الشخص الذي قضى عدداً من السنوات في المدارس ، كما تختلف السن التي يعد عندها الشخص أميا ، فهي في بعض البلاد الخامسة وفي بعضها الآخر السابعة أو العاشرة ، وقد تصل أحياناً إلى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة .

وقد أورد الدكتور خاطر جدولا وضح فيه نسبة الأمية في مختلف الدول نذكر بعضها هنا ، النرويج : صفر ، الدنمرك : ١و ٪ السويد : ٢و ٪ إنجلترا : ٣و ٪ ، سويسرا : ٤و ٪ ، هولندا : ٧و ٪، اليابان : ٢ ٪، الولايات المتحدة ٢و٩ ٪ ، فرنسا : ٣و٤ ٪ كندا : ٣و٤ ٪ ، روسيا ١٠ ٪ ثم أشار إلى الدول التي تبلغ نسبة الأمية فيها من ٤٠ — ٦٠ ٪ ومنها اليونان ٤١و٩ ٪ ، اسيلان : ٤٣ ٪ ، البرازيل : ٥٦و٨ ٪ ثم الدول التي تبلغ نسبة الأمية فيها من ٦٠ — ٨٠ ٪ منها ، تركيا: ٦٩ر٥ ٪، مصر: ٧٧ر٢ ٪ طبقاً لإحصاء سنة ١٩٤٧ . وأخيراً الدول التي تبلغ نسبة الأمية فيها أكثر من ٨٠ ٪ كالصين والهند . وقد استخلص الكاتب من هذه المقارنات أن نسبة الأمية تنخفض إلى درجة كبيرة قد تصل إلى حد التلاشي في ثلاث مناطق من العالم ، الأولى تشمل كندا والولايات المتحدة في أمريكا الشمالية ودول الغرب والشمال الغربي في أوربا والثانية تشمل روسيا واليابان في أقصى شرق آسيا والثالثة تشمل الأرجنتين في أمريكا الجنوبية واستراليا ونيوزيلندة في نصف الكرة

(١) محمود رشدي خاطر ، مكافحة الامية في العالم العربي المجلد الثاني ، شتاء ١٩٥٥ ، العدد الرابع .

الجنوبي وفى الطرف الآخر الهند والصين وجزر الهند الشرقية ويلاحظ أن هناك ارتباطا بين الثقافة والتقدم الصناعي ، فمعظم المناطق التى تقع تحت النوع الأول ، مناطق تأصلت فيها الصناعة منذ قرون عديدة، بينما نجد أن المناطق التى تقع فى الطرف الثانى ما تزال تعتمد على الزراعة ، وأما الدول التى تتأرجح بين الطرفين فى المستوى الثقافى فنجد أنهـــا أيضا تتأرجح بين الزراعة والصناعة وأنها حديثة عهد بالصناعة . ويتبع التقدم الصناعي عادة ارتفاع فى المستوى الإقتصادى ، فالبلاد التى تقع فى المناطق الأولى تتميز عن الثانية بارتفاع فى مستوى المعيشة . ويوضح الدكتور خاطر العلاقة بين الأمية ونسبة الوفيات ، فيقرر أن المناطق التى تصل فيها الأمية إلى أقل مستوى من الإنخفاض هى نفس المناطق التى تصل فيها نسبة الوفيات إلى حدها الأدنى لا يختلف عن ذلك سوى روسيا[1] . والعكس صحيح أيضاً ، فالمناطق التى تبلغ فيها الوفيات ذورتها . فإذا اعتبرنا ارتفاع نسبة الوفيات مقياساً لإنخفاض المستوى الصحى ، أمكن أن نقول إن المستوى الصحى يتمشى إلى حد كبير مع المستوى الثقافى ارتفاعا وانخفاضا . كما أن هناك علاقة بين الأمية ونسبة المواليد . فالمناطق التى تنخفض فيها نسبة الأمية إلى أقل مستوى من الانخفاض ، هى نفس المناطق التى تصل فيها نسبة المواليد إلى أقل مستوى من الانخفاض ، لا تختلف عن ذلك سوى روسيا[1] . كذلك نجد أن المناطق التى تبلغ فيها الأمية أقصى حد من الارتفاع هى نفس المناطق التى تبلغ فيها نسبة المواليد إلى أقصى حدود الارتفاع ، ومعنى ذلك أن المناطق التى ترتفع فيها نسبة الأمية ارتفاعا كبيراً هى نفس المناطق التى تمد العالم بمعظم سكانه ، ويخلص الدكتور خاطر إلى النتيجة الآتية : أن أقلية ضئيلة من سكان العالم لا تعدو الثلث تعيش فى بلاد قد تأصلت فيها الصناعة منذ مدة طويلة ، وارتفع فيها المستوى الإقتصادى وصاحب ذلك تحسن فى الأحوال الصحية نتج عنه انخفاض كبير فى نسبة الوفيات ، وميل إلى تحديد النسل نتج عنه انخفاض فى نسبة المواليد ، كما صاحبه توسع فى إتاحة الفرص التعليمية نتج عنه ارتفاع فى المستوى الثقافى ، بينما يعيش

---

(١) محمود رشدى خاطر ، المرجع السابق ص ٤٩ .

الثلثان الباقيان فى بلاد تتميز بكثرة النسل والاعتماد على الزراعة . ويصاحب هذا سوء فى الأحوال الصحية ينشأ عنه ارتفاع كبير فى نسبة الوفيات ، وضيق فى فرص التعليم ينشأ عنه هبوط فى المستوى الثقافى . ولهذا اتخذنا ارتفاع نسبة الأمية مقياسا لإنعدام الرفاهية الإجتماعية ، كما اتخذنا مدى استيعاب المدارس فى المراحل التعليمية المختلفة وعدد الفصول والطلبة بها مقياساً للرفاهية » .

٤ — الضمان الاجتماعى والتأمين الاجتماعى :

نجم عن التقدم الصناعى أن تطور العالم تطوراً فكرياً واجتماعيا أدى إلى سيادة مبادىء التضامن الاجتماعى ، وهى المبادىء التى تقرر مسئولية المجتمع عن كل فرد من أفراده مسئولية تامة ، وذلك بأن يعمل على أن يوفر لكل شخص العمل الشريف ، وييسر له أسباب المعيشة ، ويحميه شر الأخطار والكوارث المفاجئة .

وقد أدى هذا التطور الفكرى إلى ازدياد تبعات الدولة، بصفتها ممثلة للشعب ومسئولة عن خيره ، أمينة عن سلامة أفراده ، مكلفة بتأمينهم شر العوز والمرض وقد حل كل من التأمين الاجتماعى والخدمات الاجتماعية محل المساعدة الاجتماعية فى البلاد التى توافر بها نظم متقدمة للتأمين الاجتماعى والمساعدة الاجتماعية [1] . وهكذا تطورت وظيفة الدولة من مجرد إقرار الأمن وسلامة الدفاع ، إلى كفالة أسباب العيش الكريم لأفراد الأمة وتوفير مختلف وسائل الرعاية الاجتماعية . وقد خطت الدول فى هذا السبيل خطوات بدأت بقيام الجمعيات الخيرية . وبعض الهيئات المحلية بتقديم مختلف المساعدات العينية والنقدية وأنواع الرعاية الاجتماعية للمحتاجين من أفراد الشعب وطبقاته الفقيرة . لكن هذه المساعدات على كثرتها كانت كلها مطبوعة بطابع الإحسان غير المنظم الذى لا يرتكز على حق وليس فيه ضمان يؤمن الفرد على مستقبله ومستقبل أسرته ، ولما نما التطور

---

(١) مصطفى حسن حسنى ، استعراض دولى لبرامج النهوض الاجتماعى ، جامعة الدول العربية ، ص ٣١ .

الفكرى وازداد معه وعى الناس وإيمانهم ، بحق الفرد على الدولة ، وواجب الدولة فى رعاية الأفراد وحماية مصالحهم والعمل على تحريرهم من العوز والفاقة رأت الدول أنه من الضرورى لكى توفر الطمأنينة والأمن الاجتماعى فى البلاد ، أن تضمن العيش الكريم للمعوزين من أبنائها ، وألا تكون المعونة التى تبذل لهم هبة أو صدقة ، بل حقا يؤخذ بانتظام ، طبقا لقواعد ثابتة يطالب الشعب بها وهو شاعر بأنه يطلب حقا مقرراً ، والخلاصة : أن فكرة الضمان الاجتماعى ترجع إلى أن هناك فريقاً من الناس لايتوفر لهم لأسباب وظروف مختلفة دخلا يفى بحاجاتهم الضرورية من غذاء وكساء ومسكن وعلاج . ومن هذه الأسباب والظروف المرض والشيخوخة ووفاة رب الأسرة وحوادث العمل وأمراض المهنة والتعطل ولهذا تقوم الدولة أو الهيئة المحلية بمساعدة هؤلاء الأفراد ومع ذلك لم تكن هذه المساعدات كافية لإشباع جميع هذه الحاجات ، فخطت بعض الدول خطوة أخرى وهى وضع نظام يلزم اشتراك المواطنين الذين يتعرضون لانقطاع الدخل لسبب أو لآخر بالمساهمة فى هذا النظام ، كما يساهم فيه صاحب العمل والدولة وجدير بالذكر أن نقارن هنا بين أنواع الضمان الاجتماعى المختلفة ، فللضمان الاجتماعى أوضاع متعددة ومتباينة أخذت منها كل دولة بما يلائمها . ويتخذ الضمان الاجتماعى شكل تأمينات اجتماعية أو مساعدات عامة (١) والفرق بينهما أن التأمينات الاجتماعية تقوم على أساس اشتراك المؤمن عليهم فى النفقات فى حين أن المنتفعين بنظام المساعدات العامة لا يساهمون بشىء فى تمويله ، ويقصد بالمساعدة الاجتماعية نظام تقدم بمقتضاه منافع على نفقة الجماعة وبدون أن يسبقها دفع اشتراك من جانب المنتفع . وتقدم هذه المساعدات حسب مستويات هى الحد الأدنى لمستوى المعيشة . والسبب فى هذا الاختلاف أن التأمينات الاجتماعية تتناول فريقاً من الشعب غير الفريق الذى يراد إعانته عن طريق المساعدات العامة . فالفريق الأول يشمل عادة الأشخاص القادرين على الكسب ، فيكون التأمين بالنسبة لهم بمثابة ادخار أو احتياط لمستقبلهم ، حتى إذا حلت بهم إحدى الطوارىء المؤمن ضدها ، والتى يترتب عليها انقطاع الدخل كالمرض والعجز

---

(١) ويمكن أن نضيف الى هذين النوعين المعونة الاجتماعية التى تعطى لمن لا ينطبق عليه نظام التأمين أو نظام المساعدات العامة .

والشيخوخة والوفاة المبكرة ، أمكنهم أو أمكن من بقى من أسرهم بعد وفاتهم الحصول من صندوق التأمين على مايستعينون به على الحياة .

أما الفريق الثانى فهم الأشخاص الذين ألمت بهم إحدى الطوارىء المشار إليها دون أن يكونوا قد اشتركوا بأقساط مالسبب أو لآخر[1] . ووجود أحد هذين النظامين فى دولة مالا يمنع من وجود النوع الثانى :

وتختلف نظم التأمينات الاجبارية من حيث أنواع الطوارىء والأضرار التى يراد التأمين ضدها ، ومن حيث طوائف الشعب التى يراد حمايتها . فقد يكون الغرض منها التأمين ضد التعطل أو المرض أو الشيخوخة أو العجز أو وفاة العائل وتركه أرملة وأيتاما ، إلى غير ذلك من الطوارىء التى يترتب عليها الحرمان من الدخل ، وقد تشمل هذه النظم جميع الطوارىء والأضرار أو عددا منها . ومن ناحية أخرى فإنها قد تقتصر على بعض طوائف معينة من العمال كعمال الصناعة أو التجارة أو الزراعة أو المهن الحرة أو خدم المنازل ، وقد تشمل غير هؤلاء كالعمال المستقلين الذين يشتغلون لحساب أنفسهم ومن البديهى أن التأمين الاجتماعى غير التأمين الفردى ، فالأول يعتبر مظهر من مظاهر التضامن الاجتماعى ، وغرضه سياسة اجتماعية مرسومة ترمى إلى تحسين حالة الطبقات العامة ، وتأمين الشعب ضد الفاقة والعوز . فى حين يصـــدر الثانى عن مصلحة خاصة ، فيكون الدافع إليه كفالة المصالح الشخصية التى لا تستند إلى أى اعتبار اجتماعى . ويتميز التأمين الاجتماعى بميزتين أساسيتين تصل إحداهما بالمستفيدين من هذا التأمين ، وتستمد الأخرى من مساهمة أشخاص غيرهم فى دفع الأقساط . أما عن الأولى فيبرزها أن التأمين الاجتماعى لا يكون إلا لصـــالح أولئك الذين يتكسبون من عملهم : كالعمال المأجورين والصناع وأرباب الحرف ، وقصر التأمين الاجتماعى على هـذه

---

(١) وهم غالبا زراع أو عمال فى مصانع صغيرة لا تنطبق عليهم قوانين التأمينات الاجتماعية .

الطوائف لا يعتبر عنصراً مميزاً لهذا التأمين فحسب بل ركنا من أركانه أيضا ومن العناصر الأساسية المميزة لهذا التأمين أيضا ، أن المستفيدين لا يساهمون فيه نظراً لضآلة مواردهم ، إلا بنصيب ضئيل وذلك لأن دخل هؤلاء الأشخاص لايكاد يكفى لمواجهة ضرورات الحياة فلا يجدون إلى الإدخار سبيلا ، مما يقتضى مساعدتهم على التأمين ضد المخاطر ، التى تتهددهم بقطع مورد رزقهم كالعجز والشيخوخة والموت والبطالة . وطبيعى أن يستمدوا هذه المعونة من أرباب الأعمال والدولة . وهذا العنصر الأساسى أى المساهمة فى أقساط التأمين هو فيصل التفرقة بين التأمين الاجتماعى والتأمين الفردى .

ويستهدف العامل بصفة خاصة[1] الحماية من الأخطار ، فهناك حوادث العمل وأمراض المهنة ، وهناك خطر المرض العادى الذى يقعد العامل عن عمله فترة من الزمن قد تطول أو تقتصر حسب نوع المرض ودرجة خطورته مما يتطلب مصروفات العلاج وأتعاب الطبيب وثمن الأدوية ، وهناك العجز وضعف المقدرة والكفاية عن العمل من جراء الأمراض المزمنة ، وهناك الشيخوخة التى تقضى على المصدر الرئيسى الذى يمول الأسرة . وقد استدعت هذه النواحى وخاصة أن العامل عاجز على أن يدخر لنفسه ، ضرورة البحث فى معالجة المخاطر التى تهدد العامل وتشيع فى نفسه القلق والخوف ؛ ومن ثم اتخذنا وجود نظام المساعدات الاجتماعية والتأمين الاجتماعى مقياساً لتحقق الرفاهية الاجتماعية فى المجتمع .

٥ — وتظهر أنشطة الرفاهية الاجتماعية فى المجتمع المحلى فى المؤسسات الاجتماعية التى تعتبر إحدى الدعائم الأساسية التى يقوم عليها المجتمع . وتعرف المؤسسة الاجتماعية بأنها كل مؤسسة تنشأ بمال يجمع كله أو بعضه من الجمهور لمدة معينة أو غير معينة ، سواء أكانت هذه المؤسسة تقوم بأداء خدمات إنسانية أو دينية أو علمية أو فنية أو صناعية أو زراعية أو رياضية أم بأى غرض آخر من أغراض البر والنفع العام . ولا يقصد منها الربح المادى للأعضاء ، ولا يكون فى نظامها ما يخالف القانون أو الآداب العامة . أما الجمعية الخيرية فهى

---

(١) سعد حبيب ، المرجع السابق ، ص ٨٠٩ .

كل جماعة من الأفراد تسعى إلى تحقيق غرض من أغراض البر سواء أكان ذلك عن طريق المعونة المادية أو المعنوية[1] . أما الميادين التي تبذل المؤسسة الاجتماعية نشاطها فيها ، فهي ميادين تتصل بفن خدمة الفرد كالخدمة التي تؤدي الطفولة والأسرة والمستحقين لمعونة الضمان الاجتماعي والأحداث المنحرفين وكالخدمة الاجتماعية المدرسية والخدمة الاجتماعية الطبية والخدمة الاجتماعية الطب نفسية ، كما تبذل المؤسسة الاجتماعية نشاطها في ميادين تتصل بفن خدمة الجماعة كالأندية وجمعيات الشبان والشابات والمحلات ومراكز الأحياء الاجتماعية وأندية الشبان الصبيان والأندية الريفية والإجتماعية وأندية النشاط الترويحي والوحدات القروية والمراكز الاجتماعية وجمعيات الاصلاح الريفي ، وأخيرا تبذل المؤسسة الاجتماعية نشاطها في ميادين تتصل بفن تنسيق المجتمع وتنظيمه مثل مجالس المنظمة الاجتماعية ومجالس الأحياء واتحاد مجالس المؤسسات وهيئات صناديق التمويل المشترك والمجالس الخاصة بالتخطيط والوحدات المجمعة .

وكلما زاد عدد المؤسسات الاجتماعيه وتعددت خدماتها ، أشبعت حاجات الأفراد وازدادت رفاهيتهم ، ويرى بعض المشتغلين بفن الخدمة الاجتماعية أن رقى المجتمع يقاس بكثرة عـــدد المؤسسات الاجتماعية فيه ، وتنوع أغراضها ، وزيادة خدماتها ونجاحها في تقديم هذه الخدمات المتنوعة إلى أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع[2] . أن المؤسسة الاجتماعية تقوم بتنظيماتها وأشكالها المختلفة لتعالج مشكلة من مشكلات المجتمع ، أو لتسد ثغرة من الثغرات التي تعوق الرفاهية الاجتماعية أو لتتخصص في رعاية فئة من المتخلفين لأسباب بيئية أو نفسية ، أو لتكفل للمحتاجين لسبب أو لآخر الحد الأدنى لمستوى المعيشة ، أو لتقوم بتجربة أساليب جديدة واستنباط وسائل مستحدثة أو لتحقيق الوقاية من الانحراف في أي صورة من صوره لفئات بذاتها في المجتمع .

---

(١) القانون رقم ٣٨٤ لسنة ١٩٥٦ .

(٢) يرى دونالد هوارد عميد مدرسة الرفاهية الإجتماعية في جامعة كاليفورنيا أن أهمية تنسيق الخدمات الاجتماعية تظهر نتيجـــة لكثرة المؤسسات فيبدو دور هذا التنسيق البارز في اظهار قـــلة أو زيادة الخدمات في ميدان معين من ميادين الخدمـــة الاجتماعية وبذلك يمكن أن تكفل لجميع أفراد المجتمع كافة الخدمات التي يحتاجون اليها .

والمؤسسة الاجتماعية فى ظل الأيديولوجية الرأسمالية ضرورة من ضرورات التنظيم الاجتماعى لأن الحكومة بمفردها — مهما كانت درجة إمكانياتها المادية لاتستطيع أن تؤدى جميع الخدمات اللازمة لكافة المواطنين الذين هم فى حاجة إليها فى جميع القطاعات وعلى مختلف المستويات ، لذلك ترى هذه الأيديولوجية أن المؤسسة الاجتماعية ضرورة تنظيم يجب أن تأخذ به جميع المجتمعات ، ولكنها فى ظل الفلسفة الاشتراكية شيء آخر يختلف عن الأيديولوجية الرأسمالية ، إذ واجب الدولة فى ظل الاشتراكية أن تجعل قطاع الرعاية الاجتماعية دعامة وهدفا ، فالدولة هى الوسيلة لخدمة الجماعة والفرد والأسرة . ولكن ليس معنى ذلك أن تصبح الدولة هى كل شيء تملك وتمنح ، وتمنع وتقرر ، أى أن يصبح الفرد مجرد آلة ووسيلة ، بل إن أساس الاشتراكية أن تستهدف سياسة تعتمد على ديموقراطية إجتماعية أساسها الحرية الفردية فى إطار أهداف الجماعة كما تعتمد على أساليب التخطيط الاجتماعى والاقتصادى لتحقيق مجتمع الكفاية والعدالة أى مجتمع الرفاهية الاجتماعية ، ومثل هذه السياسة توجه فلسفتها بحيث يساهم كل فرد وكل مجتمع محلى فى البناء ، وهى مساهمة أساسها حاجة الفرد والمجتمع إلى نوع من الخدمة . ولهذا اتخذنا من وجود المؤسسات الاجتماعية التالية للدولة مقياسا للرفاهية الاجتماعية فى المجتمع المحلى . ويبدو نشاط المؤسسات الاجتماعية فى أحد المظاهر التالية : رعاية الشباب ، أندية ريفية ورياضية ، أندية بلدية، ساحات شعبية ، وحدات قروية ، تأهيل مهنى ، جمعيات مراكز إجتماعية ، جمعيات إصلاح ريفى ، وحدات مجمعة ، روابط إجتماعية ، جمعيات رعاية المسجونين ، جمعيات تحسين الصحة ، جمعية معونة الشتاء ، جمعية الهلال الأحمر ، إتحادات ، مجالس خدمات المستشفيات .

٦ — وتبدو أنشطة الرفاهيـة الإجتماعية فى المؤسسات التعاونية القـائمة فى المجتمع المحلى . والتعاون نظام لايقوم على استغلال رأس المال وتحقيق الأرباح دون نظر إلى المصالح المشتركة والاعتبارات الروحية التى تجمع بين الأعضاء . فإن الجمعيات التعاونية تقوم على تحقيق الخدمات المادية للمشتركين فى عضويتها ، وهى عن طريق تأدية هـذه الخدمات تهدف إلى تكوين رجال يتحلون بفضيلة الاعتماد على النفس وتبادل المعونة فيما بينهم ، وسبيلها نشر الإخاء والسلام متوخية

منفعة الجميع على السواء متجنبة الكفاح بين الطبقات . والغرض الأول من الجمعية التعاونية هو تحسين المكانة الاقتصادية لأعضائها ، ولكنها تحقق غرضا أسمى من هذا بوسائلها ومبادئها وما تتطلبه من صفات فى أعضائها . والهدف الأسمى للتعاون هو تكوين رجال يتحلون بفضيلة الاعتماد على النفس ، وتبادل المعونة لبلوغ كل منهم مستوى الحياة الاجتماعية الجديرة بالإنسان[1] . وتختلف الجمعيات التعاونية باختلاف الأغراض التى ترمى إليها الظروف التى خلقت فيها وتنقسم إلى : جمعيات انتاجية ، جمعيات استهلاكية ، وجمعيات زراعية وجمعيات ذات غرض خاص . أما الجمعيات الانتاجية ، فقد شجعتها الثورة بخلق طبقة من القادة المحليين من بين العمال يقدمون رأس المال مما ادخروه أو اقترضوه ، ويزاولون الإنتاج بأنفسهم ، ويتحملون مخاطره ويقتسمون أرباحه وتساعدهم الدولة بالتوجيه والإرشاد والإقراض . ومن أمثلة هذه الجمعيات : جمعية صناع الأحذية بدمياط ، جمعية صناع الأثاث بالقاهرة ، والجمعية التعاونية المعدنية . والقصد من هذه الجمعيات القضاء على طبقة المستغلين من الرأسماليين وخلق قادة من الطبقة العاملة تسوس أمورها فى المجتمع الصغير وهو الجمعية التعاونية ، وتتدرج منها لفهم الديموقراطية الاشتراكية بمعناها الكبير .

وتهدف الجمعيات الاستهلاكية إلى التحرر من التاجر المستغل ، فيقوم المستهلكون بتكوينها للحصول على السلع الكاملة الصنع أو الخدمات اللازمة لاشباع حاجاتهم مباشرة عن طريق شرائها جملة أو عن طريق صنعها بأنفسهم ثم بيعها للأعضاء وتوزيع الفائض الناتج على الأعضاء فى شكل عائد ، وتشمل الجمعيات التعاونية المنزلية والمدرسية .

أما جمعيات بناء المساكن ، فإن الحرب الأخيرة بما جرته من توقف حركة البناء ، وما أصاب بعض المدن من تدمير ، وزيادة سكان المدن ، أدى إلى خلق

---

(١) عبد اللطيف عامر ، « الجمعيات التعاونية والاصلاح الاجتماعى فى الريف المصرى » فى خدمات الريف المصرى - وزارة الشئون الاجتماعية المطبعة الاميرية ، ١٩٥١ ، ص ٤٦ .

أزمة استحال على الأفراد حلها مع مقاولى البناء منفردين ، فلجأوا إلى التعاون فى إشباع حاجتهم من السكنى وساهمت الدولة فى ذلك بالقروض طويلة الأجل .

وتنشأ الجمعيات الزراعية للقيام بإنتاج السلع الزراعية وتخزينها وبيعها ، ومد الأعضاء عن طريق البيع أو الايجار بما يحتاجونه من أدوات أو أموال لاستغلال مزارعهم ، وفى مصر ثلاثة أنواع : الجمعيات الزراعية القديمة ، وهى التى أسست فى ظل القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ ، والجمعيات التى سجلت فى ظل القانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٤٤ . وكان الغرض الأصلى منها حماية الفلاح من المرابين بحصوله على السماد والبذور بضمان المحصول عن طريق الجمعية وبنك التسليف الزراعى والتعاونى وكذلك إنتاج السلع الزراعية وتخزينها وبيعها . أما النوع الثانى فهو جمعيات الائتمان الزراعى ، والهدف منها تأدية الخدمات للزراع بالقرى عن طريق جمعياتهم التعاونية حيث تصبح الجمعية التعاونية بنك القرية الذى يقوم بالتمويل بالاقراض وتقديم الأسمدة ومواد مقاومة الآفات والتسويق الزراعى والتصنيع.

وقد بدأ تنفيذ الائتمان الزراعى فى شهر يناير سنة ١٩٥٧ ليعم قرى الجمهورية فى خلال خمس سنوات ، فيصبح عدد الجمعيات التعاونية الزراعية ٤٢٠٠ جمعية .

أما جمعيات الاصلاح الزراعى ، وهى النوع الثالث من الجمعيات الزراعية بالجمهورية والتى أنشئت بقانون، فيقصر نشاطها على مناطق الاصلاح الزراعى حيث استولت الدولة على أراضى الاقطاعيين وقامت بتوزيعها على المزارعين ، ولكى تحفظ الدولة لهم ثروتهم وتخدمهم تعاونيا ، ساعدتهم على أن يكونوا أعضاء فى جمعيات تعاونية زراعية بقراهم حيث تقوم هذه الجمعيات بكل ما يحتاجه العضو من خدمات .

أما الجمعيات ذات الغرض الخاص،فهى التى تجمع بين الانتاج والاستهلاك ، وتسمى أحيانا بالجمعيات المساعدة لأنها تحقق كثيرا من الخدمات الفنية والتجارية والصناعية والمالية ، ومن أمثلتها الجمعية التعاونية لإنتاج وتوريد الأدوية وتخدم كل مناطق الجمهورية العربية .

ويقوم بتكوين هذه الجمعيات أشخاص غير العمال والمستهلكين ، وهم أرباب

الحرف وأصحاب الاستغلالات الصغيرة وصغار المنظمين تحقيقا لما يهمهم من منافع، فمثلا أعضاء جمعية الأدوية صيادلة تمدهم جمعيتهم بالأدوية المستوردة أو الخامات الكيماوية لصناعة العقاقير الطبية ، كذلك جمعية إنتاج وتربية الماشية وأعضاؤها من المهندسين الزراعيين المتخصصين فى تربية الماشية وتحسين نسلها .

ولهذا اتخذنا من قيام الجمعيات التعاونية المختلفة مقياسا للرفاهية الاجتماعية فى المجتمع المحلى .

٧ — وتبدو أنشطة الرفاهية الاجتماعية فى المجتمع المحلى فى المؤسسات الاقتصادية . وهذه المؤسسات إما صناعية ، أو تجارية ، ويعتبر زيادة عددها عاملا يؤدى إلى ارتفاع المستوى الاقتصادى للمنطقة التى تتوطن فيها .

٨ — وتبدو أنشطة الرفاهية الاجتماعية فى المؤسسات الصحية كما يبدو فى توافر عدد الأطباء وما يخص كل طبيب من السكان .

١ــ أساليب الرفاهية الاجتماعية

آثرنا أن نستخدم لفظ أساليب الرفاهية الاجتماعية بدلا من لفظ مناهج الرفاهية الإجتماعية ، إذ رأينا أن نقصر كلمة منهج على المنهج التاريخى ومنهج دراسة الحالة والمنهج التجريبى ومنهج المسح الاجتماعى ، أما الأسلوب أو الأداة فإن أمل الباحثين الاجتماعيين أن تصبح الأساليب أو الأدوات من الموضوعية والدقة والضبط ما بلغته فى العلوم الطبيعية ، ولا يزال هذا الأمل يراود هؤلاء الباحثين . والواقع أنه ليس من خلاف بين الباحثين عن ماهية المنهج التاريخى أو المنهج التجريبى ولكن الأسلوب أو الأداة مازالا يتأرجحان بين الموضوعية والذاتية ، ودليلنا على ذلك أن الأستاذ فيرتشيلد يعطى ثلاث صور للأسلوب الموضوعى وهو ذلك الاتجاه الذى يتخذه الباحث نحو موقف تغيب فيه التقييمات الثقافية أو الجماعية ، كما تتلاشى فيه أو تضبط التحيزات أو الاهتمامات الشخصية . والأسلوب موضوعى إلى الحد الذى يضعف عنده أو تدرك بصراحة التوترات الشخصية الناجمة من الملاحظات أو التأويلات وبحيث لا ترتبط بعملية الفحص . والأسلوب الثانى الذى يشير إليه فيرتشيلد هو الأسلوب الذاتى وهو ذلك الاتجاه الذى يتخذه الباحث نحو موقف يسمح فيه بالتقييمات الثقافية أو الجماعية أو الشخصية وذلك للتأثير على الملاحظة والحكم ، وهو موقف مقبول فى ثقافتنا (١)

التخطيط الاجتماعى :

مع تقدم النظريات فى الرفاهية الاجتماعية المعاصرة ، أصبح التخطيط الاجتماعى عملية لها دلالتها الخاصة من حيث تزايد أهميتها بتعقد المشكلات الاجتماعية والمجتمعات البشرية . ويعد التخطيط الاجتماعى طبقا لما ألقاه من

---

(١) يشير فيرتشيلد هنا الى الثقافة الامريكية .

ضوء ساطع على كثير من المشكلات ، إجراءا هاما وجزءا من عمل كثير من الهيئات والأفراد الذين يخصصون أنفسهم لبحث جميع مظاهر الرفاهية الاجتماعية ، واعتبر أداة أساسية توجيهية ومرحلة من مراحل عملية تنظيم المجتمع والتغير الاجتماعي .

ونستطيع أن نعرف التخطيط الاجتماعي بأنه عملية تتماسك فيها الأفكار والمبادىء التي تثير بصياغتها دعوة إلى العمل في المستقبل ، كما تتضمن توصيات واقتراحات وبرامج عملية تقوم على أساس تنبؤ من الحوادث والظروف وكنتيجة للبحوث والاختبارات للجهود البشرية التي تؤثر بعضها في بعض ويتصل بعضها ببعض[1] . وتبدأ هذه العملية بافتراض أن الغايات المنشودة يمكن تحقيقها بمعرفة المؤثرات الاجتماعية المتعددة ، ولهذا فإن التخطيط الاجتماعي يتجه نحو المظاهر الدينامية للحياة البشرية ، وكما اتضح في كثير من البحوث التي اعتمدت على التخطيط الاجتماعي كنهج من مناهج البحث ، فإن تحقيق الغايات البعيدة التي يهدف إليها المشرعون والمصلحون ليس أمرا عسير المنال .

وجدير بنا أن نشير هنا إلى أن التخطيط الإجتماعي عملية صعبه معقدة ، تحتاج إلى تفكير فلسفي ودقة علمية وعلة ذلك أن حياتنا البشرية ، ليست حياة ثابتة مستقرة على حالة واحدة ، وأن العناصر غير المعروفة في تكوينها قد تلعب دورا أهم من عناصرها المعروفة . ولقد أشار العالم الإجتماعي « ماك إيفر » إلى ذلك في كتابه (المجتمع) حيث يقول « ربما تكون أعظم وأصعب مهمة تواجه الإنسان المتحضر هي أن يكشف — بفضل ذكائه التعاوني — كيف يتجه اتجاها سليما ناجحا إلى خدمة الغاية العامة المشتركة مع تعدد الوسائل المادية وتعقد النظم الاجتماعية[2] » ، وبالإضافة إلى ذلك فإن طبيعة الحياتين الاجتماعية والفردية تنطوي على عوامل عاطفية ، بحيث تطغى على العوامل والاعتبارات العقلية ؛ وكما

---

(١) محمد خيري ، التخطيط الاجتماعي ، مجلة الخدمة الاجتماعية ، العدد الاول ، فبراير سنة ١٩٥٥ ص ٤٢ و
Hillman A., Community Organization & Planning, The Macmillan Co., New York, 1950, pp. 35-38.

(٢) ماكيفوبدج ، المجتمع ، ترجمة على احمد عيسى ، مكتبة النهضة العربية ، ص ١٧٤ .

أن كل فرد يعتبر وحدة في ذاته ، فإنه من الصعوبة النسبية تصميم منهج بطريقة تحقق جميع الغايات لجميع الأفراد . والتفاوت بين الأفراد في القدرات البشرية والفروق الفردية والظروف الاجتماعية والعوامل الدافعة . والتباين بينهم في الاعتبارات النفسية والاجتماعية ، كل هذه وتلك تعقد عملية التخطيط الاجتماعي ، وربما تبدو أهمية هذه الاعتبارات لعامل آخر ، هو عدم قدرة من يعمل في ميدان التخطيط الاجتماعي نفسه ، بحيث لا تتحقق به الآمال المعقودة والنتائج المنتظرة . ولهذا فإن نظرية المحاولة والخطأ ومزاولة التجربة ، تكون جزءاً له دلالته الهامة في محاولة التخطيط ، كما أن الأهداف التي تستهدفها السنوات الخمس المستقبلة . قد تبدو بعد انقضاء هذه الفترة من التفاهة بحيث لا يمكن أن تستقيم مع اكتشافات العلم الحديث ، والحاجات التي تتطلبها الإنسانية حينذاك .

ولهذا فمن الأمور البعيدة عن الشك ، وتبعا للنتائج والصعوبات الكثيرة التي أشرنا إلى بعض منها آنفا ، يتفق المخططون الاجتماعيون على مبدأ واحد يحتم استمرار عملية التخطيط الاجتماعي من حيث البحث فيها والتحقق من أصولها لتتصف بصفة الواقعية المحسوسة ، ولكن على الرغم من هذه الصعوبات الجمة ، فإن التخطيط الاجتماعي هو المنهج المنطقي للتغلب على مشكلات العصر الحديث . ونحن نعلم أن جميع النظم العلمية تنطوى على إمكانيات معينة تفيد في فهم المشكلات المتعددة التي يواجهها البشر ، وكما أن الأفق العلمي قد امتد فشمل ميادين عديدة من المعرفة ، فإن فوائد هذه المعرفة تبلغ أقصى مداها عند ترابط أجزائها بحيث تبدو بينها الوحدة والاتساق .

ولقد اتفق العلماء[1] على الأسس العلمية للتخطيط الاجتماعي ، وحصروها في أربع قواعد :

١ — فكرة التقدم
٢ — فكرة التطور .
٣ — التفكير الديني
٤ — البحث العلمي .

Hoilerg O. G. Exploring The Small Community, Univ. of Nebraska Press, 1955, pp. 12-23.

وإنه ليتضح من الخبرات الإنسانية الطويلة الماضية أن الإنسان قد أدرك أهمية بعض القيم العليا فى حياته الاجتماعية كما أدرك أن وسائل معينة وظروف خاصة من الحياة هى التى تحقق له ما يصبو إليه من آمال وأحلام ، وأن ما عداها من هذه الوسائل والظروف ، تبعده عن هذه الآمال والأحلام ، كما أدرك أن اتباعه برامج خاصة فى العمل ومثابرته على اتخاذ أحوال معينة من السلوك ، لا تحقق ما يهدف من غايات أو ما ينشد من آمال .

ومعنى ذلك أن الإنسان فى تقدمه الاجتماعى ، ومن خلال خبرته الماضية ، وعلى ضوء ما اكتسب من محاولات فى عصره الحاضر ، قدقيم هذه الخبرات وعرف أنه بفضل جهوده ومحاولاته وعلمه سيحقق حياة بشرية أفضل . هذه هى مجمل فكرة التقدم التى هى الأساس الأول من أسس التخطيط الاجتماعى .

أما فكرة التطور فتعنى أن المجتمع الإنسانى يتحرك إلى الأمام ، وأنه سيستمر فى حركته هذه دائما ، ويتضمن هذا مستوى مرتفعاً فى المعيشة والصحة وكذلك الشأن فى التربية والتعليم وأحوال العمل والتغلب على المواصلات وضيق الرقعة .

ومع الإيمان بالفلسفة الدينية فى الحياة ، فإن الإنسان يؤمن كذلك بإمكان حياة أفضل وعيش أرغد ، وتتضمن قواعد الدين أسسا تؤدى إلى تحسين البيئة .

ومع ذلك كله فإن قواعد التخطيط الاجتماعى فى العصر الحديث، مستقرأة من البحوث العلمية وقائمة عليها ، فالاكتشافات الجديدة تثير فى نفس الإنسان أموراً قد تغير من نظرته إلى المجتمع ، وتوجد مشكلات من نوع جديد ، الأمر الذى يصبح معه التخطيط الاجتماعى أكثر ضرورة — لا فى مجال تطبيق المعارف الجديدة فحسب — بل فى ميدان المشكلات التى تنجم عن التغير الاجتماعى الذى يفتقد فيه كل خبرات أو توجيهات .

وعندما ننظر إلى التخطيط الاجتماعى فى ميدان الرفاهية الاجتماعية فى وقتنا الحاضر ، نلاحظ أنه عملية شاملة تتضمن جميع مظاهر حياة الإنسان منذ أن يتزوج وينجب أطفالا يتدربون على وسائل الحياة بالتعليم والخبرات ، كما

تتضمن استغلال أوقات فراغه والعناية بالعاجزين عن العمل ، كما تشمل على مشكلات الإفادة من الأرض ومواردها ، والعمل والصناعة والبناء السياسى والتشريعى للدولة . ويجمل ذلك أن التخطيط الاجتماعى ، عملية شاملة لجميع النظم الاجتماعية والموارد الاقتصادية .

والخلاصة أن التخطيط الاجتماعى يأخذ مكانه بين الهيئات الأهلية والخدمات الاجتماعية التى تعتمد على أسس فن الخدمة الاجتماعية ، وإلى هذا المدى تتصل الجهود التى تبذل فى عملية التخطيط الاجتماعى بعملية توازن بين الاحتياجات البشرية والخدمات الاجتماعية ، وكلما ازدادت الهيئات التى تعمل فى ميدان الرفاهية من حيث العدد والتخصص الفنى ، صارت الحاجة أدعى إلى تصميم أو أو تخطيط تعاونى بحيث لا تتضارب الجهود أو تتكرر الخدمات .

وتبعا لهذه الفلسفة يوضع التخطيط الاجتماعى [1] حيث :

١ — يعبر تعبيراً صادقا عن حاجات الأفراد الذين يضمهم المجتمع .

٢ — يقوم الأفراد بمساعدة أنفسهم فى حدود إمكانيات البيئه .

٣ — يشارك الأفراد الذين يفيدون من الرفاهية الاجتماعية فى رسم وسائل العلاج أن وضع التخطيط . وليست هذه المبادىء الثلاثة مجرد دليل على الديمقراطية السياسية والاجتماعية فحسب ، بل أنها تحمل بين طياتها عوامل النجاح أيضا وتحقق توحيداً للغايات التى يستهدفها التخطيط ، فضلا عما يترتب على ذلك من فهم للنتائج وتقبل لما تدعو اليه .

وكما أشرنا إلى صعوبة التخطيط فى محيط العلاقات البشرية وتعقد عمليته فاننا نشير كذلك إلى اختلاف الميول والغايات التى تستهدفها الهيئات المختلفة فى المجتمع والصعوبات التى تواجه تكوين أهداف واحدة ، إذ قد يبدو التناقض فى تحديد العوامل التى تسبب هذه العلة أو تلك ، أو قد تثار الخلافات بسبب تخير هـذا المنهج أو ذاك ، وتشمل عملية التخطيط الاجتماعى ثلاث مراحل متميزة .

المرحلة الأولى : وهى مرحلة محاولة الوصول إلى اتفاق على الأهداف أو الغايات التى يجب تحقيقها .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤ — ٣٢ .

المرحلة الثانية : وهى مرحلة محاولة الوصول إلى شعور عام بأفضل الطرق وأحسن الوسائل لتحقيق هذه الغايات .

المرحلة الثالثة : وهى تلى المرحلتين السابقتين ، وتتضمن تحليل عناصر التخطيط الاجتماعى بحيث تتضح — بعد الاتفاق على الغايات والوسائل والأدوات التى تيسر الوسائل — الحاجة إلى العناية بالموارد والأفراد والقوائم الإحصائية الزمنية .

وقبل إعداد وعمل التخطيط الاجتماعى تجمع الحقائق وتحلل وتفسر . ويواجه جامعو هذه الحقائق كافة الاعتبارات التى تحتاج إلى دراسة جميع مظاهر المشكلة بروح من العناية الفائقة ، ويتم هذا كله قبل رسم المقترحات التى تكفل حل هذه المشكلة . وينتج عن هذا كله عمل واحد من هذا النوع أو ذاك ، ومن هنا تتضح صلة التفاعل بين عملية التخطيط الاجتماعى وتنظيم المجتمع — الذى هو إجراء يحقق تنظيم موارد البيئة بحيث تسد حاجات هذه البيئة — وفى محاولة وضع تخطيط اجتماعى ينبغى على المخطط الاجتماعى أن يتعرف على مجتمعه تعرفا شاملا ، بحيث يلم بالهيئات المحلية وموارد البيئة ونظمها الاجتماعية ، كما ينبغى عليه أن يتعرف حالة استعداد هذا المجتمع الذى سيحدث فيه ما ينشده من تغير اجتماعى ممكن . وقد تقف الميول المتعارضة والأهواء المتباينة حجر عثرة فى سبيل التصميم المقترح ، ولهذا فإن الإقلال من المقترحات رغم الاحتياجات الكثيرة وتأجيل بعضها فى المرحلة الأولى ، يؤدى إلى النجاح فى التنفيذ ، كما أن تنفيذ التخطيط الاجتماعى خطوة خطوة — بحيث يتضمن ذلك تحقيق الغايات النهائية — قد يجنب الفكرة الشاملة للتخطيط من كثير من النقد حيث تهتم غالبية الأفراد بالنتائج والاعتبارات المباشرة ، أكثر من مجرد الانتظار لتوقع النتائج البعيدة .

ورغم أن التخطيط الاجتماعى متصل بمهنة الرفاهية الاجتماعية وخاصة بمجلس المنظمات الاجتماعية ، فإن كل مشتغل بإحدى مظاهر الرفاهية الاجتماعية ، يعتبر معنيا بالتخطيط الاجتماعى وفن تنظيم المجتمع . وقد أوضح العالمان جونس ودى مارش فى كتابهما « التخطيط الاجتماعى ومسئوليات الهيئات » الحقيقة

الآتية ، تبدو الأهمية البالغة للتخطيط الاجتماعى وفن تنظيم المجتمع كلما كان التغير الاجتماعى مستمرا وكلما كانت الحاجات البشرية غير متوفرة ، وكلما دفعت الحاجة إلى الإحساس بقيمة الخدمات ، وكما يتباين الأفراد تتباين المجتمعات ، ولذا فإن قيمة التخطيط تبدو من خلال تعرف كيفية وصول المجتمعات المختلفة لمشكلاتها المتعددة [1] ولقد وضعت بعض المبادىء الخاصة بعملية التخطيط الاجتماعى يمكن تلخيصها فى النقاط الأربع الآتية :

١ — يجب أن يتضمن التخطيط الاجتماعى مشاركة العوامل الاقتصادية الكبرى فى المجتمع .

٢ — يجب أن يتضمن التخطيط الاجتماعى مشاركة الهيئات الأهلية التى تضع برامج تنفيذ أعمالها ، وكذلك مشاركة الموظفين المسئولين عن تنفيذ البرامج العامة الكبرى .

٣ — يجب أن يتضمن التخطيط الاجتماعى مشاركة فعالة للقادة المدنيين المنتخبين من ميادين الخدمة العامة .

٤ — يجب أن يشمل التخطيط الاجتماعى تمثيلا واسعا من الهيئات الاجتماعية المختلفة وتقوم هيئة مركزية حية بوضع التخطيط النهائى .

ومثل هذا التخطيط الشامل للمجتمع يمكن تقسيمه بعد ذلك إلى تنظيمات فرعية . ومن الواضح أن هناك طرقا أخرى للتنظيم والتخطيط ، على أن أهم الاعتبارات ذات الشأن فى ذلك هو تمثيل الميول والنظم والهيئات التى يضمها المجتمع . ولقد أضاف منظمو المجتمع — أو منسقوه بتعبير آخر — كثيرا من المعرفة لعملية التخطيط الاجتماعى ، ومن ذلك ما نلاحظه من أن التعاون بين المجتمعات لا يمكن حدوثه فجأة ، ولكنه يكون نتيجة لمجهود مستمر . وتبعا لإرادة المجتمعات نفسها التى تعمل معا . ومع ذلك فإن المنظم الاجتماعى

---

(١) محمد خيرى ، التخطط الاجتماعى والرفاهية الاجتماعيـة ، ص ١٠٣ ، مجلة الخدمة الاجتماعية العدد الاول ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

يستطيع بمهارته وذكائه إبراز أهمية هذا التعاون بين المشتغلين والمهتمين بمظاهر العمل المختلفة فى الميدان الاجتماعى ، وذلك بإثارة وسائل الفهم التى لا تشمل المعلومات الحقيقية المتعلقة بالمجتمع فحسب ، بل تشمل معرفة احتياجات المجتمع وإمكانياته أيضاً .

والمبدأ الثانى الذى يقدمه منظمو المجتمع للقادة المحليين ، هو وجوب مساعدة هؤلاء القادة فى الحصول على ما يبتغون . ومعنى هذا أن يكون الاخصائى الاجتماعى أكثر حيوية ونشاطا لخدمة أفراد المجتمع عن طريق إمكانيات البيئة نفسها ليصل إلى الغايات التى يستهدفها أفراد هذه البيئة . وليستطيع تقديم المساعدة فى عمل تصميمات عملية تحقق هذه الأهداف .

وبانقضاء فترة من الزمن فى تنفيذ هذا الإجراء ، يصبح العمل معاً والتعاون بين الجهود « عادة » وبتحقيق الغايات البعيدة يزول النزاع إلى حد بعيد .

وحقيقة أخرى يضيفها فن تنظيم المجتمع ، هى وجوب تعلم المخططين الاجتماعيين العمل مع الناس . إذ أن مهمتهم الأساسية هى مساعدة أفراد المجتمع فى تغيير موقفهم إزاء أنفسهم فى أن يتأثر سلوكهم إزاء العمل التعاونى . ويشير « ستروب » فى كتابه « الخدمة الإجتماعية » إلى أن « عمل المنظم الاجتماعى مع القادة هو المفتاح الذى يمهد السبيل لحل المشكلات ولجعل البرامج أو التخطيط عملية واقعية [1] » ، وكما أوضح كثير من الثقاة ، فإن الخدمة الاجتماعية ، وفن تنظيم المجتمع كفرع منها ، لا يمكن أن تكون مسئولة وحدها عن جميع نواحى النشاط الاجتماعى ، إذ أن للمنظمات التعليمية والمنظمات التى تؤدى وظائف أخرى الحق فى أن تكون مسئولة عن ميدان معين من ميادين الرفاهية ليمكن الإفادة من هذه المنظمات كلها فى مساعدة المجتمعات المختلفة لإيجاد وحدة بين وسائلها المتعددة لرفاهية المجتمع .

وقد كتب الأستاذ جيمس فورد ، الأستاذ بجامعة هارفارد فى كتابه

---

(1) Stroup H. H. Social Work, An Introduction to The Field, New York, American Book Co., 1948, pp. 598-600.

والتخطيط الاجتماعي يستهدف محاربة الفقر « مانصه » في التخطيط الاجتماعي والإقتصادي ، كما هو الشأن في البرامج الأخرى لنواحي النشاط البشري ، تكون سرعة الوصول إلى الهدف بمقدار الإستفادة من الذكاء والحكمة في تنظيم الوسيلة»(١) والسياسة الرشيدة هي التي تتضمن معرفة شاملة للظروف والمؤسسات والهيئات بحيث يتيسر الحصول عليها عند الحاجة. ولا غناء هنا عن القادة القادرين، كما ينبغي توزيع العمل بحيث تتم جميع الأجزاء معاً ويمكن أن تقوم الهيئات المتخصصة ذات الخبرة بالمهام الخاصة . وتقوم كل هذه الهيئات بما يعهد إليها من أعمال تحت رقابة موجهة . وتتطلب عملية التخطيط أن يقوم العمل على أساس دقيق من المعرفة الكاملة. وقد يحسن تأجيل البدء في التنفيذ بضع سنوات تفاديا لأخطاء تنجم عن معرفة ناقصة . ويتطلب الأمر دوام هذا البحث لكشف المؤثرات الدقيقة للخطة أثناء العمل ، ولمعرفة الوسائل التي تتغلب على عوامل النقص .

ورغم اتفاق الكثيرين على فائدة فن تنظيم المجتمع في معالجة المشكلات الاجتماعية، فإنه تقوم بعض الحواجز في سبيل هذا التعاون ، وقد وقد ذكر الأستاذان جونس ودى مارش في كتابهما السابق الاشارة إليه بعض هذه العوائق ، منها مايتصل بالحاجة إلى الفهم الصحيح ومنها مايتصل بعامل المنافسة وعامل الحقد وهي عوامل تقف حجر عثرة في سبيل التعاون .

وثمة عامل آخر يضاف الى هذه العوامل ، وهو عامل العزلة وأثره في تعاون الهيئات ، وما لم تتبادل المعلومات ويتعرف كل فريق على أهداف الفريق الآخر فشل هذا التعاون فشلا ذريعا .

ولهذا فمن الأمور التي ينبغي أن نسلم بها كبديهية لا تحتاج الى إعمال فكر أن يرتفع الاخصائيون في ميادين الرفاهية عن عوامل الحسد والحقد والتنافس . وقد ترجع هذ العوامل إلى قوة الهيئات ومقدار أثرها في المجتمع ، وإيمان الناس بها ، وضعف بعض الهيئات الأخرى من حيث أثرها وأعمالها ، ولو عرفنا أن

---

(١) محمد خيري ، نفس المرجع السابق

أن هذا الضعف قد لا يرجع إلى الاخصائيين أنفسهم بقدر ما يرد هذا الضعف إلى نقص فى الموارد أو قلة فى عدد القائمين بالخدمة لبدا الأمر أيسر من ذلك وأهون .

ولكننا نشير هنا إلى أن ضعف التدريب المهنى وقلة الخبرة وعدم توافر الشخصية المتكاملة ، تعد من بين الحواجز التى تعترض التعاون التام . ويرى فريق من المتخصصين فى ميدان التخطيط الاجتماعى ، أن الفهم الشامل لأفراد المجتمع فهما موضوعياً يؤدى إلى إلغاء هذه العوامل ، ومن هنا يتضح الدور الخطير الذى يلعبه فن القيادة فى التخطيط ، فالقادة ومنظمو المجتمعات يجب أن يؤمنوا بقدرات الأفراد الآخرين ، ويجب أن يتجنبوا عمل شىء للمجتمع ، وأن يمكنوا المجتمع نفسه من أن يقوم بخدمة نفسه بنفسه؛ وبالإضافة إلى ذلك يجب أن يسلموا للمجتمع بحق تقرير مصيره ، وبعبارة أخرى مختصرة نقول يجب الإيمان بقدرة الفرد التى تمكنه من فهم ما حوله عن طريق بصيرته وأن يجنى الفرد بنفسه ثمرة ما غرس .

وعلى الرغم من التقدم الواضح الذى نلمسه فى فن تخطيط المجتمع ، ورغم إفادة هذا الفن فى علاج المشكلات الاجتماعية ، إلا أننا لا نزال بعيدين عن الهدف . فما زالت البحوث بعيدة عن الكمال ، وما زالت الأهداف متضاربة متباعدة ، وما زالت الحاجة ماسة لخدمات اجتماعية عاجلة .

واضح من هذا كله أن التخطيط الاجتماعى عملية تتم بين هيئات أو مؤسسات تقوم كل هيئة منها بناحية من نواحى الرفاهية الاجتماعية . وبدافع من تحقيق هدف واضح تتعاون هذه الهيئات فى رسم سياسة تحقق الهدف ، ومع ذلك ، فإن هذا النوع من التخطيط لم ينجح النجاح الذى كان يتوقعه راسمو البرامج وواضعو أسسه ، ولهذا رأت الدول ، وخاصة الدول الاشتراكية التى تتميز بنظرتها إلى العمل والحرية نظرة تختلف عن نظرة الدول الرأسمالية إليهما ، أن تتدخل فى رسم برامج الرفاهية . فالعمل من وجهة نظر الأيديولوجية الاشتراكية حاجة إنسانية كالغذاء والكساء والدواء والتعليم . وليست الحرية حرية القول والعقيدة ثم يترتب على ذلك عدم تحرر الأفراد من طبقة مستغلة تتنافس مع بعضها البعض للحصول على أكبر ربح ، وهو الربح الذى يتحقق بالاستغلال وحرمان العاملين

من حقوقهم الأساسية ، وإنما الحرية في المفهوم الاشتراكي تحرر من الفقر والعوز والحرمان ، وتحرر من القلق والإستغلال ويؤدى هذا التحرر بالتالى إلى حرية القول . حرية العقيدة ثم إلى الإخاء والمساواة. وهكذا تدخلت الدولة الاشتراكية فى وضع تخطيط إقتصادى وإجتماعى لمجتمعاتها ، كما تباينت الرفاهية الاجتماعية التى تقدمها الدولة الاشتراكية عن الخدمات الاجتماعية التى تقدمها الدولة الرأسمالية ، وسنشير فيما بعد إلى هذا التباين فى شيء من التفصيل .

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن التخطيط الشامل لأنشطة الرفاهية الاجتماعية يقوم على عدة قواعد[1] هى :

١ — حصر جميع أنواع الخدمات المباشرة وغير المباشرة التى يلزم توفيرها للوفاء بحاجات الشعب .

٢ — تحديد المستويات التى يجب أن نستهدف الوصول إليها بالنسبة لكل نوع من الخدمات .

٣ — حصر الخدمات الحالية ومدى توافرها وتوزيعها على كافة مناطق وعلى فئات الشعب .

٤ — تحديد الزيادة اللازمة فى كل أنواع الخدمات للوصول للمستوى المطلوب مع عدالة التوزيع .

٥ — حساب تكاليف الإنشاء وتوزيعها على السنوات طبقا لإمكانيات البلاد .

٦ — توفير المواد اللازمة لعمليات الإنشاء والتجهيز على اختلافها .

٧ — إعداد الفنيين اللازمين لإدارة مختلف المنشآت .

---

(١) أطلس الخدمات . المجلس الدائم للخدمات العامة ، ١٩٥٤ .

٨ — إعداد البرامج والنظم التى تسير عليها المنشآت الجديدة لتحقيق الأغراض المقصودة منها :

٩ — الارتفاع بمستوى الخدمات الحالية حتى تصل إلى أقصى الكفاءة بأقل النفقات .

١٠ — حساب تكاليف التجهيز والإدارة لجميع المنشآت للحصول على صورة كاملة للأعباء التى ستتحملها الدولة .

١١ — التنسيق بين التخطيط الاجتماعى والتخطيط الاقتصادى حتى يتحقق التوازن بين الحاجات والإمكانيات على طول المدى .

١٢ — إنطباق البرامج على حاجات الأفراد والمجتمع ومسايرتها للتطور الاقتصادى الاجتماعى الذى تستهدفه البلاد .

وثمة شروط ينبغى توافرها لإجراء تخطيط إجتماعى سليم . وأهم هذه الشروط :
الشمول والتكامل وترتيب الأولويات ومساهمة المواطنين والتحليل الفنى للامكانيات الاقتصادية وإدراك صعوبة التخطيط الطويل المدى .

ومعنى الشمول هو رسم الخطة على أوسع نطاق ممكن وبحيث يكون مداها أبعد من الحاضر وبحيث لا يربط واضع الخطة أهدافه بواقع الحاضر فحسب ، بل ينبغى أن يتوقع إطراد النمو فى المستقبل ، لأن المجتمعات البشرية ليست جامدة أو ثابتة على حالة واحدة ، إذ بفضل الاكتشافات العلمية والخبرات الكثيرة تحققت حياة بشرية أفضل ولهذا ينبغى أن يراعى فى تصميم البرنامج الاجتماعى أن يقسم إلى برنامج قصير المدى وآخر طويل المدى يتوقف نجاحه على إنجاز البرنامج الأول .

ونعنى بالتكامل أن تأخذ الخطة بعين الاعتبار جميع الظروف والعوامل والقوى التى تؤثر وتتدخل فى المشروع [1] .

---

(١) حامد عماره ، العمل الميدانى فى الريف ، مجلة التربية الاساسية ، خريف ١٩٥٤ ، المجلد الثانى ، العدد الثالث ، ص ١٣ .

ويتطلب التكامل مواجهة المشكلات ومعالجتها من جميع النواحى الاقتصادية والصحية والتعليمية والاجتماعية ، وأن تكون برامج المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة متصلة برامجها بعضها ببعض وبصورة تغذى كل منهما الأخرى .

ومن شروط الخطة الناجحة — كما ذكرنا — دراسة الأسبقيات ، وهذا ما يبرر إعداد جدول تام بالتيسيرات المتوافرة ، فالمنطقة الجغرافية التى حظيت ببعض نواحى الرعاية يمكن إناطة العناية بها بالمنظمات القائمة التى تعمل فيها ، أما إذا كانت حاجة المنطقة ماسة فيجب تقديم كافة أنواع المساعدة حتى تنشط فى فترة زمنية وجيزة ، أما الخدمات الملحة السريعة فقد تكون منفذة فى البيئة وقد تقررها الهيئات والمؤسسات القائمة فيها على أن للأولوية ثلاثة جوانب : جانب الزمن وجانب الاهتمام والعناية وجانب المال ؛ أما جانب الزمنى فمن المستحسن أن يحدد واضع الخطة الزمن الذى يزمع أن يبدأ فيه مشروعه تحديدا ولو تقريبيا . وقد تكون الأولوية نتيجة لإحساس الناس بقيمة المشروع وحاجتهم إليه وإلحاحهم فى المطالبة به ، وفى هذه الحالة لابد أن يكون لهذا المشروع أولوية فى التخطيط والتنفيذ . ويستحيل أيضا وضع أى برنامج للرفاهية الاجتماعية دون تعاون تام من المواطنين . ويتمثل الشعب إلى حد بعيد فى المنظمات المتطوعة أو المنظمات غير الحكومية . « ليس التخطيط جزءا منفصلا عن نواحى نشاط المجتمع ، أنه متصل بها ومتداخل فى عمل الهيئات المتعددة وكذلك متداخل فى أعمال المؤسسات المتطوعة . أن المشاركة الأهلية مهمة جدا فى تكوين السياسة الاجتماعية. أن التخطيط عملية ديموقراطية يشترك فيها الفنيون وغير الفنيين ، فإن لكل فرد دوره الذى يجب أن يلعبه »[1] .

ولهذا ينبغى أن يوضع التخطيط الاجتماعى بحيث يعبر تعبيرا صادقا عن حاجات الأفراد الذين يضمهم المجتمع وبحيث يقوم الأفراد بمساعدة أنفسهم فى حدود إمكانيات البيئة وبحيث يشارك الأفراد الذين يفيدون من الرعاية الاجتماعية

---

(1) A. Hillman, Community Organization and Planning, The Macmillan Co., N.Y., 1950, pp. 36-37.

فى إقتراح وسائل العلاج أو وضع التخطيط وليست هذه المبادىء الثلاثة مجرد دليل على الديموقراطية الاجتماعية فحسب ، بل أنها تحمل بين طياتها عوامل النجاح وتحقق توحد الغايات التى يستهدفها التخطيط ، فضلا عما يترتب عليها من فهم للنتائج وتقبل لما تدعو إليه . و ليس المهم أن يكون لدينا تخطيط ديموقراطى بل المهم أن يكون لدينا وعى بأن التخطيط فى عصرنا الحديث عملية لا يمكن الاستغناء عنها للمحافظة على الديموقراطية »[1] .

والهيئات التى تقوم بإجراء التخطيط الإجتماعى :

١ ــ مجالس المنظمات الإجتماعية Council of Social Agencies وتختص هذه المجالس بايجاد الترابط بين الهيئات الأهلية والحكومية العاملة فى محيط جغرافى معين . وتتكون عضوية هذه المجالس من عضوين عن كل هيئة تهتم بأنشطة الرعاية الإجتماعية

٢ ــ المجالس المتخصصة : وتهتم هذه المجالس بايجاد الترابط بين الهيئات الأهلية والحكومية المشتغلة فى ميدان خدمة معينة وذلك بغرض الوصول بهذه الخدمة إلى ما يحقق إشباع الحاجة الإجتماعية للسكان بالنسبة لهذه الخدمة . وتهتم مثل هذه المنظمات بتقييم الخدمة القائمة ومدى تحقيقها لاحتياجات السكان وترقية مستوى الخدمة وتدريب القائمين بها وتفسير البرامج القائمة للجمهور ومنع التضارب فى برامج الهيئات وتوضيح النقص فى هذه الخدمة والقيام بالبحوث والدراسات . ومن أمثلة المجالس المتخصصة فى الجمهورية العربية المتحدة الاتحاد العام لرعاية الطفولة والاتحاد العام لرعاية الأحداث والاتحاد العام للدرن ويشمل نشاط هذه الإتحادات الجمهورية كلها ، ثم اللجنة المشتركة لرعاية ذوى العاهات ويشمل نشاط هاتين اللجنتين محافظة القاهرة .

٣ ــ مجالس التمويل المشترك Community Chest

٤ ــ سجل تبادل المعلومات Social Service Exchange

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

« إن وضع الأهداف فى التخطيط الإجتماعى من أشق الأمور وأعسرها . ونحن نريد أن تكون هذه الأهداف واقعية يمكن الوصول إليها، وبحيث تكون عامة، وبحيث تحقق فائدة لأكبر عدد ممكن من الناس وبحيث تتفق وما يطمح إليه هؤلاء الناس . وإذا كان العالم يستطيع أن يضع أهدافه بوضع الفروض والسياسة ، يستطيع ذلك فى عبارات إنسانية تتفق وأصول الإجتماع، والقائد الدينى يستطيع ذلك بحيث يوفر راحة تامة لنفوس الظامئين ، فإن العمل فى وضع التخطيط الاجتماعى ليس من السهولة التى يجدها هؤلاء فى ميادينهم » (١)

«بدون أهداف محددة لايمكن عمل تخطيط ، ويهدف التخطيط إلى الإستفادة — أكبر الإستفادة — من المصادر المختلفة والتكامل للحياة الأجتماعية » (٢)

والتخطيط من الوجة النظرية لايمكن أن يعمل فى فراغ بل يجب أن يكون موضوعيا . يجب أن يقدم التخطيط انجاز عمل من الأعمال ، ولكن يبدو أن الأمر العادى يتطلب الإجابة على السؤالين الآتيين : إلى أين نحن نسير ؟ ولماذا ولهذا؟ لاينبغى أن نفصل بين الأهداف والتخطيط نفسه . « وصحيح أن تكوين الأهداف هو الخطوة الأولى فى مراحل التخطيط ، ولكن يمكن تبسيط هذه النقطة لو تصورنا أن الأهداف تشبه الخريطة ، فهى توضح لنا إلى أين نريد أن نذهب وتشير إلى الطرقات التى تقودنا إلى حيث نريد . وعلى العموم فان الأهداف تجعل من اليسير تقييم مدى ما وصلنا إلى تحقيقه خاصا بآمالنا » (٣)

ويقول الأستاذ تريكر : إذا أردنا عمل تخطيط اجتماعى فيجب أن

---

(١) H. Trecker, Group Process in Administration, Woman's Press, N.Y., 1950, p. 69.

(٢) ا . هيلمان ، المرجع السابق ذكره ، ص ٣٥ .

(٣) هـ . تريكر ، المصدر السابق ذكره ، نفس الصفحة .

يتوافر لدينا المخططون ، فهم الذين يولون عنايتهم هذا العمل ، وهم مزودون بمهارات فائقة ، والقائم بالتخطيط يلم بالأسئلة : ماهى الحاجات ؟ ماهى وظيفتنا إزاء تحقيق هذه الحاجات ؟ ما هي الفجوات الأكثر احتياجا لتقديم الخدمة فيها؟ ما هي أكثر المشكلات الإجتماعية حدة ؟ ما هى المصادر ؟ ما هو المجهود المنسق المطلوب ؟ وتكشف هذه الأسئلة عما يأتى :

١ — الحاجة إلى مهارة فنية لاجراء عملية مستمرة تتوحد بواسطتها المشكلات .

٢ — الحاجة إلى مهارة فنية لجمع الحقائق والمعلومات التى تفصح عن هذه المشكلات.

٣ — تستخدم المهارة الفنية فى ايجاد منهج عملى لتحليل الحقائق كمقدمة سابقة لازمة لعمل الخطة .

٤ — تكوين الخطة الحقيقية تأتى مباشرة فى أثناء إجراء العملية الكبرى .

٥ — المهارة الفنية مطلوبة فى وضع الاجراء لأدوات الخطة(١) .

والمهارة الإدارية فى الخطه تظهر فى القيادة المستمرة المتكاملة . وهذه الفكرة الخاصة بالإدارة فى التخطيط تحمل معها المبادىء الآتية :

١ — يجب أن نهتم بالوقت المخصص للتخطيط كشىء هام جدا لا كبرج عاجى .

٢ — يجب أن نكون واضحين فى أغراض التخطيط لتجنب ضياع الوقت والنتائج غير الواقعية .

٣ — يجب أن نكون شاعرين بأن كل فرد قد ساهم فى عملية التخطيط لا إشراك النخبة المختارة فقط .

---

(١) تريكر ، المصدر السابق ذكره ، ص 71

٤ — أن دورنا فى التخطيط هو دور القيادة لا فرض الآراء .

٥ — لتكون نتيجة القيادة فعالة يجب أن نتعرف على المطالب السيكولوجية للتخطيط .

٦ — إن مبادىء الإدارة هامة جداً بالنسبة للتخطيط .

٧ — روح التخطيط هى المشاركة وتتلخص المطالب النفسية للتخطيط فيما يلى :

(ا) يجب أن نعلم أن التخطيط عملية إيجابية لا سلبية ، وقولنا أن الأمر يحتاج إلى تخطيط معناه أن هذا الأمر خطأ ويجب تصحيحه .

(ب) يجب أن نتحرر من الخوف ، خشية أن التخطيط ناتج عن آخرين قد أملوه ، ولما كان التخطيط صادراً عن عقل أو إرادة تمثل الجماعة فسرعان ما يزول هذا الخوف .

(حـ) كثيرا ما يقال إننا فى حاجة إلى العمل أكثر مما نحتاج إلى « وضع برامج » وفى كل ثقافة : إن الذى يعمل يثق فيه الناس أكثر . ويرجع ذلك إلى أن لهم صلة مباشرة بمن يعمل أكثر من صلتهم بالمخطط . وفى الحقيقة فان التخطيط يحتاج إلى وقت . صحيح أن بعضا من الخطط يولد ميتا ، ولكن مع ذلك يجب أن نثق فى أن العمل الصحيح لا يمكن أن يكون إلا نتيجة للتخطيط الصحيح .

(ى) نحن نقع فى الخطأ حينما نحاول أن نضع تخطيطا لغرض معين لا يتفق والعادات والاتجاهات العامة للناس[1] .

العمل المحلى : آثرنا استخدام اصطلاح العمل المحلى بدلا من العمل الاجتماعى ، لأن هذا العمل يتم فى الغالب على مستوى المجتمع المحلى ، أما إذا تم على مستوى المجتمع الكبير فإننا نستخدم اصطلاح العمل الاجتماعى ونقصد بالعمل المحلى أى طاقة من الجهود تبذلها الجماعة أو أى مجهود منظم لتغيير النظم الاقتصادية أو الاجتماعية فهو يختلف عن فن الخدمة الاجتماعية أو الخدمات الاجتماعية التى تعمل فى ميادين لا تتصل بصفة أساسية بعوامل تغيير النظم القائمة . أما العمل

(١) الا اذا اريد التغيير الحضارى .

الاجتماعى فإنه يشتمل على حركات الإصلاح السياسية والصناعية والديمقراطية والتشريع الاجتماعى والعدالة الاجتماعية والعنصرية والحرية الدينية والحرية المدنية، أما الأساليب الفنية للعمل الاجتماعى فهى الدعاية والبحث . ولعل أبرز أمثلة توضح العمل المحلى هى المراكز الاجتماعية والوحدات المجمعة فى الجمهورية العربية المتحدة . ونذكر هنا كلمة موجزة عن كل منهما .

المركز الاجتماعى برنامج يقوم على جهود أهل القرية أنفسهم . ولهذا قلنا إن العمل المحلى يبرز بصورة واضحة فى المركز الاجتماعى . ويعتبر هذا المركز مؤسسة يقوم بها أفراد المجتمع المحلى ـ القرية ـ ومهمته القيام بجميع الخدمات التى تحتاجها القرية . ويقوم مشروع المركز « على إقناع الأهالى بقيمته فى خدمة قريتهم فيطالبون بإنشائه ويساهمون فى تكاليفه ويشتركون مع الموظفين فى إدارة العمل فيه ، وبذا يكون المركز الاجتماعى مؤسسة أهلية تقام بمحض رغبة الأهالى ، وتنفيذ ما يقررون القيام به من مشروعات[1] » . وتتناول خدمات المركز الاجتماعى كل مرافق الحياة فى القرية من اقتصادية وصحية وثقافية واجتماعية معا فى وقت واحد . ويمكن تصوير المركز الاجتماعى بعبارة مختصرة فى أنه شبه حكومة أهلية محلية يقيمها الأهالى أنفسهم لتولى شئونهم وإصلاح قريتهم بطريقة ديمقراطية يتدربون فيها على معرفة حقوقهم وواجباتهم كمواطنين . ويثبتون فيها عمليا أنهم قادرون بجهودهم على خدمة أنفسهم والنهوض بقريتهم[2] » والمركز الاجتماعى عمل محلى يقوم به أفراد المجتمع المحلى ، فهم الذين يتبرعون مقدما بمبلغ من المال وقطعة من الأرض لإقامة المبانى عليها ، ويجمع الأهالى هذه التبرعات فيما بينهم ويساهم فيها الجميع كشرط أساسى كل على قدر طاقته . وبعد إنشاء المركز الاجتماعى يجرى العمل فى القرية عن طريق جمعية المركز الاجتماعى التى يساهم فيها كل الأهالى ، ويدفعون فيها اشتراكات سنوية ، وهذه الجمعية هى التى تتولى إقامة المبانى ، كما تقوم بأوجه النشاط المختلفة عن طريق اللجان الخمس التى تشكلها من بين أعضائها وهى : لجنة الاقتصاد والزراعة ، لجنة تنظيم البر ،

---

(١) أحمد حسين « المراكز الاجتماعية الريفية فى مصر » فى خدمة الريف المصرى ، وزارة الشئون الاجتماعية ، المطبعة الاميرية ، ص ٤ ، ١٩٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥

والإحسان ، لجنة الثقافة والتعليم ، لجنة الصحة والنظافة ، لجنة المصالحات . ويراعى فى تشكيل هذه اللجان توافر صفات القيادة فى أعضائها ، وعلى هذا فمعاونة الحكومة تنحصر فى صرف إعانة إنشائية لجمعية المركز الاجتماعى . وصرف إعانات للجان المختلفة تضاف إلى ما يدفعه الأهالى من اشتراكات . وذلك حتى تقوى ماليا وتتمكن من تأدية رسالتها ، هذا بجانب إعارة الموظفين[١] وتزويد كل مركز إجتماعى بحاجته من الأثاث والأدوية اللازمة . ومن هذا يتضح أن المركز الاجتماعى أحد مظاهر العمل المحلى إذ تعتمد فلسفته على أساس مساهمة الشعب ومشاركته فى كل مجهود تقوم به المراكز الاجتماعية .

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ أنشأت المجلس الدائم للخدمات العامة فى ١٧ اكتوبر عام ١٩٥٣ فكان انشاؤه تعبيراً مفصحا عن سياسة النهضة التى تتجه صوب الاصلاح والبناء لمرافق الدولة التى انتهجت وضع برامج واضحة المعالم والخطوط . ووظيفة المجلس بحث السياسة العامة ، ووضع الخطط الرئيسية للتعليم والصحة والعمران والشئون الاجتماعية مع مراعاة التنسيق بينها وربطها بما يحقق النهوض الاجتماعى وبما يتفق والسيادة للدولة[٢] ، وقد عكف المجلس على تنسيق خطط التنفيذ وابرازها لكى يسهل تحقيق الأهداف ، وانتهى إلى تحديد ميادين النشاط والعمل والبحث واهتم بدراسة التوزيع الجغرافى للخدمات[٣] بالنسبة لكثافة السكان فى المناطق المختلفة ودراسة تكاليفها . وانتهى المجلس من دراسته للخدمات المباشرة إلى رسم السياسة الخاصة بها وتتركز هذه السياسة فى المظاهر التالية :

---

(١) اخصائى زراعى اجتماعى وطبيب وزائرة صحية وصيدلى ومعلم للصناعات الريفية ومدرسة اشغال الابرة والتريكو والتفصيل ومهندس يشرف على بناء المركز .

(٢) المادة الثانية من قانون انشاء المجلس ، القانون رقم ٤٩٣ لسنة ١٩٥٣ .

(٣) تحدث المجلس عن نوع من الخدمات اطلق عليه الخدمات المباشرة وهى تلك الخدمات التى تؤديها الدولة او غيرها من الهيئات والمؤسسات والافراد فى صورة فعلية للجماهير مباشرة كالخدمات التعليمية أو الطبية أو العمرانية أو الاجتماعية وغيرها ، وهذه الخدمات تقدمها غالبا مؤسسات لامركزية اى مستقلة لاتخضع لنظام التبعية المركزية كالمعاهد والمدارس والمراكز الاجتماعية والمستشفيات وخدمات الشئون القروية والبلدية .

١ — سياسة المركزية أو اللامركزية بالنسبة للخدمات الواحدة .
٢ — سياسة التجميع والتنسيق بالنسبة للخدمات المختلفة أو المنطقة الواحدة.
٣ — سياسة الإدارة لهـــذه الخدمات وهل تكون حكومية أم أهلية أم مختلطة .

٤ — سياسة الاقتصاد التى تمكن من التوسع فى هذه الخدمات على أوسع مدى ممكن دون إلحاق ضرر بالاقتصاد القومى .

٥ — السياسة الانشائية بالنسبة لهذه الخدمات وكيف تسير .

٦ — ربط الخدمات بزيادة القوة الإنتاجية من الفرد والمجموع حتى يكون هناك عائد مهما كان غير مباشر على المجتمع من الخدمات التى تؤدى لأفراده[1] .
وانتهى رأى المجلس إلى أن توفير الخدمات المباشرة ليس هو العامل الوحيد فى رفع المستوى لحياة الفرد أو لحياة الجماعة ، بل أن للدخل القومى أكبر الأثر فى تحديد المستوى الاجتماعى لحياة أية أمة[2] . بدأ المجلس يتجه اتجاها واضحا نحو التخطيط الذى ينبنى على دراسة الاحتياجات من جهة ، ودراسة الإمكانيات من جهة أخرى . وقد وضع المجلس — كما سبق أن أشرنا — هدفه وهو أن يجىء حسن توزيع الخدمات ووفائها بالحاجة فى المقام الأول من اهتمامه ، وقد أطلق المجلس على ذلك التقسيم الاجتماعى ، وذلك بالبحث عن الحجم المثالى لوحدة الخدمة والمنطقة التى تخدمها هذه الوحدة . وانتهت هذه الدراسات إلى أمرين بالنسبة للريف :

١ — أن تكون المنطقة التى تخدمها كل وحدة من هذه الوحدات المجمعة تضم ١٥ ألف نسمة من السكان .

---

(١) المجلس الدائم للخدمات العامة ، وزارة الارشاد القومى ، مصلحة الاستعلامات عام ٥٤ — ١٩٥٥ ، ص ٨ — ١٠ .
(٢) ولذلك قام المجلس بدراسة موضوع الدخول والاجور ومصادرها ومتوسط الدخل لمختلف الناطق والمهن والفئات ونواحى الانفاق فى كل حالة حتى يمكن ان ترسم الدولة سياسة ثابتة للدخول والاجور وتوزيع الاعباء على نحو يحقق العدالة الاجتماعية .

٢ — أن تجتمع الخدمات المختلفة فى وحدة متكاملة يمكن أن تؤدى الخدمات المتباينة فى تناسق كامل .

وقد بدأ العمل فى تقسيم البلاد إلى مناطق متجانسة واختيار المكان المناسب الذى يمكن الوحدة من خدمة الجميع . واستلزم هـــذا التقسيم دراسة كل منطقة من مناطق الجمهورية دراسة تفصيلية ، وكذلك دراسة "لخدمات القائمة فى كل قرية وإمكانيات الحياة فيها وطرق المواصلات بينها وبين غيرها . وبذلك فقط أمكن اختيار أماكن إنشاء الوحدات ، وهكذا لأول مرة فى تاريخ الريف أصبح هناك تقسيم اجتماعى دقيق لريف دولة بأسرها . وما يقال عن الريف يذكر أيضا عن المدن إذ سيتم [1] هذا التقسيم بالنسبة للمدن بأحيائها المختلفة بحيث تتبين الوحدة التى يجب أن تتوافر لها الخدمات على نحو يتفق مع حجمها وحاجتها [2] . ولم يغفل المجلس بحث خير الوسائل لإدارة الخدمات والوسائل الكفيلة بتمويلها ، واستقر رأيه على أن اللامركزية الكاملة فى الخدمات تحقق كفاءة الادارة ، وتوزيع أعباء التمويل ، وتجارب الشعب واشتراكه [3] . والوحدة المجمعة تهدف إلى توفير الخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية لأهل الريف كما تهدف فى الوقت نفسه إلى رفع المستوى الاقتصادى عن طريق الإنتاج الزراعى والصناعى حتى يزيد دخل الفلاح ، ويرتفع مستوى الوعى الصحى والثقافى والاجتماعى والتعاونى ، وبذلك تتحقق للريف نهضة شاملة تحيط شكل جوانب الحياة فيه . وتقوم فكرة إنشاء هذه الوحدات على أساس أن النهوض عملية شامله لا يمكن تجزئتها ، وأن الدعامة التى يقوم عليها هى تنشيط الحياة فى الريف وبعث الحيوية الكامنة فى أرضه وفى أبنائه . ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا على أساس خطة شاملة تتجه إلى أهداف معينة ، وتتخذ طريقا واضحا مرسوما وتنفذ على مراحل ، على أن تكون هذه الخطة شاملة الأهداف الاجتماعية والاقتصادية ، ومراحل تنفيذها والوسائل

(١) ظهر هذا الكلام عام ٥٤ — ١٩٥٥ ولم يتابع الباحث ما تم فعلا حتى الآن لانها خارجة عن نطاق بحثه ، المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) عدد الوحدات اللازمة لانحاء الجمهورية وفقا لتقديرات المجلس هى ٨٦٨ وحدة مجمعة (ستضم هذه الوحدات : ٨٦٨ مدرسة ، ٦٧٤ مجموعة صحية القائم منها فعلا ١٩٤ ، و ٨٠٠ مركز اجتماعى القائم منها فعلا ٦٨ و ٣٤٧٢ مسكنا لسكن المتزوجين و ٢٤ الف مسكن لغير المتزوجين المرجع السابق ص ١٦ .

(٢) المجلس الدائم للخدمات العامة ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

اللازمة لها . لذلك عد برنامج للنهوض الصحى والثقافى والاجتماعى يقوم على دعائم من دراسة الواقع وتحديد المراحل اللازمة للوصول إلى الهدف . غير أنه من الضرورى العمل على رفع المستوى الاقتصادى للريف ووضع خطة واضحة المعالم لذلك[1] . والوحدة المجمعة يجب أن يتمثل فيها نشاط أهل القرية الاقتصادى (زراعة ، صناعة) والاجتماعى والثقافى (رياضة وترفيه) والصحى . وأهم ما يقدم لأهل القرية هو الخدمات الزراعية والصناعية ، وهى تقدم للصغار لتدريبهم على حياة النشاط والإنتاج فى المستقبل ، وتقدم أيضا للكبار لزيادة الدخل وشغل أوقات الفراغ الطويل للفلاح وأسرته . ولذلك تعنى الوحدة أشد العناية بالزراعة وتربية الحيوان والدواجن والصناعات الريفية[2] . وإذا وصلت الوحدات إلى

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٢) المجلس الدائم للخدمات العامة ، المرجع السابق ، ص ٣٠ — ٣٨ .
« ينشأ فى الوحدة منحل على طراز حديث اقتصادى ومنتج فى وقت معا ، وتكون العناية بالمنحل واستغلاله جزءا من منهج الدراسة لتلاميذ المدرسة . اما بالنسبة للأهلين فتتكون من المهتمين بهذا النوع من الانتاج جمعية لتربية النحل ويدرس أعضاؤها كل ما يتعلق بتربية النحل ويأخذون على عاتقهم نشر المناحل فى القرية على أوسع مدى ممكن ، حتى يكون للأهلين مورد اضافى للتغذية وزيادة الدخل . ويعتبر تلاميذ المدرسة الذين يشرفون على تربية النحل أعضاء منتسبين فى هذه الجمعية ، حتى اذا تخرجوا اصبحوا اعضاء اصليين يشاركون فى نشر هذا اللون من النشاط فى قريتهم وفى القرى المجاورة . وقد يجدون فى هذا مهنة أصلية أو اضافية يلتمسون منها الرزق الحلال . وينشأ فى المدرسة دار لتربية دود القز ، وما يحتاج اليه استخراج خيوط الحرير من ادوات ، وتزرع بالمدرسة غابة من شجر التوت الذى يصلح ورقه لغذاء الدود . وتدخل ادوار العملية كلها فى مناهج الدراسة ، كما تؤلف من بعض الاهلين جمعية يطلق عليها اسم جمعية القز يتدرب أعضاؤها على العمل ، ويكلفون بنشر هذا النشاط بين عدد من عائلات الريف ييسرون لهم الوسائل ، ولا تلبث هذه الصناعة أن تصبح مورد رزق للكبار وللصغار عندما يكبرون . وزراعة الخضر لوحظ أنها تقل فى المناطق النائية عن المدن وينشأ عن ذلك نقص فى تغذية اهل الريف من حيث القيمة الغذائية والتنويع وتعمل الوحدة على زراعة الخضر وعلى زراعة الفاكهة والاشجار الخشبية فلهما اثر كبير فى غذاء الفلاح ورفع دخله وانشاء صناعات عديدة تمتص جهده وفراغه . كما توجه العناية الى الغزل والنسيج والحياكة والتفصيل وتربية الحيوان والدواجن . فالوحدة ستضم حظيرة للماشية وللدواجن على أن تكون هذه الحظيرة كافية لامداد الوحدة باللبن واللحم والزبد والبيض وما يزيد يباع أو يحفظ ، وتتكون من الاهلين لجنة تربية الحيوان والدواجن . وتهتم الوحدة بمعمل الالبان والصناعات الزراعية (المجلس الدائم للخدمات العامة ، المرجع السابق ، ص ٣٩ — ٤٣) .

الحالة التي تجعلها مكتفية بذاتها أو محتاجة إلى إعانة محدودة ، فإنها تعتبر ملكا لأهل المنطقة الذين تخدمهم . ويمكنهم أن يتسلموها نهائيا ، ويديروها على أساس تعاونى يساهمون فيه جميعا ، وتخضع لما تخضع له المؤسسات التعاونية من نظم ورقابة [١] . ويدير الوحدة مجلس من المختصين فى مختلف النواحى ، والإخصائى الاجتماعى هو سكرتير هذا المجلس الذى يدعو إلى انعقاده ويحفظ سجلاته ، ويمكن أن تكون رياسة الجلسات بالدور بين المختصين أو بالطريقة التي يتفقون عليها . ومهمة المجلس إدارة الوحدة ووضع البرامج التى تؤدى إلى النهوض بالقرية اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وصحيا . ويشترك الأهالى فى الإدارة لضمان التجاوب بين نشاط الوحدة وبين المواطنين ولضمان عنصر التوجيه إلى الحاجات التى يحس بها الأهلون ، أما أقسام الوحدة فهى :

١ — المركز الاجتماعى (صالة للاجتماعات ، مكتبة ، متحف للدعاية الصحية والزراعية) .

٢ — قاعة للصناعات الريفية .

٣ — الوحدة الصحية (دار للعلاج وصرف الدواء ، مركز للإشعاع ونشر الوعى الصحى بالمركز ، ووسائل إيضاح صحية كالمراحيض القروية ، مركز لجمع البيانات والإحصاءات والبحوث) .

٤ — المدرسة (التلميذ سيكون زارعا صانعا متعلما) .

٥ — دار الحضانة .

التخطيط الاقتصادى :

التخطيط الاقتصادى أسلوب من أساليب تحقيق الرفاهية الاجتماعية . وقد سبق أن تحدثنا عن التخطيط الاجتماعى ونحاول الآن أن نتكلم عن التخطيط الاقتصادى . والواقع أن الفارق بين هذين النوعين من التخطيط لا يرجع إلى الاختلاف فى الهدف وهو رفع مستوى المعيشة وإنما يرجع إلى أن التخطيط

(١) المجلس الدائم للخدمات العامة ، المرجع السابق ، ص ٤٤ .

الاجتماعى يهدف إلى رفع هذا المستوى عن طريق التعليم العام والتعليم الفنى والصحة العامة وتوفر الخدمات الاجتماعية المختلفة ، ويعنى فى المحل الأول بالفرد والمجتمع والجماعة ، بينما يهدف التخطيط الاقتصادى إلى رفع المستوى عن طريق الارتقاء بالإنتاج الزراعى والصناعى كما يعنى فى المحل الأول بشئون الثروة والدخل والمدخرات وتوظيفها[1] .

على أن التخصص وحده هو الذى يدعو إلى القول بأن هناك تخطيطا اقتصاديا وتخطيطا اجتماعيا ، وهو الذى يفرض على الباحث أن ينظر من زاوية واحدة ، إلا أن هذا الإجراء لا يقف عند هذا الحد ، ووظيفة التخطيط تتولاها لجان ، وفى كل لجنة جماعة من الخبراء المتخصصين فى ناحية تركز اهتمامها عليها ، وبمجرد أن تفرغ الجماعات المتخصصة من البحث ، كل منها فى دائرة اختصاصها ، تتكامل الجهود ليكون من جملة عملها صورة واحدة لما يراد بلوغه من أهداف[2] . أن التخطيط الشامل هو الأسلوب الذى ينبغى اتخاذه لتحقيق الرفاهية الاجتماعية

---

(١) يلخص الدكتور زكريا أحمد نصر فى (محاضرات فى التخطيط الاقتصادى ـ اقتصاديات المستخدم ـ المنهج) ، معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، ١٩٥٩ ، ص ٨٥ ـ ٨٩ خطوات التخطيط الاقتصادى فيما يلى :

(ا) البدء بتحديد أهداف معينة ترغب السلطات الاقتصادية فى تحقيقها خلال فترة معينة وأهم هذه الاهداف بلا شك هو تحقيق زيادة الدخل القومى بمعدل يضمن رفع مستويات المعيشة بدرجة معينة فى فترة معينة .

(ب) بعد اختيار معدل معين لزيادة الدخل القومى يجب أن ننتقل الى تقدير ما يلزم لتحقيق هذه الزيادة ، أولا من حيث الاستثمار وثانيا من حيث الاستهلاك .

(جـ) نصل فى نهاية الخطوة السابقة الى قائمتين من المنتجات اللازمة لتنفيذ رغبتنا فى زيادة الدخل القومى : قائمة بالسلع الاستثمارية وقائمة بالسلع الاستهلاكية ، وهنا يظهر دور تحليل المستخدم ـ المنتج فعلى اساس هذه التقديرات عن السلع اللازمة نستطيع أن نعين ما يلزم من مختلف فروع الانتاج لمواجهة التزويد بالسلع الاستثمارية والاستهلاكية وذلك سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة .

(د) وبعد اتمام الخطوة الثالثة لدينا برنامج لما يجب ان يكون عليه العمل فى مختلف فروع الانتاج ... تحقيقا لمعدل معين فى زيادة الدخل القومى .

(٢) عبد العزيز مرعى وعيسى عبده ، المشكلة الاقتصادية المعاصرة فى الاقليم المصرى ، الطبعة الاولى ١٩٦٠ ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، ص ٨٩ .

ولكن المركز الراهن بما يتضمن من موارد وطاقات وظروف إنتاج تحتم الأخذ بنوعية التخطيط ، ففى دولة كمصر تخلفت فيها الصناعة والزراعة ، وتخلفت فيها أنواع الخدمات الاجتماعية المختلفة ، يجد المخطط نفسه أمام مشكلات عديدة أهمها مشكلة التمويل ، فهل يضع خطته بحيث تتحقق أنواع الخدمات دون أن يلتفت إلى زيادة الدخل عن طريق التصنيع وتحسين أساليب الزراعة وزيادة الرقعة الزراعية ، أو هل يضع المخطط خطته بحيث يغفل نواحى الخدمات الاجتماعية ليحقق زيادة الدخل عن طريق التصنيع وتحسين أساليب الزراعة ؟ وهكذا لا يتسنى عزل أى ميدان للنشاط عن غيره من الميادين ، ومع ذلك فقد يحدث أن يكون التخلف شديداً فى بعض النواحى ، فيتعين تركيز الاهتمام عليها دون أغفال ما بينها وبين النواحى الأخرى من تفاعل ، فإذا اتجه الإقليم المصرى إلى الصناعة فى العهد الحاضر ، فان التخطيط الصناعى يشغل الأجهزة التى تتولاه ويستنفذ من الطاقات أقداراً كافية وإن ترتب على ذلك بطء التطوير فى نواحٍ أخرى . والغرض من هـذا التفاوت فى توجيه النشاط التقدمى إلى ناحية دون أخرى هى العمل على تعويض سريع للنقص الجسيم فى هذه الناحية (١) ، وعلى كل حال فإن القول بالفصل بين الإقتصاد والإجتماع لا يجد ما يبرره إذ الهدف من دراسة الثروة هو تحقيق الرفاهية ، وهذه لا تتوافر بدون مقومات . ونحن نميل إلى الرأى الذى يرى أن النظرية الإقتصادية ليست إلا فرعا من الدراسات الاجتماعية. وأن التخطيط الإقتصادى يستهدف الآثار الإجتماعية .

إن التقدم الإقتصادى هو دعامة الرفاهية الإجتماعية ذلك لأن العلاقة بين العوامل الإقتصادية والإجتماعية — كما سبق أن أوضحنا — فى المجتمعين الريفى والحضرى وثيقة متبادلة ، والملاحظ للمجتمع الريفى يعرف أن أكثر مشكلات الريف كسوء التغذية أو ارتفاع نسبة الأمية أو ارتفاع معدل وفيات الأطفال وغيرها من المشكلات ، إنما يرجع إلى ضآلة الدخل ، ولقد أكدت اللجنة الثامنة الخاصة بالعلاقات الأساسية بين العوامل الإقتصادية والإجتماعية بحلقة الدراسات الإجتماعية ضرورة العمل على وضع سياسة إقتصادية إجتماعية شاملة للإصلاح ، مبنية على

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٠ .

دراسة وتحليل وافيين لمختلف العوامل الإقتصادية والإجتماعية[١] » . ونذكرهنا ما حددته هذه اللجنة من خطوط رئيسية للإصلاح العاجل المنشود بالنسبة لكل مشكلة من مشكلات الريف على حدة : العمل على زيادة المساحات المزروعة وذلك بالتوسع فى مشروعات الرى والصرف بما فى ذلك استصلاح الأراضى الصحراوية القابلة للزراعة ، على أن يسن لذلك من التشريعات ما يكفل أن تعود الفائدة الناجمة عن مثل هذه المشروعات على غالبية السكان الريفيين لا على كبار الملاك وحدهم ، ضرورة التوسع الصناعى مع تشجيع استثمار مختلف الإمكانيات الإنتاجية ، العمل على تنويع الإنتاج الزراعى واستغلال الأرض إلى أبعد حد بما يحقق توفير العمل المستمر وبذلك يزيد دخل الفلاح الذى يهبط حاليا نتيجة للبطالة الجزئية والموسمية فى غير مواسم الزراعة . العمل على زيادة كفاية إنتاج الزراعة بتطبيق الوسائل العلمية فى الإستغلال الزراعى ونشر المستحدثات الفنية بين المزارعين[٢] . وقد ذكرت لجنة التطوير الزراعى والصناعى والإقتصادى الريفى بالمؤتمر السابق أن الإهتمام بزيادة الإنتاج الزراعى وتحسينه لا يعنى إغفال أهمية الصناعة ، ويجب البحث فى إمكانيات إدخال بعض الصناعات الريفية والزراعية فى الريف تدعيما لاقتصادياته ورفعا لمستوى معيشة أهله . وقد أوصت اللجنة بنشر الثقافة الصناعية وتعميم التدريب المهنى فى ربوع الريف وذلك بالإكثار من المدارس الريفية والمراكز الصناعية والاجتماعية ، لتمكين سكانه من الإستفادة من خامات قراهم والإنتفاع بأوقات فراغهم واستثمار بطالة أسرهم فى صناعات منزلية تكون مصدر دخل إضافى يعين على رفع مستوى معيشتهم ، وبتشجيع إنشاء معاهد للبحث فى إيجاد استعمالات جديدة للمحاصيل الزراعية ومنتجاتها الثانوية ، وإرسال بعثات علمية إلى البلدان المختلفة لاقتباس ما هو جديد بها مما يختص باستخدام

---

(١) حلقة الدراسات الاجتماعية ، فى خدمة الريف المصرى — ٤ — الدورة الثانية ، القاهرة ، وزارة الشئون الاجتماعية ، المطبعة الاميرية ، ١٩٥١ ، ص ٣٨ — ٤١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩ ، نذكر ذلك لنبين اهمية العوامل الاقتصادية للرفاهية الاجتماعية ولنوضح أنه رغم تنبه رجال الاصلاح الى الدعائم التى يمكن الاعتماد عليها لتحقيق الرفاهية الاجتماعية الا أن حكومات ما قبل الثورة لم تول هذه النواحى اهتمامها . وبقيام ثورة ٢٣ يولية وضعت أجهزة التخطيط المختلفة خطة زمنية لمضاعفة الدخل فى عشر سنوات وزيادة الخدمات .

الخامات الزراعية فى تصنيع الريف وتصريف منتجاته وبتوزيع المصانع فى الريف لتعميره ورفع مستوى معيشة أهله »[1] .

والتخطيط بوجه عام هو وضع الخطة البعيدة المدى لتحقيق أهداف غير محققة فى الحاضر ، ومن ثم يتحتم العمل على تحقيقها فى مرحلة زمنية لاحقة . والتخطيط بهذا المعنى عبارة عن وضع سياسة هادفة تمس نواحى المجتمع ومقوماته المادية والمعنوية بقصد إعادة التنظيم . والتخطيط الإقتصادى طبقا لهذا التعريف « يعنى بشئون الثروة فى إنتاجها وتوزيعها واستهلاكها وإدخار بعض النتائج منها وتوظيفه، فهو أسلوب علمى منظم يحكم سلوك المجتمع فى شتى النواحى الإنتاجية ولذلك يخضع للطريقة العلمية فى البحث وعناصر التخطيط الإقتصادى هى تحديد الأهداف والموارد وتحديد المراحل الزمنية اللازمة لتحقيق الأهداف واختيار الوسائل والأساليب التى تحقق الأهداف المرسومة على المراحل الزمنية التى يراد لها أن تكون وعاء لتنفيذ الخطة[2] » . ويهمنا هنا أن نشير إلى بعض أنواع التخطيط النوعى وبخاصة التخطيط الزراعى والتخطيط الصناعى . ويهدف التخطيط الأول إلى مواجهة مشكلات التطوير فى الزراعة مثل مشكلة تفتت الملكية ووجود ملكيات غاية فى الصغر فى حيازات مختلفة . ويختار هذا التخطيط عدة مراحل أهمها التعرف على الموارد والإمكانيات المادية ومعرفة القوة العاملة فى القطاع الزراعى وتعيين الأهداف التى يمكن تحقيقها وتقدير الزمن المناسب لتحقيق هذه الأهداف بما هو ميسور من وسائل ، ثم حصر هذه الوسائل واختيار أفضلها لتحقيق السياسة المرسومة . أما التخطيط الصناعى فهو تنظيم الاتجاه نحو الصناعة ، ويعتبر هذا النوع من التخطيط من أهم الظاهرات الاقتصادية التى فازت باهتمام معظم الدول النامية . أما مراحل هذا التخطيط فأهمها التعرف على الموارد والقوى ومعرفة الأوضاع الاقتصادية الحالية وإعداد الوسائل اللازمة فى المدى القريب والبعيد وبذل المزيد من الجهد فى مجالات الإنتاج واستثمار المدخرات .

وكلا التخطيط الزراعى والصناعى يهدفان إلى رفع مستوى الرفاهية للمجتمع

---

(١) فى خدمة الريف المصرى ، المرجع السابق ، ص ١٩ .
(٢) عبد العزيز مرعى وعيسى عبده ، المرجع السابق ، ص ٨٧ .

عن طريق زيادة الانتاجية وتقليل التفاوت بين الأفراد. فالتخطيط إذن يستهدف الحد من الاحتكار وتحقيق العدالة الاجتماعية والعمالة الكاملة .

ويقودنا الحديث عن حركة التصنيع إلى توطين الصناعات وفى ذلك وجهتى نظر : الأولى ترى « أن التخصص الاقليمى ظاهرة تنظيمية تجد دعامتها من الانساق الطبيعية ، فهناك صناعات تتوطن فى الاقليم المعين وأخرى لا سبيل إلى توطينها، وإنما يعتمد أمرها على الاستيراد ومادام البلد المتخلف يلتزم سنن الطبيعة وينشط فى إتجاهاتها — لافى مواجهتها — فإن تحقيق أهدافه مكفول[1] »والثانية ترى أن التخصص الإقليمى وأن وجدت دعامتها من الانساق الطبيعية كما تذهب إلى ذلك وجهة النظر الأولى إلا أنه لم تثبت بعد الدراسات والاكتشافات العلمية التى تقطع بأن الانساق الطبيعية قد حرمت بعض المناطق من موارد أولية تحتاجها الصناعة ، هذا فضلا عما يحاوله الانسان من أن يكون سيدا للطبيعة لاخاضعا لها، على أن الرأى الذى نأخذ به هو أن الدول النامية تتمتع بمواد أولية لا تشمل كل الإقليم وخاصة فى الصناعات الاستخراجية أما الصناعات التحويلية فهذه هى التى تحتاج إلى دراسة وتعمق فهل يمكن توطين هذه الصناعات بالتعرف على عوامل التوطن المختلفة والمقارنة بين توافر عوامل وغياب عوامل ؟

لقد سبق أن أشرنا إلى العوامل التى تؤدى إلى توطين الصناعة ولكننا نعرض هنا إلى ما يرجح التوطين بصرف النظر عن توافر جميع العوامل أو عدم توافرها أو توافر بعضها وعدم توافر البعض الآخر . وثمة ناحية ينبغى عدم إغفالها وهى أن الدول النامية لا يمكن أن تنتقل إلى مرحلة الصناعة المتقدمة دون أن تخطو فى سبيل ذلك بعض المراحل.إن عقبات توطين الصناعة فى الدول النامية هى عقبات لايمكن تذليلها فى المدى القصير ، ولكن توافر بعض المواد الأولية فيها يمكن هذه الدول من أن تفيد من هذه المواد المختلفة فى سائر مناطق الاقليم بإنشاء وتدعيم الصناعات البيئية[2] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

توطين الصناعة :

إن توطين الصناعة أسلوب من أساليب الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية . ويجدر بنا أن نذكر فكرة موجزة عن أنواع الصناعة قبل أن نعالج توطين الصناعة كأسلوب الرفاهية .

تشتمل هذه الأنواع على الصناعات الاستخراجية التي يقوم الإنسان فيها بانتزاعها من البيئة المحيطة وأهمها التعدين مثل استخراج الحديد الخام والفسفات والمنجنيز من باطن الأرض وعلى الصناعات التحويلية التي تتناول المواد الخام بالتحويل والتحوير لزيادة الانتفاع بها مثل صناعة غزل ونسج القطن وغزل ونسج الصوف وصناعات الحديد والصلب . وقد تقدمت أنواع الصناعة المختلفة حتى وصلت إلى أرقى مراتبها . كما تميزت تميزاً واضحاً باستخدام الآلات والاعتماد على أحدث أساليب التكنولوجيا ، ويختلف نوع هذه الآلات من بيئة إلى أخرى فهي يدوية في بعض البيئات وميكانيكية حديثة في البعض الآخر ، كما تميزت الصناعة في العصر الحديث بالإنتاج الكبير وزيادة التخصص حتى لم يعد العمل في صناعة بأكملها تخصصاً ، إذ أنه جزء واحد من عدة عمليات تمر فيها صناعة واحدة . ويطلق على الصناعات التحويلية اليدوية الصناعات البيئية أو الصناعات المنزلية أو الصناعات القروية أو الصناعات الريفية أو الصناعات الزراعية ، أما الصناعات التحويلية الميكانيكية فقد تكون في مصانع كبيرة أو مصانع متوسطة أو مصانع صغيرة ، ويحدد صفة المصنع عدد عماله ، وتعتبر مصلحة الإحصاء بالجمهورية العربية أن المصنع الذي يقل عدد عماله عن عشرة عمال مصنعا صغيرا ، أما المصنع المتوسط فهو الذي يتراوح عدد عماله بين ١٠ — ٥٠ عاملا ، أما إذا زاد عدد العمال عن ٥٠ عاملا فيعتبر المصنع كبير الحجم . والإنتاج الكبير عبارة عن إنتاج السلع بكميات كبيرة والإنتاج الصغير عبارة عن إنتاج السلع بكميات صغيرة[١] .

---

(١) الانتاج الكبير غير الانتاج العلمي للسلع بكميات كبيرة لاشباع حاجات الكتل البشرية ، ويقتضي هذا الاشباع ارتفاع الاجور وزيادة في القوة الشرائية وخفض في سعر المنتجات وبذلك يتمكن المستهلكون من الشراء أولا وأن نغريهم به ثانيا . وليس من شك أن هذا في صالح الصناعة والمستهلك والعامل .

نعالج الآن موضوع توطين الصناعة . يعتمد التوطين على مقومات أهمها المواد الأولية والقوى المحركة والأيدى العاملة ورأس المال . أما من ناحية اليد العاملة فهى متوافرة فى مصر ، كما أن لدينا المواد الخام التى تحتاجها الصناعة سواء من منتجاتنا الزراعية أو من الخامات المعدنية ، أما من ناحية التسويق فالسوق المحلى كفيل باستيعاب إنتاج صناعى على نطاق إقتصادى إلى جانب إمكانيات التصدير نظراً لما تتمتع به مصر من موقع جغرافى ممتاز ، كذلك لدينا موارد مختلفة للقوى المحركة وذلك باستغلال مساقط المياه فى مشروعات التخزين . هذا إلى جانب إمكانيات كبيرة من الثروة البترولية التى تم الكشف عن بعضها ولا يزال الكشف يجرى عن غيرها ، أما عن رأس المال فإنه لا ينقصنا بشكل ملحوظ ، وتوافر هذه العوامل فى الجمهورية يجعل فرص المشروعات الصناعية مؤكدة النجاح .

والواقع أن موضوع توطين الصناعة يجب أن يحتل المكانة الأولى فى المشروعات التخطيطية للدول النامية . وكل الخلاف — ولعله خلاف جوهرى — بين رجال الاقتصاد ورجال الاجتماع فى هذه المسألة هو أن الاقتصاديين يرون أنه قبل رسم الخطة الاقتصادية الصناعية ، يجب إختيار المواقع الجغرافية التى تتمشى والوفورات الاقتصادية أما رجال الاجتماع فهم يغلبون هدف الرفاهية الاجتماعية بحيث تتوطن الصناعة فى أكبر عدد ممكن من المناطق ، وليس معنى ذلك أنهم يغضون من إعتبار عوامل التوطن السابق الإشارة إليها ، ولكنهم يضيفون إلى هذه العوامل العديدة عاملا أساسياً هو العامل الإنسانى ، وهو الرفاهية الاجتماعية للشعب وأفراده . فالصناعة ووطأتها تعمل على تغيير المجتمع فى كثير من عاداته وتقاليده وأعرافه وأساليبه الفنية وآدابه الشعبية ، ومن شأن هذا التغيير فى طرق الحياة ، بالإضافة إلى الدخل الثابت من العمل فى الصناعة ، أن يحقق مستوى من المعيشة يختلف إختلافاً بيناً عن المستوى الاقتصادى والاجتماعى للأجير الزراعى . ونحاول الآن النظر إلى ما يراه الاقتصاديون من حيث الأهمية التى ينبغى إعتبارها عند توطين الصناعة . يرى رجال الاقتصاد أن عنصر رأس المال غير متوافر فى مصر والمال إمكانية إقتصادية لايمكن الغض من شأنها فى إنشاء الصناعة وتدعيمها . ولكن توافر رأس المال لم يعد موضوع

تفكير الدولة النامية وحدها ، وإنما هى مسئولية هيئة الأمم المتحدة بوكالاتها المتخصصة وبنكها الدولى ، كما أنها مسئولية الدول المتقدمة قبل الدول النامية نظراً إلى أنه لم تعد أية رقعة فى العالم بمعزل عن الأحداث العالمية التى تجرى الآن، هذا بالإضافة إلى واجب الأفراد الذين ينبغى أن يشغلوا أموالهم لا طبقاً للهوى والمشيئة واستهداف ربح عاجل ، بل طبقا لتخطيط تضعه الدولة ، تستغل فيه الإمكانيات المادية والبشرية على أوسع نطاق . وثمة ناحية أخرى هى تشجيع الدولة للمشروعات الصناعية وفقا لخطة مرسومة عن طريق الإقراض الصناعى أو الاشتراك فى الإدارة .

ثم إن هناك جانبا له دلالته وأهميته فى هذه المسألة وهو أن المستصنعين قبل الثورة قد ركزوا معظم مشروعاتهم فى القاهرة والأسكندرية فخلت معظم مناطق الجمهورية من الصناعة ، وظلت على حالها من التخلف الاقتصادى والثقافى والاجتماعى ، وهذا معناه إغفال المصلحة القومية وتدعيم نظام الطبقات والعمل على إيجاد عوامل التفاوت بين القرية والمدينة . ومن الملاحظ أننا لم نعثر فى إحصاء الإنتاج الصناعى على مصنع واحد كبير فى منطقة ريفية يمتص الفائض من العمال الزراعيين ، بل أنه من الملاحظ كذلك تركز الصناعة فى مدينتى القاهرة والاسكندرية . وقد ترتب على ذلك زيادة عدد المهاجرين إلى هاتين المدينتين مما أدى إلى الانفجار السكانى بهما وإلى مانلاحظه من مشكلات خطيرة تمس غذاء الشعب ومسكنه وكسائه ، وعدم تناسب الخدمات الاجتماعية والتعليمية والصحية مع هذه الزيادة المطردة فى الهجرة . وإذاكان البحث المستنير قد يؤدى إلى الكشف عن تعدد عوامل الهجرة وأسبابها ، فلا شك أن من أشد العوامل جذبا للمهاجرين توافر فرص العمل فى الصناعة ، إذ من المعلوم أن العمالة فى الريف لاتستنفد جميع الطاقات البشرية فيه ، كما أن البطالة الموسمية والمقنعة من أشد العوامل طردا للباحثين عن الغذاء والكساء والدواء .

ويوضح الجدول الآتى عدد المهاجرين إلى محافظات الجمهورية . ومنه يتبين أن أعلى محافظات الجمهورية جذبا هى القاهرة والأسكندرية .

وثمة فكرة يثيرها رجال الاقتصاد مؤداها أن توطين الصناعة حيث لاتتوافر

معظم عوامل التوطن قد يؤدى إلى خسارة مادية ، ولكن رجال الاجتماع يرون أن هذا الرأى لايمثل إلا أحد الجوانب فقط ، وأهم منه أن نذكر أن ثمة تعديلا قد حدث فى مركز الدولة — أى دولة — بعد الحرب العالمية الثانية كما حدث تعديل فى وظائفها وخاصة وظيفتها إزاء النظام الاقتصادى ، فلم تعد نظرتها قاصرة على الأمن الخارجى والداخلى وإنما تعدت وظيفتها إلى رعاية أفرادها حتى ولو أدى ذلك إلى تحملها بعض الخسائر فى سبيل أن تتحقق الرفاهية المادية للمجتمع

جدول يوضح المحافظات التى يهاجر إليها السكان
وعدد سكان هذه المحافظات وعدد المهاجرين إليها
من واقع تعداد السكان سنة ١٩٦٠ (١)

المحافظة	عدد السكان	عدد المهاجرين	٪
القاهرة	٣٣٤٨٧٧٩	٩٥٢,٦٦٣	٣١,٧
الأسكندرية	١٥١٦٢٣٤	٢٩٧,٧٤١	١٠
الجيزة	١٣٣٦٤١٨	١٨٦,٩١١	٦,٢
الاسماعيلية	٢٨٤١١٥	٨٠,٩٢٩	٢,٧
السويس	٢٠٣٦١	٧١,٤٤٦	٢,٣
بورسعيد	٢٤٥٣١٨	٤٠,٢٠٨	١,٤
البحر الأحمر	٢٥٤٥٢	١١,٣٢٢	٤و

(١) مصلحة التعبئة العامة والاحصاء ، ادارة الاحصاء ، النشرة الاحصائية العامة ، مرجع رقم ١٢٦ — ٦٤ ، السنة الثالثة ، العدد الاول والثانى يناير فبراير ١٩٦٤ ، ص ٨ — ١٢ .

وعلى ذلك فالعمل على إيجاد صناعات فى مناطق غير منطقتى القاهرة والاسكندرية يحقق تكوين مجتمعات جديدة . ونرى أن من أهم الالتزامات التى يجب أن تضطلع بها الثورة — وقد أخذت بأسلوب التخطيط — أن تعمل على توطين الصناعة على أوسع نطاق وأن تنشىء الطرق وتزود المناطق بالمياه وتقوم بحصر الإمكانيات الصناعية للجمهورية كلها لأن تقديم الخدمات والتسهيلات وتيسير خدمة الطرق والنقل تعمل على تخفيض نفقة المواد الأولية ونصف المصنوعة إلى مواقع الصناعة أو تخفيض نفقة نقل السلع التامة الصنع من المصانع إلى مراكز الاستهلاك والتسويق .

إن توافر المواد الخام واليد العاملة فى جميع مناطق الجمهورية يؤكد وجوب قيام صناعات جديدة حول هذه المناطق الزراعية ، فالزراعة مادة أولية والعمال الزراعيون فى حاجة كبيرة إلى فرص جديدة للتوظف ، هذا فضلا عما يترتب على ذلك من تنوع فى الصناعات ومما هو جدير بالذكر هنا الإشارة إلى الدراسات التى قامت بها وزارة الشئون الاجتماعية عن أنسب الصناعات للمناطق المختلفة . (أنظر الجدول ص ١٣١) .

وقد يكون من الصعب معرفة الجزء من الخسائر المادية المترتب على تصنيع منطقة معينة ، كما أنه من الصعب الانتقال المفاجىء إلى صناعة ميكانيكية تصل فى درجة رقيها إلى ما وصلت إليه صناعة الدول التى سبقتنا فى التصنيع ، ولكن الصناعات الريفية يمكن توطينها فى الجمهورية بأسرها ويكفى أن نستهدف من ذلك الانتقال من مرحلة الاعتماد الكلى على الزراعة إلى مرحلة التصنيع .

إن رجال الاقتصاد يرون أن نفقة المادة الخام تكون أكثر نسبة من النفقة ومن أهمها تأثيرا . وهكذا يمكن — مع توافر المواد الخام فى الأراضى الزراعية فى مصر — أن يساعد هذا العامل ، وهو عامل أساسى فى التوطن الصناعى ، على قيام الصناعة فى جميع مناطق الجمهورية [1] .

---

(١) أعدت وزارة الصناعة توزيعا اقليميا للصناعة سواء للمشروعات التى تحت الدراسة او التى لم يبدأ فى تنفيذها .

كشف يوضح أنسب الصناعات البيئية والمنزلية للمناطق المختلفة

المنطقة	الصناعات المناسبة
القاهرة	نسيج ـ تجارة أثاث ـ سجاد وكليم ـ تطعيم للصدف ـ فخار ـ صناعة الاحذية والحقائب والاحزمة .
الاسكندرية	الأثاث ـ شباك الصيد ـ الأحذية والشنط والأحزمة ـ اشغال الابرة .
البحيرة	نسيج يدوى ـ شباك الصيد ـ غزل ونسيج الصوف ـ سجاد وكليم ـ تجفيف البلح ـ تجارة السفن ـ أوانى نحاسية ـ فخار ـ أثاث .
كفر الشيخ	غزل الكتان ـ صناعة الدوبارة ـ نجارة الالات الزراعية .
الغربية	غزل الكتان ـ صناعةالدوبارة ـ نجارة الالات الزراعية ـ النسيج اليدوى ـ
المنوفية	النسيج ـ تربية دودة القز ـ نجارة الالات الزراعية ـ طواقى صوف ـ فخار ـ عسل النحل ـ البان .
دمياط	احذية ـ أثاث ـ ألبان ـ مناديل الراس ـ اشغال الابرة ـ شباك الصيد ـ تجفيف البلح ـ العجوة ـ منتجات الجريد .
الشرقية	المشنات والاسبتة من سيقان الحناء ـ كليم وحصر ـ تجفيف البلح وصناعة العجوة ـ صناعة الالات الزراعية ـ عسل النحل .
الدقهلية	نسيج ـ سجاد وكليم ـ معادن ـ عسل نحل ـ ألبان ـ صناعة سيقان القمح ـ مناديل الرأس .
القليوبية	نسيج ـ الجريد ـ معادن وسمكرة ـ الشراب والمربى ـ البان .
الجيزة	مشايات ودواسات ليف ـ كريتة ـ الدوبارة ـ تجفيف البلح وصناعة العجوة ـ نسيج ـ عسل نحل .
الفيوم	عصر وتخليل الزيتون ـ صناعة الجريد ومنتجات النخيل ـ غزل الصوف وشغله .
بنى سويف	أحذية ـ الكليم .
المنيا	اللباد ـ الفريك ـ عسل أسود ـ عسل نحل .
أسيوط	غزل الصوف ـ سجاد وكليم ـ العاج ـ جرش وتعبئة العدس ـ شراب ومربى .
سوهاج	النسيج اليدوى .
قنا	النسيج (الفركة السودانية) الفخار ـ تعبئة العدس .
اسوان	الخوص الملون ـ تطريز بالخيوط الملونة وسيقان القمح والخزف واشغال الجريد .
سيناء	تجفيف البلح وصناعة العجوة ـ استخراج زيت الخروع ـ أشغال الكلفاه .
الصحراء	جز الصوف ـ الكليم ـ الأحمال العربية ـ مصنوعات جلدية مزخرفة .
الشرقية	اشغال الخرز ـ العجوة ـ استخراج زيت الزيتون ـ الكرينة .

إن توطين الصناعة وسيلة الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية كما ذكرنا وتقوم هذه الوسيلة على استثمار الموارد الطبيعية على أوسع مدى وعلى استغلال الطاقات البشرية إلى أقصى حد . فإن لم تحول الطاقات البشرية المعطلة أو غير المستغلة استغلالا كاملا إلى قيم مادية وتستخدم الخامات الطبيعية صناعيا فستصبح سلعا استهلاكية كما تصبح الدولة متخلفة من الناحية الاقتصادية . ونحب أن نشير هنا إلى أنه بالرغم من أن الوعى العام قد تسلط عليه نفوذ الصناعات الكبرى فإن الاهتمام بالصناعات القروية يجب أن يكون فى مرتبة لا تقل عن مرتبة الاهتمام بالصناعات الكبيرة وذلك لمواجهة مشكلة الزيادة المطردة فى سكان الريف والتى تعتبر مجتمعاتها فى حاجة شديدة إلى النمو والتغيير . إن هذه الصناعات سلع استهلاكية للقرويين ولا تجد من الصناعات الكبيرة أى منافسة ، ومن مزاياها أنها صناعات تمارسها الأسرة فهى بذلك وسيلة لزيادة مواردها وهكذا تتضامن الأسرة فى الإنتاج وبالتالى تساهم مواردها الإضافية فى رفع مستوى معيشتها[١] . والواقع أن الصناعة الريفية لا تحتاج لرؤوس أموال كبيرة كما أنها صناعات عاجلة الثمار فهى إذن أصلح المشروعات للبيئات الريفية وقد أشارت عدة مؤتمرات مثل المؤتمر الاقتصادى المصرى الأول الذى انعقد فى القاهرة فى أبريل سنة ١٩٤٦ والمؤتمر الزراعى الثالث وحلقة الدراسات الاجتماعية الأولى للدول العربية التى انعقدت فى بيروت سنة ١٩٤٩ ، إلى تدعيم الصناعات الريفية لتخفيف حدة البطالة الموسمية التى تصيب صغار المزارعين أثناء المواسم التى لا يجدون فيها من الأعمال الزراعية ما يستوعب كل أوقاتهم ، هذا فضلا عن إفساح المجال لسكان الريف لزيادة موارد مكاسبهم ورفع مستوى معيشتهم[٢] .

وقد أكدت مختلف المؤتمرات الإقليمية لمنظمة العمل الدولى الأهمية الكبرى التى تلعبها الحرف والصناعات الصغيرة فى النمط الاجتماعى والاقتصادى وخاصة

---

(١) يحمد للسيدة الدكتورة حكمت ابو زيد وزيرة الشئون الاجتماعية السابقة اهتمامها بموضوع الاسرة المنتجة .

(٢) وزارة الشئون الاجتماعية ، فى خدمة الريف المصرى ــ ٢ ــ المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٢٤ ــ ٢٩ .

بالنسبة للدول التي تمر بالمراحل الأولى للتطور الصناعي ، فالمؤتمر الذي عقد في نيودلهي عام ١٩٤٧ لفت في تقرير مفصل النظر إلى الرغبة في إنشاء فروع للإنتاج الصناعي أساسها الصناعات الصغيرة والحرف اليدوية أينما أمكن ذلك ، كما وجه النظر إلى الحاجة إلى تنظيم هذه الصناعات على أساليب تعاونية واتحادية . وعلى ضوء هذه الاعتبارات قررت الهيئة الدولية المشرفة على المؤتمر أن يتضمن جدول أعمال المؤتمر الفني الأسيوي البحث التعاوني ، الذي تقرر عقده في كراتشي في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، بحث موضوع « التنظيم التعاوني للصناعات الريفية الصغيرة واليدوية[1] .

والواقع أنه رغم الجهود العظيمة التي بذلت في السنوات العشر الأخيرة لتصنيع البلاد ، تظهر لنا الإحصاءات أن عدد المؤسسات الصناعية في سائر الجمهورية عام ١٩٦١ ، هو ٦١٢٧ مؤسسة وأن عدد العمال البالغين والأحداث الذين يعملون فيها ٣٧٣٦٩٣ عاملا وعدد الإداريين والفنيين والكتبة ٩٠٣٥٧ فرداً ، أي أن جملة المستخدمين في هذه المؤسسات ٤٦٤٠٥٠ فرداً[2] كما توضح لنا الإحصاءات أن متوسط الأجر السنوي للعامل ٩٠ جنيها[3] ١٩٦٠ ، كما أن بذل أقصى الجهد لامتصاص الأيدي العاملة واستغلالها في الصناعات الكبيرة لن يتم سريعا ، فلم يبق أمامنا مادمنا نستهدف التصنيع السريع إلا أن نوجه اهتمامنا إلى الصناعات الريفية حتى تستوعب عدداً من العمال يزيد بكثير عما تستوعبه الصناعة الكبيرة الحديثة . هذا فضلا عما تستطيعه الصناعات الريفية من مواجهة الاحتياجات الضرورية لكلا المجتمعين الريفي والحضري . « لقد قدر عدد عمال الصناعات اليدوية المسئولين عن ٧٨ ٪ من إجمالي الإنتاج الصناعي عام ١٩٣٣ في الصين بحوالي عشرة ملايين عامل بينما أنتج مليون من عمال المصانع الرصيد الباقي .

---

(١) سعد سلام ، الحرف اليدوية والصناعات الصغيرة (ترجمة) وزارة الشئون الاجتماعية ، ص ٣ .

(٢) اللجنة المركزية للاحصاء ، مجموعة البيانات الاحصائية الاساسية مايو سنة ١٩٦٢ ، ص ٥٠ — ٥١ .

(٣) نفس المرجع ص ١٠٣ .

وتبين الأرقام الاحصائية فى الهند عام ١٩٣١ أن ٦,١٤١,٠٠٠ نسمة يشتغلون بالصناعات الريفية الصغيرة وأن ٢٢٨,٠٠٠ نسمة يشتغلون بالصناعات الصغيرة مقابل ١,٤٨٢,٠٠٠ عامل فى الصناعات الكبيرة وأن هناك مايقرب من ٥٨١,٠٠٠ شخص يعملون فى أهم الحرف اليدوية مثل غزل القطن وفرزه ونسجه ودهان اللاكيه وصناعة منتجات الخيزران والحياكة وتفصيل الملابس والنجارة (١) .

ولقد كان إقتصاد اليابان فى القرن التاسع عشر متخلفا فى كثير من الوجوه كاقتصاد كثير من البلاد الآسيوية الأخرى وعلى الرغم من أنها بلد لم يوهب من الموارد الطبيعية أكثر من اللازم فانها قد ظهرت بمجهودها الخاص فى أقل من قرن واحد لتكون خامس أعظم القوى الصناعية فى العالم . ويرجع ذلك — أى هذه التنمية — إلى التخطيط الدقيق وتكامل الصناعة مع الزراعة وإلى مالا يقل أهمية عن ذلك وهو إدخال عديد من الصناعات الصغيرة التى أصبحت مسئولة عن معظم إنتاجها الصناعى بفضل إتخاذها للطرق العلمية والأصول الفنية الحديثة المستخدمة فى الصناعة . وتكون المصانع المنزلية التى تستعمل القوة الكهربائية والمعدات الحديثة والتى يجند لها أعضاء الأسرة بمساعدة بعض العمال لب كثير من الصناعات الخفيفة فى اليابان (٢) ولا تحتاج الصناعات الريفية إلا إلى مبالغ صغيرة من رأس المال العامل ولذلك فأمر توطينها ميسور لأن العامل والمادة الخام متوافران فى جميع مناطق الجمهورية . ويتصل موضوع توطين الصناعة بحجم المصانع التى تنقسم من حيث الحجم إلى ثلاثة أنواع طبقا لتقسيم مصلحة الإحصاء بالجمهورية ، والدعوة إلى توطين الصناعات الريفية كأسلوب للرفاهية الاجتماعية والاقتصادية ترى ألا يقل عدد المشتغلين بها عن عشرة فى أمكنة متجاورة حتى إذا توافر لهم إمكانيات المصنع الصغير زودتهم المؤسسات الصناعية التعاونية بالمال والخبرة فيتم لهم إنشاء مصنعهم وهكذا بالتدريج تتقدم هذه الصناعة ويكبر حجم المصنع عن طريق تجميع عدة مصانع صغيرة وإدماجها فى وحدة إقتصادية فعالة .

---

(١) سعد سلام ، المرجع السابق ، ص ٥ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٢ — ١٣ .

ولا يغيب عن الذهن أن العائد من الصناعات الممولة تمويلا ضخماً أبطأ بكثير من العائد من الصناعات الصغيرة . واحتمال العائد السريع أمر له اعتبارا هام فى تقرير الأولوية فى البلاد التى تكون نسبة تكوين رأس المال فيها بطيئاً . « وفضلا عن ذلك فإنه بينما يكون رأس المال والمهارة الفنية من القلة النادرة نسبيا تكون المواد الخام والقوى العاملة متوافرة ومن ثم قد يفضل استغلال رأس المال الموجود استخداما على نطاق أوسع فى مشروعات يمكن أن تستخدم تلك المواد استخداما أوليا بسيطا نسبيا — كوسيلة لإيجاد الثروة — على مشروعات صناعية ضخمة التمويل[1] ، والواقع أنه قد يتعذر — نتيجة لعدم وجود رأس المال اللازم — إنشاء عدد كبير من المصانع الكبيرة الحجم ، والواقع أيضاً أن التكيف مع الانتاج المتذبذب وظروف السوق والمرونة فى التنظيم الفنى والاقتصادى والقوة العاملة ذات المهارة النسبية خواص مميزة تنسب إلى المشروع المتوسط والصغير ، بالإضافة إلى خواص أساسية للمشروع الصغير هى اتصال رئيس المشروع اتصالا وثيقا بالعملية الانتاجية وتوافر العلاقات الأولية بين المشتغلين وهى علاقات المودة والمواجهة والتضامن التى يألفها القروى ، فلا تختل قيمه أو تتزلزل عنده الأوضاع والعادات الاجتماعية التى تتبادين على الأوضاع الناتجة عن العلاقات الثانوية التى تسود المصنع الكبير ، ومن ثم فإن توطين الصناعة فى الريف — على النحو الذى شرحناه — يعمل على تعود السكان على ظروف الحياة فى مجتمع محلى يزداد فيه التصنيع تدريجيا دون أن يتسبب عن ذلك أى إخلال فجائى بتقاليدهم أو بطريقة حياتهم السابقة هذا بالإضافة إلى أهمية المجهود الذى يبذله الفلاح العامل الذى يقيم وزنا للعلاقات الشخصية الوثيقة مما يترتب عليه خلق إحساس بالتضامن المهنى داخل إطار المشروع . ويشير التقرير الذى أعده مكتب العمل الدولى عن الحرف اليدوية والصناعات الصغيرة فى الدول الآسيوية إلى مزايا المشروعات الصغيرة وملخصها أن هذه المشروعات تجنب البلاد أخطار الاتجاهات الاحتكارية فى الانتاج وتضمن توزيع الأرباح على نطاق

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠ — ١١ .

واسع ، كما أن تركيز الصناعة فى المدن الكبيرة يلازمه ظهور الأحياء القذرة المكتظة بالناس . « فعندما تكون الصناعة لامركزية يصبح حدوث اضطراب أو تعطيل فى حياة المجتمع المحلى — بسبب إنهيار فى وحدة ما كقصور آلى أو لعدم راحة العمال أو بسبب مشكلات الانتاج أو مخاطر الحرب — أقل احتمالا مما لو حدث اضطراب مشابه فى صناعة كبيرة[1] . »

إن الصناعات الريفية وسيلة للرفاهية الاجتماعية من حيث أنها أسلوب لتقديم فرص العمل لفائض السكان الزراعيين ، كما تسهم فى رفع القوة الإنتاجية القومية للفرد الواحد وملء احتياجات السوق المطلوبة بما ينقصه الكمال، بل يسهم كذلك فى إيجاد مشروعات إنتاجية جديدة دون أن يتسبب عن ذلك تدفق عظيم للسكان إلى المدن المكتظة فعلا[2] . هذا بالإضافة إلى ما يترتب على إنشاء أو تدعيم الصناعات الريفية من زخرفة مادية للقوى العاملة فضلا عن حل طائفة من مشكلات التطوير الزراعى بوجه عام والقضاء على توطن البطالة المقنعة . وقد يعترض البعض بأن الصناعات الريفية لا تسمح بسحب العمال عند اشتداد الطلب عليهم لخدمة الزراعة ، ولكن إذا روعيت خطة الإنتاج الذى يجب أن توضع بحيث تتوفر فيها صفة المرونة فإن هذا الاعتراض لا محل له . ومن الأمثلة على الصناعات التى لا تتأثر بسياسة كهذه صناعات السجاد والأكلمة والفرش وصناعة الأثاث والأدوات الزراعية ، ويمتاز هذا النوع من الصناعات بأن الناتج منه يصلح للتخزين ومن ثم مواجهة الطلب العاجل خلال الفترات التى يتحول فيها العمال إلى الزراعة . وهذه هى أهم رابطة بين الصناعات الريفية وبين الزراعة من زاوية العمل وتقلب الطلب عليه ومن ثم تخف حدة البطالة الموسمية . إن ساكن القرية هو القائم بالصناعات الريفية وهو المستهلك الأخير لجانب كبير من منتجاتها إذ تساهم هذه الصناعات فى تأثيث منزله وفى توفير الأدوات اللازمة للحقل وهى تعتمد إلى حد كبير على خامات القرية ومن ثم فإنها تجىء مطبوعة بطابع الريف وينبغى أن تستمد وجودها منه لأنها تعتمد على ما فيه من الخامات والطاقة كما تعتمد على السوق المحلية فى الأغلب الأعم والسوق هى علة وجود الصناعة ومادة بقائها . إن توطين الصناعات الريفية إذن أسلوب يحقق

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠ — ١٧ .

الرفاهية الاجتماعية فى محيط القرية إذ أنها تساهم فى تنمية الموارد كما تشبع حاجات السكان . ولما كان الريف المصرى بتقاليده الراسخة محافظا فإن إخراجه من جموده وركوده وتأخره لن يكون إلا عن طريق توطين الصناعات الريفية ، إذ من العسير فى المرحلة التخطيطية الراهنة توطين الصناعات الكبيرة لعدم توافر رأس المال والوقود . ومن مزايا هذه الصناعات أن رأس المال الموظف فيها صغير بحيث لا يتعذر على أهل القرية تخصيصه لتحسين المشروعات القائمة أو إنشاء المزيد من الوحدات الإنتاجية ، كما أن التدريب عليها هين بحيث يمكن للمبتدىء أن يكسب الأجر بعد فترة قصيرة . ونلخص فيما يلى الآثار التى تترتب على تصنيع الريف[1]

١ — توفير العمل للقادرين عليه وامتصاص الطاقة الفائضة لمن لا يجدون مجالا فى الحقل . ومما لا شك فيه أن الريف يشهد بطالة موسمية بالإضافة إلى البطالة المستديمة المقنعة .

٢ — تحويل الخامات الريفية البائرة أو غير المستثمرة إلى منتجات لها قيمة إقتصادية .

٣ — الانتفاع بالفائض من جهد المرأة وهى تمثل ما يزيد على نصف السكان فى عمل مثمر يعود عليها بكسب مادى فضلا عن تكوين الشخصية وتوسعة الأفق .

٤ — إيجاد الروابط والصلات فى بيئة القرية مما يعاون على الحد من الأحقاد وتقليل نزعات النفور والبغضاء ومن ثم يتوافر للمصلح الاجتماعى جو ملائم .

٥ — المساهمة فى انعاش الريف ورفع المستوى العام بفضل الزيادة فى دخل الأسرة .

---

(١) عبد العزيز مرعى وعيسى عبده ، المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .

٦ — نشر الوعى الصناعى فى الريف على نحو يساعد فى إيجاد طبقة عمالية مهيأة لأن تعمل فى ميادين الصناعة بوجه عام[1] .

وننقل فيما يلى[2] مقارنة بين قريتين إحداهما زراعية والأخرى صناعية من أعمال مركز الباجور بالمنوفية .

(ا) بيانات إحصائية :

اسم القرية	عدد السكان	المساحة بالفدان	عدد العائلات	[illegible]	المشتغلون بالصناعة
زاوية جروان (صناعية)	٣٢١٤	٥٧٤	٥١٤	٦٣٢	٢٧٠
كفر شبرازنجى (زراعية)	٣٠٤١	٩٥٣	٦٩٩	٩٠٩	٦٠

وعدد الأنوال اليدوية بالقرية الأولى هو ٤٠٠ نول .

---

(١) رسمت وزارة الشئون الاجتماعية السياسة العامة لبرنامج الصناعات الريفية والحرف اليدوية على أساس اجتماعى واقتصادى فى وقت واحد ، وذلك بقيام كل من الجمعيات التعاونية والمراكز الاجتماعية (وقد حلت محلها الوحدات المجمعة) على تشجيع قيام صناعات صغرى فى البيئة أو الاقليم الذى تعمل هذه الجمعيات والوحدات على نطاقه .

ورغبة فى تمويل هذه الصناعات ومعاونة لها على النمو والاتساع رات الوزارة انشاء صندوق لدعم الصناعات الريفية والبيئية والانعاش الريفى وقد صدر بانشائه القانون رقم ١٦٧ لسنة ١٩٥٦ يديره مجلس ادارة وله ميزانية مستقلة لا تتقيد بالقوانين واللوائح والتعليمات التى تخضع لها وزارات ومصالح الحكومة وقد أوضحت اللائحة الداخلية للصندوق شروط منح القروض والاعانات اللازمة لدعم الصناعات الريفية وذلك بالنسبة للجمعيات التى تنشأ لهذا الغرض . وقد تم تسجيل ٢٧ جمعية تعاونية صناعية على الاساس المتقدم أعين بعضها من صندوق الدعم ثم أقيم معرض دائم للصناعات الريفية والبيئية مركزه القاهرة ، وزارة الشئون الاجتماعية الكتاب الثانى ، التعاون ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٦٨ — ٦٩ .

(٢) حسين عارف ، تعميم الصناعات الريفية والنتائج الاجتماعية المترتبة عليه ، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية ، كتاب الدورة الرابعة ، ٦ — ٢١ مارس سنة ١٩٥٤ ، بغداد ، جامعة الدول العربية ، ص ٣٧٩ .

(ب) بيانات عن مستوى المعيشة :

اسم القرية	أجر العامل	نسبة المواظبة فى التعليم	المترددون على مكاتب الأمية	طلاب المدارس العالية	طلاب المدارس الفنية	دخل الأسرة	دخل الفرد
	قرش					جنيه	جنيه
زاوية جروان	١٥	٧٥٪	١٤٠	٤٠	١٠	٦٩,٨	١٧,٤
شبرا زنجى	٨	٤٥٪	لا شىء	٢٠	٥	٣١,٥	٧,٥

التعاون :

التعاون أسلوب من أساليب الرفاهية الاجتماعية ، فالجمعيات التعاونية فى مختلف القطاعات — الزراعية والصناعية وصناعة الصيد — كالجمعيات الزراعية والصناعية وجمعيات صيد الأسماك تستطيع زيادة الإنتاج زيادة كبرى والمدارس التعاونية والتعليم التعاونى فى المدارس الأخرى يسهمان فى الحصول على متعلمين أكثر والمستوصفات التعاونية والجمعيات التعاونية الاستهلاكية وجمعيات الألبان التعاونية وغيرها تستطيع أن تؤمن التغذية على وجه أفضل والجمعيات التعاونية للعمل تستطيع أن تحقق استخداما أكمل[1] . »

وتسهم الجمعيات التعاونية على اختلاف أنواعها فى زيادة الدخل القومى ، إذ تهىء للمنتجين الظروف المناسبة لتحسين إنتاجهم وتسويقه . فالجمعيات التعاونية الزراعية سواء كانت جمعيات توريد أو تسليف أو تأمين أو تسويق إنما تحقق

(١) جابر جاد عبد الرحمن ، التعاون والتنمية الاقتصادية والاجتماعية مركز التربية الاساسية فى العالم العربى ، سرس الليان ، ١٩٥٩ ، ص ٩ — ١٠ .

هذه الغاية بوضوح . والجمعيات التعاونية لصائدى الأسماك تسير فى القطاع الساحلى مع الجمعيات السابقة ، فمشكلات صائدى الأسماك تتشابه فى جوانبها الاقتصادية والاجتماعية مع مشكلات الزراع فى كثير من النواحى إذ تعترض هؤلاء وأولئك مشكلة الحصول على وسائل الإنتاج والتسليف والتأمين ضد المخاطر كما تجابههم مشكلة التصريف المجزى لمنتجاتهم [1] ، وتجابه صغار الصناع ومتوسطيهم . مشكلات شبيهة بتلك التى تصادف زملاءهم من الزراع وصائدى الأسماك ولذلك فالجمعيات التعاونية الصناعية تيسر لهم الحصول على المواد الأولية والآلات والأدوات اللازمة والقوى المحركة والمال اللازم لممارسة مهنتهم وتصريف منتجاتهم فى السوق فى ظروف مواتية . وهكذا تهدف هذه الجمعيات إلى رفع مستوى معيشة أعضائها ماديا وأدبيا . ويفيد إنتشار هذه الجمعيات الاقتصاد القومى فى مجموعه فانتشارها فى الريف يهىء العمل أمام طائفة كبيرة من الناس مما يسهم فى علاج مشكلة هجرة السكان من الريف إلى المدن وانتشار هذه الجمعيات فى الريف والحضر على حد سواء يساعد فى القضاء على البطالة المقنعة فى بلاد تتميز بالإفراط فى زيادة السكان ، ومن ناحية أخرى فإن تنظيم الإنتاج على أساس تعاونى فى الصناعات الصغرى والصناعات الحرفية والصناعات فى محل الإقامة يتيح الفرصة لانتشار ظاهرة التكامل بين الصناعات جميعا ويهىء الفرصة للموارد المحلية من يد عاملة ومواد أولية لكى تسهم فى زيادة القوى الإنتاجية وتعتبر الجمعيات بمثابة أداة مثلى للتنسيق بين القطاع الإنتاجى السالف وبين الصناعات الكبرى وسائر فروع الاقتصاد ، فقد حدث فى البلاد الآخذة بسياسة التصنيع (كالصين والهند وأندونيسيا) أن احتفظ للصناعات الصغيرة والصناعات الحرفية والصناعات المنزلية بمكانهـــا إلى جانب الصناعات الكبرى . وكان لا بد من إجراء التناسق بين مناشط هذه الصناعات جميعا فروى أن خير وسيلة لذلك هى العمل على نشر الجمعيات التعاونية الحرفية فى صورها المختلفة ثم جمعها فى اتحادات إقليمية وقومية بحيث تصبح بمثابة كل متناسق له كيانه ، كل لا يترتب عليه القضاء على استقلال هذه الوحدات الصغيرة كما يحقق لها من جانب آخر مزايا التركز المالية والاقتصادية وينأى بها عن عيوب تركز الثروة وتركز السلطة فى الوقت ذاته [2] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

ويشرح لنا الأستاذ كلمنز بدرسين الدنمركي حقيقة هامة عن علاقة التعاون بالانعاش الاجتماعي بصورة عامة وبالسلطات العامة أى الحكومة . فيذكر أن التعاون عند نشأته كان مستقلا استقلالا تاما عن معاضدة الشعب أو تدخله وأنه انشىء لأغراض اقتصادية صرفة وليست اجتماعية أو انعاشية وعلى الرغم من أن كثيرا من الجمعيات التعاونية العمالية التى أنشئت لشراء حاجاتهم أو لأغراض أخرى قد بدأها محسنون فإن عمل جمعيات المستهلكين الاوروبيين يقوم على الغاية نفسها ، وعند قولنا . أن أغراض التعاونيات اقتصادية صرفة نعنى أن هذه التعاونيات تهتم فى الدرجة الأولى بتحسين أحوال أعضائها الاقتصادية ، بيد أن هذا يتضمن تحسين حالتهم بصورة عامة لتتحسن أحوالهم الاجتماعية أيضا ، أعنى أن هذه التأثيرات تأتى كنتيجة غير مباشرة للتعاون وليست كنتيجة لهدفهم الحقيقى ، ومع ذلك قد أثبت الاختبار أن التعاون قد حسنت الأحوال الاجتماعية ، لذلك اعتبرت وسائل للتحسين الاجتماعى(١) ، كما يوجز الأستاذ بدرسن الأغراض المختلفة التى تعمل التعاونيات فى سبيل تحقيقها وهى تعاونيات الشراء وتعاونيات البيع وتعاونيات التسليف ، وتؤسس تعاونيات الشراء لشراء حاجات المستهلكين أو الأغراض المنزلية لأعضائها ، وهذه هى التعاونية المختصة بالعمال وأصحاب الأجور حيث ينحصر النشاط الاقتصادى بالاستهلاك ولكنها قد تحصر عملها أيضا فى شراء المواد التى يستعملها الأعضاء لانتاجهم الخاص وهذا أمر هام خاصة فى المناطق الريفية ، فيستطيع الفلاحون ، بهذه الطريقة ، الحصول على الأسمدة والأطعمة والبذور والأدوات الزراعية والآلات والأدوات المنزلية أيضا من جمعية تعاونية.

والأسباب العامة لتأسيس تعاونيات الشراء هى عدم توافر الحاجات بكمية كافية أو ارتفاع أسعارها أو رداءة أصنافها أو ابتعاد الأسواق .

أما النقاط الحيوية فى إدارة التعاونيات فهى أن تكون بإدارة أحد القادة المحليين وأن تستورد البضائع المطلوبة من بائعى الجملة أو منتجيها مباشرة ، بشروط ملائمة من حيث الثمن والنوع .

---

(١) كلمنز بدرسن ، التعاونيات كوسيلة لتحسين الاحوال الاجتماعية والاقتصادية فى المناطق الريفية ، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية ١٩٤٩ ، ص ٣٩٧ .

أما تعاونيات البيع فهى هامة فى المناطق الريفية وفائدتها للفلاحين الصغار فى مساعدتهم على إيجاد السوق لمنتجاتهم بأسعار أفضل من الأسعار التى كانوا يحصلون عليها أولا ، وتمكن هذه الجمعيات الفلاح المنتج من مجابهة تجار الجملة الذين يشكلون نوعا من الاحتكار ، وتقوم التعاونيات الخاصة بمنتجات الألبان بتسلم الحليب من أصحابه وتصنع منه الزبدة والجبن وتعاونيات اللحوم تتسلم المواشى من أصحابها فتذبحها وتجفف اللحم وتعده فى علب للبيع [1] .

« ويجدر بنا أن نذكر نوعا خاصا من التعاونيات الزراعية نسميه « تعاونية المزرعة » ففى هذه التعاونية تكون أرض المزرعة والأدوات الزراعية والحيوانات جميعها ملكا مشتركا للأعضاء وأفضل مثال حديث لهذا النوع من تعاونيات المزارع نجده فى روسيا ويسمى كولكهوز ، أو المزرعة المشتركة . وتشبه هذه التعاونيات بالجمعيات التعاونية للعمال الصناعيين المنتجين حيث يملك العمال المصانع ويعملون فيها أى يعملون فى مصانعهم الخاصة [2]

والنوع الثالث من جمعيات التعاون هى تعاونيات التسليف « وتعليل ذلك هو كما يلى : قليل من الاستقلال الاقتصادى ضرورى لإنشاء الجمعيات التعاونية ، ويعود سبب تأخر الأحوال الإجتماعية والأحوال الاقتصادية العامة فى المناطق الريفية إلى وقوع الفلاحين تحت عبء الدين الذين يمنعهم من تحسين أحوالهم ، ولذا كان حل مشكلة الفلاح المالية أول شرط أساسى لتقدمه وتحسين أحواله الإقتصادية والإجتماعية » [3] .

« ولا يكتمل توسع المنظمات التعاونية قبل أن يأخذ الأعضاء على عواتقهم كامل المسئوليات فى الإدارة ، وتجاه بعضهم وبعض ، وتجاه الحكومة ، وتجاه المجتمع بصورة عامة ، وليس فى استطاعة الأعضاء القيام بذلك قبل أن يتعلموا مبادىء التعاونيات ويتفهموها ، ويفهموا أيضا كيفية مراقبة الحسابات والأشياء

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠١ ، ٤٠٨ وما بعدهما .

الأخرى المختلفة ، أما نوع التعليم الضرورى لإعداد الناس للتعاون فى الشئون الاقتصادية فهو مسألة كيفية ، ولا ريب فى أن القراءة والكتابة والرياضيات الإبتدائية ضرورية كأساس يبنى عليه هذا التعليم »[١] .

وفى ميدان الصناعة يلاحظ أن جميع عمال المصانع فى العالم لا يتمتعون بأى نوع من أنواع الملكية الحقيقية ، ونعنى بالملكية الحقيقية تلك التى تتضمن السيطرة على وسائل الإنتاج والتوزيع وقد استطاع بعض الصناع أن يقتنوا المنازل التى يسكنونها ، بل ومنهم من استطاعوا أن يشاركوا فى الأرباح التى تحققها المؤسسات التى يعملون بها ، تبعا للأنظمة المختلفة لتقسيم الأرباح فى هذه الأحوال ولكن هذه المشاركة فى الربح لا يمكن أن تتضمن شيئا من الملكية أو حق الإدارة فى المشروعات التى يعملون بها . ويطلق عليهم فى الفلسفة الماركسية إسم البروليتاريا . ولم يكن من الضرورى أبدا أن يقتصر نشاط عمال المصانع وصغار المنتجين على أحقر الأعمال فى المجتمع الاقتصادى ، فلقد كان ممكنا — بجانب أعمالهم أن يشاركوا فى أرباح المؤسسات الاقتصادية . وكان ممكنا أن يكونوا مثل إخوانهم من أبناء الطبقات العليا الأسعد منهم حظا من حملة سندات والأسهم وأن يؤدوا فى نفس الوقت وظائفهم كعمال صناعيين ، ومنتجين صغار . . ولو أن هذا حدث لأمكن أن يكون لهم مصادر دخل إضافية تكمل دخلهم من مهنهم العادية ، ولما تحرجت مشاكل الأجور بالنسبة لصغار المنتجين . كان ممكنا لعامة الناس ، لو أنهم اتبعوا نظام التعاون الاقتصادى ، أن ينالوا نصيبا من الثروة التى تتدفق بسخاء على الطبقات الأخرى من المجتمع . . لا نريد أن ننكر مزايا تقسيم العمل أو الإنتاج بالجملة أو النظام النقدى إنما نريد أن نوضح أن النظام النقدى غير ناجح لأنه مفتقر إلى الفكرة الوظائفية الأساسية . ومن الممكن تحقيق هذه الفكرة بالتعاون الإقتصادى وبذلك يستطيع الإنسان أن يتفادى الإلتجاء إلى إنتاج ما يحتاج إليه نفسه وكذلك أن يكون تحت رحمة إنسان آخر يريد أن يربح منه . وهذا التعاون الإقتصادى سيمكن الإنسان من أن يضمن لنفسه كل ما يلزمه من السلع والخدمات مهما كان ثمنها[٢] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٠١ ، ٤٠٨ ، وما بعدها .

(٢) م.م كورى ، التعاون أفضل الوسائل للتحـــرر الاقتصادى والاجتماعى ، ترجمة محمد فايد ، وزارة الشئون الاجتماعية ، ١٩٦٠ ، ص ١١٦ وما بعدها .

إن نظام التعاون جدير بأن يؤدى للمجتمع المهمة الاقتصادية التى يحتاج اليها فى العصر الحاضر ، فمن الأمور المتفق عليها بصفة عامة أن من الممكن للجهاز الاقتصادى القائم أن يؤدى وظيفته بالطريقة المرجوة لو أعدنا للجماهير قوتها الشرائية . وقد إتفقت آراء كثير من مشاهير الاقتصاديين ورجال الأعمال فى جميع أنحاء أمريكا الشمالية على أنه ، لكى نستطيع أن نقضى على حالة الشلل الاقتصادى القائمة ، لابد من أن نعمل على خفض تكاليف السلع ورفع الأجور وهذا بالذات هو مايعمله نظام التعاون . فبواسطة الجمعيات التعاونية الاستهلاكية وجمعيات الإدخار والأقراض التعاونية وبتأميم الصناعة (وهذا نوع من أنواع التعاون الإلزامى) ، تنخفض أثمان السلع والخدمات إلى تكاليف إنتاجها الحقيقية وبواسطة التسويق التعاونى ، ونقابات العمال والتأمين الاجتماعى ترتفع أجور الجماهير[١] .

والخلاصة أن التعاون يهدف إلى رفع مستويات المعيشة مع ما يتضمنه ذلك من زيادة دخل العمل وتدبير السكنى الملائمة وتحقيق مستوى للتغذية أفضل. وزيادة تمتع الناس بالأمن الاجتماعى وبالمرافق العامة كالتعليم والنقل والمواصلات والصحة والكهرباء والمياه .

فن الخدمة الاجتماعية :

يعرف كلايد موراى الخدمة الاجتماعية بأنها فن تكييف أية علاقة فردية سيئة وتنظيم كل كيان إجتماعى مفكك . ويعرفها دونالدهوارد عميد مدرسة الرفاهية الاجتماعية بجامعة كاليفورنيا بأنها عبارة عن المحاولات التلقائية التى تبذل فى سبيل تقديم المساعدات التى تستلزمها الحاجة والتى تهتم بالعلاقات الاجتماعية وتقوم على الحقائق والطرق العلمية أو هى خدمة مباشرة تقدم للأفراد والجماعات والمجتمعات بقصد تحقيق أعلى مستوى من الرفاهية والمساعدة على التغلب على العقبات التى تعرقل إفادتهم من المصادر الاجتماعية ، وتتضمن أنشطة الرفاهية الاجتماعية والعلاقات

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٨ — ١٢٠ .

الأسرية البنائية كما تتضمن علاقات الأفراد فى العمل والتعليم . وتقدم من الخدمات عن طريق المهن المساعدة العديدة ، ولكن مهنة فن الخدمة الاجتماعية هى أميز المهن فى ميدان الرفاهية الاجتماعية(١) .

والخدمة الاجتماعية هى مهمة أولئك الذين يرشدون الأفراد إلى فن المعيشة مع بعضهم البعض عن طريق تنمية أو تكييف الأفراد والأسر والمنشآت التى يعتورها أى نقص وملاءمتها مع الجماعة التى هى جزء منها ، وكذلك عن طريق تنظيم المجتمعات وتحسين وزيادة قدرة الأفراد والمؤسسات والجماعات . وتتخذ الخدمة الاجتماعية الوسائل العلمية والعملية التى تهتم بمساعدة الفرد غير القادر على الحصول على نصيبه من الخير فى المجتمع ، كما تهتم بمساعدة المجتمع غير المنظم على القيام بمهمته الوقائية نحو الأفراد . ووضع الأشخاص والأسر فى ظروف طيبة تلائمهم ، ومنع وقوع الولايات الاجتماعية وتحسين حال المجتمع ورفع مستوى المعيشة .

ولم يكن تعبير الخدمة الإجتماعية يطلق على هذه الوسائل إذا أنها كانت تعرف باسم أعمال الإحسان وحب الخير لأنها كانت قاصرة على مجرد الإحسان . أما اليوم فلم يعد مجرد الإحسان قوام الخدمة الإجتماعيه كما لم يعد هدفها مجرد العلاج المؤقت . وقد أصبحت اليوم تقوم على فن وعلم كما أصبحت غايتها التكييف الحسن للحياة والتفاعل السليم للمجتمع .

وقد حمل هذا التطور بعض المتخصصين فى الخدمة الاجتماعية على إعتبار أنشطتها شافية بمعنى تمكين الأفراد والأسر من العيش على وجه معقول للوصول إلى المستوى العادى والطبيعى للحياة وذلك كمساعدة عاطل عن العمل مثلا، وواقية بمعنى مساعدة الأفراد والأسر على التغلب على عوامل التدهور الخلقى والصحى

---

(1) Clyde E. Murray. Social Work as a Profession in Social Work Year Book 1954, R. H. Kurtz, editor, New York, A.A.S.W. 1954, p. 505.

والإقتصادى كالاهتمام بالنواحى الوقائية الصحية والتأمين والتعاون ، وإنشائية أو إيجابية بمعنى الإرتقاء بالمستوى العادى إلى مستوى أرقى وأكمل كالعناية بإنشاء الأحياء على نحو خاص .

ولكننا نميل إلى قصر الخدمة الإجتماعية على قيامها بدور مساعدة الفرد أو البيئة على التكيف والملاءمة ذلك لأن أدواتها ومناهجها التى تستخدمها فى ذلك — كما سنشير إلى ذلك فيما بعد — سواء عن طريق فن خدمة الفرد وفن خدمة الجماعة وفن تنسيق المجتمع ، لاتسمح لها أن تقوم بدور الوقاية أودور الإنشاء ، ومن شأن مناهج أو أساليب أخرى أن تقوم بهذين الدورين ، وهما توفير المستوى الصحى والإقتصادى ورفع مستوى المعيشة .

ولتوضيح التباين بين الخدمة الاجتماعية والرفاهية الاجتماعية نذكر أن الخدمة الاجتماعية منهج أو أسلوب يعتمد على فن وعلم أما الرفاهية الاجتماعية فهى هدف يتحقق بعدة أساليب أو مناهج ، منها فن الخدمة الاجتماعية ، كما نذكر أن مظاهر الرفاهية الاجتماعية ، تختلف باختلاف الدول ففى انجلترا مثلا تبدو هذه المظاهر فى التأمين الاجتماعى وهو نظام يكفل إعانة جميع الأفراد فى حالات البطالة والمرض والتقاعد والترمل واليتم والوضع والوفاة . بينما ليس ثمة خلاف على حول مفهوم الخدمة الاجتماعية فهى أسلوب لتحقيق هدف معين ، وتتخذ من فن خدمة الفرد وفن خدمة الجماعة وفن تنظيم المجتمع وسائل لتحقيق أهدافها .

وفى دول أخرى تعتبر من نطاق الرفاهية الخدمات الصحية التى تشتمل على تقديم اللبن ووجبات الطعام وتعتبرها جزء ضروريا من نظام التعليم ، ومن هذا النطاق كذلك علاج الأمراض وتقديم الدواء مجانا ، بينما يشمل نشاط الرفاهية الاجتماعية فى بلجيكا التأمين الإجتماعى ضد البطالة ، أما فى الهند فمصطلح الرفاهية الاجتماعية يستخدم كمصطلح عام يشمل جميع الجهود الاجتماعية والبرامج لمساعدة رفاهية بنى البشر . فالصحة والتعليم يعتبران من خدمات الرفاهية الاجتماعية[1]

(1) John S. Badeau, "The Meaning of Community Development, Community Development Bulletin, Number 2, Sept. 1956, pp. 1-8.

وتحدد اللجنة اليابانية(١) فى مؤتمر الخدمة الاجتماعية التاسع الذى انعقد فى طوكيو سنة ١٩٥٨ مجالات الرفاهية الاجتماعية فيما يأتى : المساعدات الاجتماعية ورعاية الطفولة ورعاية الشيخوخة ورعاية العاجزين عجزاً كلياً ورعاية أسر الأيتام وتأهيل البغايا ومعونة أسر المحاربين وبرامج رعاية الأسر ذات الدخل المنخفض والرعاية الطبية والإغاثة ورعاية خريجى السجون وأنشطة الرفاهية للمجتمع المحلى ، وتذكر اللجنة بعد ذلك برامج تطلق عليها « برامج متصلة » وهى الصحة العامة والتأمين الاجتماعى والتربية والإسكان والعمالة وتحدد اللجنة الفرنسية(٢) فى مؤتمر الخدمة الاجتماعية الثامن المنعقد فى ميونخ فى أغسطس سنة ١٩٥٦ مجالات أنشطة الرفاهية الاجتماعية فى الإسكان وصحة الفرد والأسرة فى البيئة الصناعية وتأهيل العاجزين جسميا وعقليا والإفادة من وقت الفراغ وخدمات تحتمها مسئوليات المصنع والضمان الاجتماعى كما تحدد اللجنة الألمانية(٣) فى المؤتمر السابق هذه المجالات فى حماية الأطفال والشباب وصغار الزراع والنساء والأمهات وحماية العامل أثناء العمل وحمايته من الفصل والتأمين الاجتماعى بمختلف صوره (التأمين الصحى والتأمين ضد حوادث العمل ، والتامين ضد العجز والشيخوخة والتأمين ضد البطالة) ويحدد الكتاب السنوى(٤) للخدمة الاجتماعية فى الولايات المتحدة مجالات الرفاهية فيما يأتى : خدمة التبنى وتعليم الكبار ورفاهية الشيخوخة وخدمة مدمنى المسكرات وخدمة الأغراب والمولودين فى الخارج وخدمة العميان وخدمة المعسكرات ورعاية الطفل ورعاية المرضى بأمراض مزمنة وخدمات للحقوق المدنية والحريات المدنية وخدمات لخريجى السجون وخدمات للأطفال ضعاف السمع أو العقل ومحو الكوارث وخدمات العمالة والصرع والأسر البديلة والإرشاد والعلاج النفسى فى الجماعات وخدمات لربات البيوت والإسكان والأحداث الجانحين ورفاهية

---

(١) Japanese Joint Organizing Committee, 9th International Conference of Social Work, Social Welfare Services in Japan.

(٢) 8th International Conference of Social Work, French Committee, Munich, 5th-10th August 1956, p. 63.

(٣) Industrialization & Social Policy in Germany, Heinrich Braun, Berlin, Carl Heymans Verlagkg, 1956, pp. 85-88.

(٤) Margaret Williamson, "Youth Services" Social Work Year Book, 1954, New York, American Association of Social Workers, 1954, pp. 545-553.

تقدم للعمال وصحة الأم والطفل والرعاية الطبية والصحة العقلية والمهاجرون وخدمات الطبنفسية والمساعدات الاجتماعية والصحة العامة وأوقات الفراغ وبرامج الريف الاجتماعية والخدمات الاجتماعية فى المدرسة وخدمات للمحلات والتأمين الاجتماعى والتأهيل المهنى وخدمات الشباب . أما خدمات الرفاهية الاجتماعية التى تحددها وزارة الشئون الاجتماعية المصرية فهى طبقا لبنود الميزانية كالآتى : رعاية الشباب ، أندية ريفية ، أندية رياضية ، أندية بلديات ، ساحات شعبية ، وحدات قروية ، تأهيل مهنى ، مراكز اجتماعية ، إصلاح ريفى ، روابط ، رعاية مسجونين ، تحسين صحة ، معونة الشتاء ، الهلال الأحمر ، الاتحادات ، مجالس خدمات المستشفيات ، وحدات إجتماعية لرعاية الأحداث المشردين والمنحرفين ، الرعاية البلدية ، مؤسسات لايواء المتسولين ، مؤسسات لضعاف العقول ، مؤسسات للحضانة ، مؤسسات لرعاية الشيوخ ، مؤسسات للفتيات القاصرات أو المعرضات للانحراف ومكاتب للتوجية والاستشارات للأسرة ، التأهيل المهنى ، تشغيل ذوى العاهات والصناعات الريفية ، وحدات اجتماعية . وحدات مجمعة ، ونستطيع أن نصنف هذه المجالات كما يأتى :

١ — رفاهية الإنسان فى مراحـــل العمر المختلفة : فى مرحلة الطفولة والشباب والشيخوخة .

وتختلف هذه الرفاهية باختلاف الفرد فى كل مرحلة تبعاً لحالة السواء أو حالة الحرمان .

٢ — رفاهية تتصل أنشطتها بالنظم الاجتماعية : نظام الأسرة ، النظام الاقتصادى ، النظام السياسى ، النظام التعليمى النظام الدينى . وتختلف هذه الرفاهية كذلك باختلاف تماسك النظام وتفككه .

٣ — رفاهية تتصل بالمجتمع ككل . ومن ذلك المراكز الاجتماعية والوحدات المجمعة .

ويرى الباحث أن تتضمن أنشطة الرفاهية الاجتماعية فى دولة نامية كمصر تختلف فى اقتصادياتها وعوامل الثقافة فيها عن اقتصاديات الدول المتقدمة وثقافاتها

النواحى الآتية : الغذا والكساء والإسكان والتعليم والرعاية الصحية والتأمين الإجتماعى كما يرى الباحثان أن الرفاهية هدف يتحقق بعدة أساليب : تنمية المجتمع، التخطيط الإقتصادى ، التخطيط الإجتماعى ، العمل الاجتماعى، فن الخدمة الاجتماعية وقد سبق أن أوضحت ذلك فى هذا الفصل .

أساليب فن الخدمة الاجتماعية :

قبل أن نشير إلى الأساليب التى تتخذها الخدمة الاجتماعية نذكر أن مجال الخدمة الاجتماعية أو نطاقها هو الذى يحدد الأسلوب ، وكما يحاول الباحث الاجتماعى العلمى أن يحدد منهجه فى البحث بعد التعرف الدقيق لنطاق دراسته كأن يستخدم المنهج الوصفى إذا كان بإزاء دراسة عن مجتمع ، أو المنهج التاريخى إذا كان يقوم بدراسة مقارنة عن ظاهرة إجتماعية، أو المنهج التجريبى إذا كان بصدد دراسة عن عوامل إجتماعية أو نفسية تصاحب ظاهرة كظاهرة كتعاطى الحشيش أو البغاء أو تغيب العمال فى المصانع ، فكذلك يستطيع الأخصائى الاجتماعى أن يحدد الأسلوب الذى يتخذه فى دراسته بعد تعرف دقيق لنطاق أو مجال موضوعه ، ورغم ما أشرنا إليه من تقسيمات لمجال فن الخدمة الاجتماعية فإن التحديد التالى يسهل على الأخصائى الاجتماعى تبين أى الأساليب الفنية (فن خدمة الفرد ، فن خدمة الجماعة ، فن تنسيق المجتمع أو تنظيم المجتمع) يختارها لعمله ، فالخدمات الاجتماعية التى تقدمها المنظمات الحكومية والأهلية فى المجتمع متنوعة ، وإذا كان من الصعوبة بمكان تقسيم هذه الخدمات ، إذ أن كثيراً من المنظمات تقوم بخدمات مختلفة فإن التقسيم التالى قد يعطى فكرة عامة عن هذه المنظمات .

أولا : من ناحية المستفيدين من حيث السن والجنس نجد : رعاية الطفل (قبل الولادة ، حديث الولادة ، طفلا) ، خدمات للشباب (بنين وبنات) ، منظمات نسوية ، منظمات للرجال ، منظمات البالغين (رجالا ونساء) ، رعاية العجزة .

ثانياً : من ناحية تنوع الخدمات المقدمة نجد منظمات لما يأتى :

(ا) خدمات طبية واجتماعية :

١ — عناية طبية ، وقاية من المرض

٢ — رعاية المكفوفين والصم والبكم والمقعدين
٣ — العناية بضعاف العقول والمرضى بالصرع وبالجنون .
٤ — أعمال خيرية
٥ — رعاية المسنين .
٦ — رعاية من لا عائل لهم والمهملين وغير المستقرين .
٧ — معالجة التشرد ، الجريمة .
٨ — العناية بالزواج ومشاكل الأسرة
٩ — البطالة
١٠ — الخدمة الاجتماعية العمالية .
١١ — الخدمة الاجتماعية الريفية .

(ب) خدمات تعليمية والانتفاع بوقت الفراغ .

١ — التدريس
٢ — تعليم الفنون والعلوم .
٣ — تربية صحية ، صحة عقلية .
٤ — تربية بدنية ، رياضة ، ترويح .
٥ — معسكرات ورحلات .
٦ — تعليم البالغين وتعليم عام .
٧ — التربية الخلقية والدينية .
٨ — تربية المواطن .
٩ — التدريب على العمل الاجتماعى .

(ح) خدمات عامة

١ — مؤسسات دينية .
٢ — مراكز إجتماعية ووحدات مجمعة
٣ — هيئات لتسهيل السكن .

٤ — هيئات لتخطيط المدن .

٥ — مراكز النصح والإرشاد .

٦ — خدمات الاستعلامات والاستشارة .

٧ — جمعيات مهنية وعلمية .

٨ — جمعيات دولية .

٩ — أبحاث اجتماعية .

١٠ — هيئات التنسيق العام مثل مجلس التنسيق للخدمات الاجتماعية ، هيئة لتمويل المؤسسات الاجتماعية[1] .

ويقسم الأستاذ هربرت شهروب مجالات الخدمة الاجتماعية إلى :

١ — الخدمة الاجتماعية العائلية .

٢ — الخدمة الاجتماعية للأطفال الذين يودعون فى المؤسسات .

٣ — الخدمة الاجتماعية للأطفال فى الأسر البديلة .

٤ — الخدمة الاجتماعية المدرسية .

٥ — الخدمة الاجتماعية الاكلينيكية للأطفال الذين يحتاجون إلى التوجيه والإرشاد .

٦ — الخدمة الاجتماعية للاحداث والمذنبين .

٧ — الخدمة الاجتماعية الطبية

٨ — الخدمة الاجتماعية النفسية[2] .

وبالإضافة إلى تقسيم الخدمة الاجتماعية من حيث مجالاتها فإنها تقسم كذلك من حيث الجهة التى تقوم بها، إلى خدمة إجتماعية حكومية تقوم بها الوزارات

---

(١) ج.ب. كرمز ، النهوض بالمجتمع ، ادارة الشئون الاجتماعية الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، ص ١٧ وما بعدها ، الاسكندرية ، أبريل ١٩٥٧ .

(٢) Stroup, H. H., Social Work, An Introduction to the Field, New York, 1948.

عن طريق وحداتها المختلفة، وخدمة إجتماعية أهلية تقوم بها المؤسسات والهيئات الأهلية ، كما تقسم الخدمة الاجتماعية بالنسبة لأسلوبها فى العمل إلى خدمة فردية وخدمة جماعة وخدمة المنشآت وخدمة المجتمع [١] .

فن خدمة الفرد :

وهو عبارة عن الجهود التى توجه إلى الفرد ولأسرته لتشخيص مشكلاته وتحديد حاجاته ومساعدته على معالجة موقفه عن طريق تمكينه من إشباع تلك الحاجات ، كما أنه مجموعة من الوسائل الفنية ترمى إلى مساعدة الفرد للتمكن من مساعدة نفسه بنفسه لكى يشق طريقه فى الحياة بأسلوب إيجابى حتى يتم تكيفه مع نفسه ومع بيئته الاجتماعية التى يتعامل معها .

وليتمكن هذا الفن من تحقيق هدفه فإنه يقوم بدراسة أسباب انحراف العميل أو العوامل التى تصاحب هذا الانحراف والتعرف على الظروف أو الشروط الإجتماعية التى تحيط به . ومعنى ذلك أنه عملية تهدف إلى تنمية الشخصية وتكيف الفرد مع بيئته الاجتماعية والتعاون معه لتحسين حالته فى المجتمع ، كما أنه عملية ترمى إلى معاونة الأفراد والأسر على إيجاد القدرات والفرص التى تتيح لهم الحياة الهانئة .

وتعرف الأستاذه فلورنس هوليز فن خدمة الفرد بأنه منهج يستخدمه الاخصائى الاجتماعى لمساعدة الأفراد لإيجاد حل لمشكلات التكيف الاجتماعى إذ يعجز هؤلاء الأفراد عن تحقيق هذا التكيف بطريقة مرضية وبجهودهم الذاتية [٢] وتأخذ هذه المشكلات شكل التوتر العائلى كالصعوبات التى قد تنشأ بين الآباء والأبناء

---

(١) زكى بدوى ، اصول الخدمة الاجتماعية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٧ ، ص ١٤ — ١٥ .

(٢) Florence Hollis, "Social Casework," Social Work Year Book, New York, A.A. of S.W., p. 474, 1954.

أو العلاقات بين الزوجين ، كما قد تتضمن علاقات شخصية خارج الأسرة نفسها كالأصدقاء أو أفراد الجيرة أو المعارف ، أو قد تتمركز حول ناحية معينة فى الوظيفة الاجتماعية كالقدرة على إعالة الفرد نفسه أو الإدارة المنزلية أو الوصول إلى أهداف معينة فى التربية أو التأهيل أو العناية الصحية .

ويمارس فن خدمة الفرد نوعان من المؤسسات : مؤسسات تجعل من خدمة الفرد أساس العمل فى المؤسسة أو الهيئة مثل هيئات الطفولة والهيئات التى تعنى بأمور الأسرة والمساعدات العامة والمعونة الاجتماعية والنوع الثانى يكون فن خدمة الفرد فيها ثانويا بالنسبة للهدف الرئيسى للمؤسسة ، مثل المستشفيات والمدارس والعيادات الملحقة بالمحاكم وعيادات الصحة العقلية .

وبعض الاخصائيين الاجتماعيين المتخصصين فى فن خدمة الفرد يضطلعون بمهمتهم على حسابهم الخاص ، ولكن هذه محاولة جديدة ولا يمكن التنبؤ بما إذا كان هذا سيكون اتجاها عاما أو أمرا ينصح به المتخصصون فى فن الخدمة الاجتماعية أصلا[١] .

ويقوم فن خدمة الفرد على افتراضات أساسية معينة تتصل بالشخصية الإنسانية والقيمة الاجتماعية والأهداف الاجتماعية ؛ فهو يقوم أولا على أساس أنه لكل فرد قيمته وفرديته وقدرته على النهوض والتكيف بطريقة تضمن له أن يرضى عن نفسه ، كما يقوم على أساس أن البناء الاجتماعى يمكن أفراد المجتمع من الحياة السليمة بقدر الإمكان وأن يعيشوا وفق النظرية التى تنادى بأن المجتمع يخدم الفرد ويعتقد أخصائيو فن خدمة الفرد أن الفرد السوى يؤدى إلى المجتمع السوى والعكس صحيح ، وإن ما هو حسن للفرد حسن للكل . كما يعتقد هؤلاء أن الأفراد سواء كانوا فى جماعة أو فرادى تقع عليهم مسئولية رعاية باقى أفراد الجماعة بشكل يحقق أهداف هذه الجماعة ، ويتطلب ذلك الطمأنينة وإتاحة الفرصة للابداع والخلق . وبالإضافة إلى ذلك يعتقد هؤلاء الاخصائيون أن السلوك البشرى يسير وفق

---

(١) المرجع السابق .

نماذج معينة لا عرضية ، ويترتب على ذلك أنه يمكن إذن فهم السلوك البشرى والتأثير فيه ، وهذا السلوك هو نتيجة للصفات التى يتميز بها الفرد ولتجاربه أى خبراته الماضية وللمواقف الاجتماعية التى يستجيب لها ، وهذا الفرد شاعر بسلوكه وأسباب هذا السلوك ولكنه من ناحية أخرى محكوم بمؤثرات فى داخل نفسه لا يشعر بها شعورا تاما .

ولكن كيف يمكن أن يساعد الفرد ؟ يمكن ذلك بإحدى الطرق الثلاث الآتية :

١ — بإزالة الضغوط الخارجية التى تواجهه .
٢ — باكتساب فهم دقيق لموقفه ولنفسه .
٣ — عن طريق التأثير المباشر لعلاقة معينة تمكنه من الشعور لقبول الاخصائى الاجتماعى شعورا وضعيا .

وفن خدمة الفرد عبارة عن هذه العناصر الثلاثة بحيث تستخدم بطريقة واعية هادفة لتمكين الفرد لتحسين تكيفه الاجتماعى .

ويعتقد الاخصائيون الاجتماعيون إعتقادا تاما بحق الفرد فى توجيه حياته الخاصة وأن يختار بنفسه طريقة حياته كما أن له مطلق الحرية فى مدى إفادته من الأخصائى الاجتماعى ، مع إستثناء بعض حالات بسبب السن أو الضعف العقلى أو المرض الجسمى ، مما قد يترتب على ترك الأمر للعميل أضرارا له أو للآخرين .

ويفيد فن خدمة الفرد من علم النفس الفرويدى فى فهمه للفرد[١] وكذلك من النظريات التى إنتهت اليها العلوم الاجتماعية (علم النفس ، علم النفس الاجتماعى علم الاجتماع ، الأنثروبولوجيا الثقافية ، علم الاقتصاد ، الاقتصاد الاجتماعى) .

وفن خدمة الفرد تتضمن ثلاث عمليات :

١ — دراسة نفسية اجتماعية .
٢ — تشخيص وصياغة خطط العلاج .
٣ — العلاج نفسه .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ٤٧٥ وما بعدها .

وتتطلب الدراسة النفسية الاجتماعية جمع عدة حقائق تختلف باختلاف طبيعة المشكلة التي يعرضها العميل وعلى نوع الخدمة التي تستطيع المؤسسة القيام بها نحوه، ومع ذلك فإنه يمكن القول أنها دراسة للظروف والمواقف الاجتماعية والسمات السيكلوجية للشخص الذي يراد مساعدته ؛ ولا ينبغي أن يعتمد الإخصائي على مجرد الوصف التلقائي الذي يذكره العميل سواء في وصفه لظروفه الاجتماعية أو لمشاعره ، مع الاعتراف هنا بأن العميل وحده هو الذي يستطيع أن يكشف عن ذلك بطريقته ، بل قد يحتاج الإخصائي إلى أن يلجأ إلى من يعتقد أنهم يفيدوه في إجراء بحثه سواء بتزويده بالمعلومات أو بغير ذلك على أن يوافق العميل نفسه على هذا الإجراء وقد يتطلب الأمر أن يحدد الاخصائي بعض النقاط بحيث تدور حولها عملية الاستبار ، وهو شأن قد يعجز العميل في غالب الأحيان عن القيام به . وتتضمن العملية الثانية وهي الخاصة بالتشخيص وصول الاخصائي إلى رأى عن طبيعة مشكلة العميل وطبيعة المساعدة التي ينبغي أن تقدم له . وهنا يجب على الاخصائي أن يحدد بادىء ذي بدء بوضوح طبيعة أداء العميل لوظيفته ويتضمن ذلك طريقته فيها ومدى عجزه عن أدائها بنجاح، ثم عليه بعد ذلك أن يفهم ماوراء هذا العجز وإلى أي مدى . وكيف يمكن أن يكون مرد ذلك إلى ضغوط خارجية غير عادية ، وكذلك إلى أي مدى وكيف يمكن أن يرجع ذلك إلى عوامل تتصل بنفسية الفرد . وهنا يستطيع الاخصائي الاستعانة بصورة طولية ومقطعية ؛ بمعنى أنه يتساءل : متى وكيف بدأت هذه المتاعب ؟ وهل تمتد جذورها إلى زمن قديم أم أنها حديثة العهد ؟ وما هي أسبابها ؟ وحصيلة هذه الحقائق لابد أنها تعطى الاخصائي صورة واضحة عن العميل في جميع سمات فرديته . أما الخطوة الثانية فهي التصنيف . ونعني بذلك معرفة أوجه التشابه والاختلاف بين متاعب هذا العميل ومتاعب غيره ممن تكونت عنهم بعض المعارف والمعلومات والتصنيف، وهذه خطوة هامة نحو تخطيط العلاج إذ قد وجد بصفة عامة أن صوراً معينة من العلاج أو تقديم عون مالي قد أفاد في أشكال خاصة من الاضطرابات ، وبفضل هذه السمات المشتركة يمكن تصنيف الأفراد إلى مستحقين لأنماط معينة من المعونات المالية وغير مستحقين لها ، وتبدأ المؤسسة أو الهيئة من هذا التصنيف الأولى عدة خطوات تالية ، كالإحالة إلى مؤسسة للرعاية الطبية أو اجراء إختبار سيكلوجي

أو توجيه مهنى ، أو إجراء إستبار لتفهم مشكلات الأسرة ، وهكذا . ولا يمكن تقديم هذه الخدمات لكل عميل عن طريق « جلوس الأخصائى على المكتب » ولكنها تؤدى لهؤلاء العملاء الذين يبدون للاخصائى أنهم فى حاجة إليها لتشابه حالاتهم بحالات أخرى نجحت معهم تقديم هذه الخدمة .

ومعنى ذلك أن نواتج الخدمة يختلف باختلاف الأفراد . وعلى الرغم من أهمية هذا النوع من التصنيف فإن الأخصائى قد يقوم بهذه العملية دون أن يكون شاعراً بأنه يستخدمها فعلا .

ولا يزال فن خدمة الفرد يحاول أن يكشف نواحى التشابه ذات الدلالة العلاجية بحيث ينبنى عليها تفهم الأفراد ، وقد استطاع الاخصائيون فعلا من تمييز الأطفال الذين يجب أن يساعدوا بإيوائهم فى مؤسسات ترعاهم عن أطفال آخرين يجب أن ترعاهم الأسر البديلة ، كما بدأ هؤلاء الاخصائيون أن يكشفوا عن سمات معينة تميز الأمهات غير المتزوجات عن بعضهن فى الاحتفاظ بأطفالهن ورعايتهم ، أو التخلى عنهم لمؤسسات التبنى .

وتتطلب معظم المشكلات التى تدفع إلى اللجوء إلى هيئات خدمة الفرد فهما شاملا للشخصية ، وهذا ما دعا فن خدمة الفرد إلى التحول أكثر فأكثر إلى الطب النفسى للمعاونة فى فهم مظهر تعب العميل وإلى تشخيص أكلينيكى كجزء لتشخيص نفسى إجتماعى ؛ فإذا بدا أن العميل يعانى أى نوع من الاضطراب الانفعالى فإن الاستشارة النفسية تعتبر جزءاً من هذه العملية . ويعطى فن خدمة الفرد أهمية كبيرة لتوازن القوى فى الأسرة باعتبار أنها تلعب دوراً هاما بالنسبة للفرد وأنها قد تعدل بعلاج مدروس . والخلاصة أن التشخيص فى فن خدمة الفرد يعتمد على التصنيف والتفريد معا . والعملية الثالثة وهى الخاصة بالعلاج نفسه تتلخص فى نمط الخدمة الذى يقدم للعميل ، وهو نمط يعتمد على عدة عوامل : طبيعة مشكلة العميل ، نوع المساعدة التى يكون العميل على استعداد لقبولها ، نوع المؤسسة ومواردها ، ويتضمن ذلك الاستشارة الطبنفسية ، والوقت المناسب ومهارة الإخصائى . وعلاج فن خدمة الفرد نوعان :

الأول : يشمل تغييرات للبيئة .

والثانى يشمل تغييرات للفرد نفسه عن طريق استبار خدمة الفرد . وغالبا ما يرتبط النوعان معا[١] .

ويستخدم فن خدمة الفرد فى الميادين الآتية: رعاية الأسرة ، رعاية الطفولة ، الخدمة الاجتماعية المدرسية، الخدمة الاجتماعية الطبية ، مرضى العقول ، الخدمة الاجتماعية بمحاكم الأحداث ، التوجيه المهنى ، العمل مع الأفراد الذين لا مأوى لهم ، حماية الفتيات .

المقابلة أو الاستبار :

ويتطلب تطبيق أسلوب فن خدمة الفرد إستبار العميل . ونحاول أن نذكر فى إيجاز معنى هذا الاستبار .

إن محاولة مناقشة فن الاستبار (أو المقابلة) تثير دائما السؤال المباشر التالى : هل يستطيع أى شخص أن يشرح لشخص آخر ماهية عملية الاستبار ؟ قد يكون هذا ليس بالأمر اليسير — ومع ذلك فان خبراء فن الاستبار يقدمون بعض الأفكار والآراء التى تفيد الذين يحتاج عملهم إلى ممارسة هذا الفن ، على الرغم من أن لكل شخص أن يقوم بالاستبار على طريقته الخاصة وبأسلوبه الخاص . إن المقابلة فن يتعلمه الإنسان عن طريق الممارسة فقط، ولكن معرفة بعض المبادىء السيكلوجية تساعد المستبر وتجعل مهمته أيسر . ومن الجدير بالذكر أن خبرة الباحث تزداد بزيادة الممارسة وقد أوضح ف. ج . روثلز برجر فى كتابه « التدريب على العلاقات الانسانية » طريقة تحسين أسلوب الممارسة فاشار إلى مدى دقة مشكلة العلاقة بين المعرفة والمزاولة فى ميدان العلاقات الانسانية ، » وبالنسبة لخبير العلاقات الانسانية ، فانه يهتم إهتماما عميقا بالتغيرات الفعالة فى الأفراد ، وبعلاقاتهم بعضهم ببعض ، وتشمل هذه التغيرات ميادين مختلفة ، هى ميادين الفهم والإدراك والحساسية والمهارة والميول والقيم والمذاهب الفكرية . وينبغى ألا ننسى — مع ذلك — أن المهارة ... شيء أساسى يزاول ولا يتحدث عنه

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٧٦ وما بعدها .

بسهولة أو يتحدث عنه حديثا عاما . وأنه بالنسبة لهذا اللفظ « المهارة » لا تستطيع أى عبارة مهما كانت دقيقة أن تحل محلها . والمهارة تسبق المنهج أو الأسلوب الذى يطلق عليه « المنهج العلمى »[1] .

وحقيقة الأمر أنه عندما نقوم بعمل مجهد، فاننا ننسى غالبا أنفسنا إذ يستغرقنا هذا العمل حتى أننا لا نكاد نشعر بتعب أثناءه . وإذا كنا على دراية تامة بما تضطلع القيام به فان هذا يسهل كثيرا من أدائه فضلا عما توفره هذه الدراية من الوقت والجهد . إن معرفة العمل تضمن لنا التعرف على طريقه أو وسيلة الأداء .

ونحاول هنا أن نتكلم عن الناس الذين يقوم الباحث أو الاخصائى باستبارهم ثم نتحدث أيضا عن القائمين بهذه العملية . إن عملية الاستبار لا تتضمن « الشخص » الذى يدلى إلينا بالمعلومات فحسب ، بل « الشخص » الذى يحاول أن يحصل على هذه المعلومات كذلك، وذلك لأنه بينما يكون الاخصائى مهتما بالتفكير فى الشخص الذى يحاول إستباره ، يجب أن يتعلم أن يفكر فى شخص آخر هو « نفسه» وتقول الأستاذة اليس وبر مايأتى : « إننى أضع القاعدتين الهامتين الآتيتين عن الناس ، قد لا تعتقد أيها القارىء فى صدقهما ولا تؤمن بهما مباشرة ولكنى أرى أن تختبرهما ، فإذا ظهر أنهما صحيحتان ، فحاول أن تستفيد منهما فى الحصول على حقائق أو معلومات من الناس الذين تريد أن تتكلم معهم : إن الناس يعملون دائما مايرغبون فى عمله ، وهم لا يعملون غير مايرغبون فيه مهما كانت الظروف ».

وقد تبدو هذه الفكرة غريبة أومضحكة . أو قد تظن أنه ليس لديك الفرصة فى أن تعمل الأشياء التى تريد أن تعملها . ومع ذلك فأنا مازلت أتشبث بفكرة: أن كل إنسان يعمل فعلا مايريد أن يعمله ، ولنعطى لذلك مثالا هو : قد تكون سائرا فى طريق مظلم وفجأة يظهر لص يحمل مسدسا ويقول لك : إما نقودك أو حياتك . وحتى فى مثل هذا الموقف ، لديك نوعان من السلوك : إما أن تعطيه

---

(١) ف.ج. روثلز برجر ، التدريب على العلاقات الانسانية ، ترجمة محمد خيرى محمد على ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٥ ، ص ٣٣ ، ٣٧ .

تقودك أو ترفض ذلك ، وثمن هذا الرفض هو حياتك. إذن فلديك أنت الاختيار. كذلك لانستطيع دائما أن نفهم لماذا نختار هذا الفعل دون فعل آخر . أما الفكرة الثانية فهى أننا نفعل كل مانفعله طبقا لمشاعرنا الخاصة ، وهذه المشاعر تكون فى الغالب معارضة لعقولنا أى للأداة التى نستخدمها فى حل مسائل الحساب . إن الحياة تبدو بسيطة لو أن كلا منا فعل مايبدو له أنه الشىء الصحيح الذى يجب أن يفعله . ولدى معظم الناس عقول سليمة تمكنهم من تصور ما ينبغى أن يفعلوه فعلا : ولكن لماذا لايفعلون ماتشير به عقولهم[1] » .

« إن معظمنا لديه خبرة بهذه المسألة : أنه يسأل نفسه كثيرا هذا السؤال » : ما هذا الشىء السخيف الذى فعلته اليوم ؟ أو ما هذا الأمر الذى لا معنى له على الاطلاق ؟ وفى الواقع : لست أعرف لماذا فعلته ؟ » « إن السبب الذى أدى بك إلى فعل ما فعلته متصل بشىء يمكن أن تفهمه أو تحدده لنفسك : الانفعالات أو المشاعر ، إنها فى الواقع هى التى تحكم سلوكنا حتى على الرغم من أننا لانستطيع تفهمها ، أو نكون شاعرين بها . ودعنى أحاول أن أعطيك مثالا توضيحيا لما أقصده : إفرض أنك تركب باخرة فى المحيط ثم رأيت جبلا ثلجيا يتحرك فى الماء إنك فى هذه الحالة تستطيع أن ترى قمة هذا الجبل العائم ، ولكن مالا تستطيع أن تراه هو الجزء الذى تحت سطح الماء . إن ٨٠ ٪ من هذا الجبل الثلجى تحت الماء وكل ما تستطيع أن تراه هو ٢٠ ٪ فقط ، ومع ذلك فإن ما يحرك هذا الجبل الثلجى فعلا هو الجزء الأكبر أى الجزء الذى لاتستطيع أن تراه ؛ فكذلك سلوك الأفراد وأفعالهم فى أى موقف يوجدون فيه : تحدده المشاعر ، المشاعر التى تحت سطح الشعور . هذه المشاعر غير الظاهرة (أو الخفية) هى التى تدفعنا فعلا إلى ماتقوم به من أفعال . أشرت إذن إلى الفكرتين اللتين أرى أن نلم بهما بدقة قبل أن نحاول الحصول على معلومات من الناس . إنهما ييسران لنا أن نكيف وسائلنا أو مناهجنا لمواجهة خصوصيات الناس ، كما يساعدان فى مشاركة من نقوم باستباره ، مشاركة وجدانية ، وهو أمر جد ضرورى[1] » .

---

(1) Alice J. Webber, Interviewing, Social Security Bulletin, vol. 3, No. 4, April 1940, p. 11-12.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢ – ١٣ .

وإذا إستطعنا أن نقبل فكرة أن الناس تحركهم إنفعالاتهم أو مشاعرهم فإننا نسلم بأن الشعور بعدم الارتياح يمنع الناس من التفكير بوضوح . ولنعطى لذلك مثالا شائعا عن تأثير الانفعال على التفكير : هب أنك ستؤدى إمتحانا تحريريا ، وأنك ملم بموضوع الامتحان إلماما تاما ، وهب كذلك أنك — رغم هذا — فى حالة توتر وغير مستريح لفكرة الامتحان وأنك تخشى الفشل . إن حالة عدم الارتياح تجعلك فى الواقع غير قادر على إجابة الأسئلة . وليست هذه الحالة أمرا نادرا ، ولهذا يجب أن يكون فكرنا واضحا إذا أردنا أن نحصل على المعلومات الضرورية ، فإذا إهتمت بفكرة الانفعالات التى حدثتك عنها فإن ذلك ييسر لك كثيرا مهمة المقابلة أو الاستبار . إن مجرد أن يفكر العميل فى مشاعره فسيكون ذلك حاجزا يمنعه من أن يعبر عن نفسه تعبيرا صريحا ، وسيقف ذلك حائلا دون الاسترسال مع هذا العميل إلى مدى بعيد . يجب إذن أن تزيل هذا الحاجز . لقد إهتمت بفكرة الشعور الذى يجعل الفرد غير مستريح ، وذلك لأن كثيراً من العملاء ستظهر عليهم هذه المشاعر ، أنك ستقوم بمقابلة فرد هو فى واقع الأمر فى ظروف غير عادية ، ولا يحب أحدنا أن يكون فى مثل هذا الموقف . ولكن كيف يستطيع المستبر أن يدرك بسهولة عدم إرتياح الشخص الذى يقوم باستباره ؟ كيف يستطيع أن يعرف أنه فى حالة قلق أو تذمر أو ألم ؟ إننا فى الواقع نرى كثيرا من هذه الحالات فى حياتنا العادية ، ولكننا نفشل فى ملاحظتها أو فهمها . إن إحدى (وظائف) المستبر المدرب هى الإنتباه المدرب للحالة التى يقوم باستبارها فيلاحظ كل شيء وأن يفهم كل مايراه . إن الشيء الذى نلاحظه فى الغالب هو حالة التوتر (النرفزة) ، وكل منا لديه فكرة عن المقصود بهذا المفهوم . وإذا حاولنا وصفه فسيعبر كل منا عنه تعبيرا مختلفا عن تعبير الآخر ، ومع ذلك ففى ذهن كل منا صورة الشخص المتوتر . . . الذى يتكلم وهو يروح ويغدو بينما يجب أن يتكلم وهو جالس أو هذا الشخص الذى يحرك يديه وأقدامه والذى يجد صعوبة فى الكلام ، بالإضافة إلى سمة أخرى من سمات حالة التوتر هى الغضب ، وكل منا لديه سابق خبرة عن شخص فى حالة غضب لسبب أو لآخر : إنه يتكلم بصوت مرتفع ، وقد يكون جاف المعاملة ولكن لو أنك علمت أن سلوكه هذا لست أنت السبب فيه ، فإنك ستتصرف تصرفا معقولا .

إن الناس يفعلون ما يفعلونه فى حالة الاستبار لأنهم فى موقف جديد يجعلهم غير مستريحين ، كما أنهم فى حالة إضطراب ، وبمجرد أن يعرف المستبر أن هذا النوع من السلوك عبارة عن رد فعل لظرف قاس فإنك تستطيع أن تدرب نفسك على ألا تستجيب إستجابات غير مقبولة وسرعان ماتجد نفسك قادرا على أن تجعل الأفراد يشعرون شعورا بعيدا عن الغضب .

ويجب أن تعلم أن الناس جميعا يكرهون مقابلة ممثل السلطة ، وكذلك فإن من الناس من عنده عجز جسمى ويسبب له الشعور بالضيق عندما يقوم بعمل مايعتاده . ومهمتنا هى أن نجعل هؤلاء الأشخاص يشعرون بأن مانود الحصول عليه هو للصالح العام لاللإفادة منها فى أمور شخصية .

ويجب أن تتذكر عندما تبدأ الكلام مع العميل أنك ستحصل منه على معلومات من المؤلم بالنسبة له أن يتذكرها ، ويجب أن تعد نفسك لمواجهة الدموع وخاصة عندما يبدأ العميل فى ذكر قصته التى تريد أن تعرفها ، وإذا كان ثمة مضايقات فى أسرة العميل فإنه من الصعب جدا أن يحدثك عنها .

ودعنا نأخذ مثالا لذلك : فإنه من بين الأسئلة التى سنوجهها للعميل : موقف أصدقائه وأسرته وأسرة زوجته منه ، أنه يجب أن نوجه اليه هذا السؤال لأنه سيفيد البحث ، ولكن يجب أن تتذكر أنه سؤال شخصى ، أنه سؤال يتصل بالعلاقات الشخصية ، هذه العلاقات التى يراها كل فرد منا أنه من الصعب أن يتكلم عنها للغرباء ، أنها أسئلة من الجائز ألا تحلم بأن توجهها إلى أعز أصدقائك . إن كل سؤال فى إستمارة البحث يتصل بموضوعات لها صلة وثيقة بأعماقنا : ولذا يجب أن نتوقع عدم ارتياح العميل عند مناقشته فى هذه الموضوعات ، ويجب أن تتعلم كيف يجب أن نتكلم معه فيها وواقع الأمر أن كل انسان يستطيع أن يناقش أى موضوع إذا عرف كيف ينبغى أن تعالج هذه المناقشة .

وإذا كنت قد تكلمت عن الأشخاص الذى سنقوم بإستبارهم فيجب كذلك أن أتحدث عن المستبر نفسه . نحن بشر ؛ ولدينا مشاعر خاصة ومن الطبيعى جداً

أن نغضب عندما نشعر بأننا نعامل بجفاء ، وبخاصة من هؤلاء الذين لا يبدو أن هناك سبباً لمثل هـذه المعاملة ؛ يجب إذن أن نتعلم عندما نقوم بالاستبار أن كل ما يقال لنا لا علاقة له بأشخاصنا وأن أى وقوف عند هذه المشاعر سيجعل مهمتنا أصعب وأدق فضلا عما نفقده من وقت . وهكذا يجب أن نتعلم أن نوقف استجاباتنا ذات الشحنات الانفعالية فى مثل هذه المواقف .

ولأننا بشر فاننا قد نتحامل ، وذلك بصرف النظر عما قد نظنه عن أنفسنا : أننا متسامحون أو أننا واسعو الاطلاع أو ملمون بمعارف شتى . ويتصل التحامل الخاص عادة بعلاقة خاصة مرت بنا فى حياتنا ، وسنتعلم عندما نتحدث مع الناس أن كثيراً من الموضوعات التى نعتقد أنها غير شخصية أنها شخصية بحتة ، فعندما تتناقش مع فرد عن زوجته أو وظيفته ، فقد تظهر اتجاهاتك التى لا تتفق مع الشخص الذى تحدثه وبذلك فقد تتحامل عليه . صحيح أن من حقك أن تشعر بأى شعور نحو الأشياء أو الأشخاص ، ولكن ليس من حقك أن تسمح لمشاعرك أن تؤثر فى مناقشتك . لقد ذكرت هذه النقطة لأن مشاعرنا تظهر فى العادة بطريقة مباشرة على وجوهنا أو فى أصواتنا أو حركاتنا . ومتى أحس من تحدثه أنك لا تشاركه وجدانيا فيما يقول فسرعان ما ينصرف عنك ويسكت عن الكلام على الأقل ؛ فإذا بدت مشاعرك فستحرم نفسك من الحصول على المعلومات التى تتوق الوصول اليها .

وليس معنى ذلك أن نكون كالآلات الصماء عندما نتكلم مع العملاء ، إذ يجب أن نعلم أنفسنا كيف نستمع إلى الناس بمشاركة وجدانية ، وسنتعلم أن ندرك كيف نضبط عواطفنا أثناء شعورنا بالضيق وسندهش أن نكتشف سرعة اختفاء هذا الشعور ، والحقيقة أن كل مهمتنا هو أن نحصل على المعلومات إذا إستطعنا أن نتعلم كيف نميز بين الحقائق .

وثمة أمور أساسية للمقابلة الناجحة منها أن الانتباه الكامل المدرب ضرورى لمن يستبر ؛ وينجم العجز فى القدرة على الانتباه عن التعب أو التوتر الذى يؤثر فى المستبر بسبب أو لآخر ومنها أنه قد يكون لدينا أعمال كثيرة وهامة تجعل تفكيرنا يشرد عندما نتحدث إلى الناس . وقد نجد أننا لا نستطيع أن نتذكر

معلومات هامة يذكرها العميل ، ولا شك أنه مما يضايق الشخص أن نسأله أن يعيد لنا ما ذكره . ومن المهم أن نشير إلى المكان الذى سيتم فيه الاستبار بحيث يستطيع العميل أن يدلى بمعلومات سرية فعلا ؛ إذ من الصعب أن يفضى أحدنا بأسراره وهو يشعر بأنه فى مكان أبعد ما يكون عن هذه السرية ، كما يجب أن نشير هنا إلى ما يجب أن تخصصه من وقت لكل عميل فان هذا يختلف باختلاف العملاء .

أن الوقت الكافى والانتباه المدرب والسرية هى المبادىء الأساسية التى يجب الاهتمام بها عند القيام بعملية الاستبار . أما عملية الاستبار نفسها فإنى أعتقد أنه لا واحد يستطيع أن يتكلم عنها لإنسان آخر ومع ذلك دعنا ننظر إلى الاستمارة المطلوب استيفاء بياناتها . سنلاحظ أنه مطلوب منك أن تحصل على معلومات فى منتهى البساطة بالنسبة لبعض الأسئلة بل لا يحتاج الأمر للاجابة عنها بأكثر من كلمة نعم أو لا . ونستطيع أن نحاول الحصول على هذه المعلومات عن طريق قراءة هذه الأسئلة ثم توجيهها إلى المستبر . ولكن إزاء الأسئلة الأخرى : ماذا نفعل ؟ يجب أن نعلم أن من الناس من يستطيع الإجابة عن أى سؤال حتى وإن كان أمراً شخصيا ، ومنهم من يتردد فى ذلك ، وفى هذه الحالة يجب أن تعلم نفسك كيف تساعده للحصول منه على هذه المعلومات . وهناك طريقة للحصول على صورة صحيحة عن الموقف وهى أن تجعل الشخص المستبر يذكر لك قصته بطريقته الخاصة ، وتستطيع بعد ذلك أن تختار من بينها الإجابات عن الأسئلة المطلوبة . وبمعنى آخر سيكون لديك إجابات أكثر من كلمة نعم أو لا . وإذا كنت قد استمعت إلى شهادة فى المحكمة فإنك تعرف فنية الأسئلة التى يلقيها المحامى الذى يقول للشاهد : أجب عن هذا السؤال بنعم أو لا ، ونحن نعرف أن قصده من ذلك هو تحديد مجال المناقشة ، بينما يريد محام آخر أن يحصل على معلومات عن القضية فيقول للشاهد : هل تتفضل فتذكر كل ما تعرفه عن قصة هذه القضية . وإنه لمن الصعب جداً أن يعرف الإنسان الحقائق عن طريق وسيلة نعم أو لا فإنها تشبه محاولة من يرى الشىء إما أن يكون أبيض اللون أو أسوده ، بينما هو فى الحقيقة رمادى . وإذا أردت أن يخبرك العميل عن القصة كلها فإن ذلك سيتطلب وقتا طويلا ؛ ولكن ذلك فى الواقع أكثر فاعلية وإيجابية للوصول إلى الحقيقة . وليس هذا أمراً بسيطا فإن ذلك يتطلب من المستبر أن يتوافر لديه

حب الاستماع والانتباه المركز الكامل وحب الاستطراد و تشجيع المتكلم على إيضاح ما قد يحتاجه البحث . ولهذا يجب أن يكون المستبر هو الضابط للاستبار ومستعداً فى كل وقت لأن يجعل المتكلم يعود إلى إيضاح نقطة يكون قد أشار إليها فى حديثه . وقد يشعر المستبر أنه ميال إلى الكلام وخاصة عندما يبدو أن لديه مشروعا خاصا بالنسبة للعميل .

أن الطريقة الطبيعية هى الطريقة التى تجعل المستبر يشعر براحة أثناء القيام بها ، والطريقة الطبيعية هى التى يختارها المستبر لنفسه ، ولكل مستبر أن يختار لنفسه التفصيلات ، على أن يتذكر دائما أن تشجيع العميل والشفقة عليه يمكنانه من الأدلاء بمعلوماته . وقد لا يكون من الضرورى أن يتكلم المستبر كثيراً فإنه يمكنه التعبير عن مشاعره بنبرات صوته أو إيماءات وجهه أو انتباهه العام .

وقد يكون مفيداً أن نوضح منذ البداية أنواع الأسئلة التى سنقوم بتوجيهها للعميل والتى نرغب فى حصول إجابات عنها .

وإذا كنا نبذل فى سبيل وضع الأسئلة بعض الوقت فسرعان ما نجد يسراً فى الحصول على إجابات الأسئلة ، وإذا شعرنا أن السؤال من (الخصوصيات) فمن المستحسن أن يقول المستبر قبل السؤال (أنا آسف إذا وجهت لك السؤال الآتى ولكنه فى الواقع مفيد جداً للبحث) ومتى استطاع أن يشاركه وجدانيا ، فلن يكون ثمة صعوبة فى الحصول على أية معلومات .

ومن السهل جدا أن تعرف ما إذا كان الشخص الذى أمامك يشعر براحة أو حرية أولا يشعر بهما حاول أن تلاحظ الناس بعناية . ولا شك أنك قد لاحظت الناس فى مواقف غريبة بالنسبة لهم : كأن يجلسون على حافة الكرسى وبشكل يدل على استعدادهم فى أى وقت للقيام . وإذا استطعت أن تجعل العميل يجلس بحيث يملأ فراغ الكرسى كما يشعر بأنه مع نفسه فانك تعرف أنه على استعداد أن يتعاون معك .

وليس من الصعب أن تدرب إنسانا ، بحيث يستطيع أن يلاحظ هذه الأشياء البسيطة ، ولكن هذه الأشياء البسيطة لها قيمة كبيرة فى نفس الوقت . وإذا

استطعت أن تنجح فى جعل الناس يتكلمون بحرية فإنك تستطيع بالتالى أن تسكتهم عن الكلام . إن هناك طريقة بسيطة للانتهاء من الكلام وهى أن تقف بأدب عندما تكون منصتا ثم تتظاهر بأنك تجمع أوراقك وستجد أنه من السهل جدا أن تجد طريقة أو أخرى تتمكن بها من انتهاء المحادثة . وإذا كان يبدو أحياناً أنه من الصعب أن نوقف المستبر عند حد معين فإن ذلك يرجع إلى أنه من النادر أن يجد الناس أشخاصاً يتحدثون إليهم عن أسرارهم ، ومن النادر كذلك أن يجد هؤلاء الناس أشخاصاً يشاركونهم وجدانيا هذه المشاكل .

والخلاصة أن الناس يعملون دائماً ما يرغبون فى عمله ، وأن انفعالاتهم هى التى تضبط سلوكهم دائماً . والمشاركة الوجدانية هى إحدى الآلات المهمة التى تمكننا من الحصول على المعلومات التى نريدها . ويمكن أن نقسم الاستبار إلى ثلاثة أقسام : المقدمة وجسم الاستبار الذى هو عبارة عن جمع البيانات ثم نتيجة الاستبار . ونشير هنا إلى أن الوقت الذى نقضيه فى المقدمة ييسر جدا الحصول على المعلومات إذ نحاول فيه أن نزيل مشاعر الخوف والقلق كما تعبر للعميل عما نقصده من البحث[1] .

فن خدمة الجماعة :

يمكن تعريف فن خدمة الجماعة بأنه جهد تربوى يبذل مع الجماعات فى أوقات الفراغ بمساعدة رائد يهدف إلى تكوين كفايات اجتماعية ، فهو عناية التربية بالتربية من أجل الكفاية الاجتماعية . ويعرف تركر Trecker فن خدمة الجماعة بأنه عملية ومنهج يمكن عن طريقه اتصال الأفراد الذين ينتظمون فى جماعات تنتمى لهيئات اجتماعية بأفراد آخرين وذلك للقيـــام بتجارب خاصة بغرض النمو والتقدم[2] . ويستخدم فن خدمة الجماعة الجماعة نفسها كوسيلة أولية لتنمية الشخصية والتغير ، ووظيفة الاخصائى الوصول إلى هـذه الأهداف التى تعتبر

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤ وما بعدها .

(٢) A. E. Fink, E. E. Wilson, M. B. Conover, The Field of Social Work, New York, Henry Holt & Company, 3rd ed., 1955, pp. 508-509.

نتيجه للتفاعل الموجه بين أفراد الجماعة . ويشتمل نشاط هـذا الفن على الأندية والفصول التابعة لهيئات اجتماعية ومراكز الترفيه الاجتماعى كما يتضمن قيادة رشيدة فى المجموعات الصغيرة . ولعل أحدث تعريف لخدمة الجماعة هو ذلك التعريف الذى أقره المجلس التنفيذى للجمعية الأمريكية للمشتغلين بخدمة الجماعة وهو « خدمة الجماعة هى المساعدة التى يقدمها الرائد لمختلف الجماعات كى تعمل بالكيفية التى يساهم بها التفاعل الجماعى مع برنامج النشاط فى نمو الفرد وفى تحقيق الأهداف الاجتماعية . وتتضمن أغراض الرائد التزود بما يحقق للفرد نمواً ذاتياً حسب طاقته ووفق حاجاته وبحيث يتوافق مع غيره من الأفراد والجماعات والمجتمع ويحفزه إلى العمل على النهوض بالمجتمع الذى يعيش فيه ، كما تتضمن الوسائل التى تمكن الفرد من معرفة حقوقه وحدود قدراته وتحمله — بالمثل — على الاعتراف بما لغيره من حقوق . ويهدف الرائد بمشاركته نشاط الجماعة إلى التأثير فى العملية الجماعية فتتخذ قراراتها بعد تزودها بالمعرفة وتبادلها الرأى والخبرة فلا تكون هذه القرارات من وحى قوة مسيطرة عليها من داخل الجماعة أو خارجها ويسعى بخبرته إلى توطيد علاقات الجماعة بغيرها من الجماعات وبالمجتمع الأكبر ، هذه العلاقات التى تساهم فى إعداد المواطن المسئول وتعمل على خلق جو يحقق التفاهم المتبادل بين الجماعات الثقافية والدينية والاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع »[1] .

فن تنظيم المجتمع :

يحتاج كل مجتمع نوعاً من التنظيم ، والمجتمع شكل من التجمع يتضمن أنماطاً مقررة للسلوك والتفاعل بين الأفراد والمنظمات والمؤسسات ، ويمكننا هذا النمط من السلوك من التنبؤ برد فعل المجتمع فى الظروف العادية . وبعبارة أخرى فإن فكرة المجتمع تتضمن علاقات مقررة بعينها أى أن هناك درجة معينة من التنظيم . وترتبط فكرة المجتمع ذاتهـــا بفكرة التنظيم فالمجتمع نفسه شكل من التنظيم .

---

(١) نقله الى العربية حامد شاكر فى فن الخدمة الاجتماعية ، ص ١٥ — ١٦ .

وينشأ الإحساس بالحاجة إلى تنظيم المجتمع عندما تعجز بعض الأجزاء عن القيام بوظيفتها إزاء المجموع أو يعجز المجموع عن الوفاء بحاجات أجزائه. وقد ينشأ عجز المجتمع عن أداء وظيفته نتيجة انقطاع العلاقات القائمة أو تمزقها أو إلى قصور شكل التنظيم الموجود على مسايرة تغير البيئة .

وتنشأ مشكلات التنظيم عن التغير الاجتماعى فى داخل المجتمع أو خارجه وحاجته إلى تحسين جهاز العمل فيه حتى يساير التغير ، ولا يمكن وصف المجتمع بأنه منظم إلا إذا تضمن شكلا ما لتنظيمه وقدرة على أداء وظيفته كوحدة ، ولعلنا نستطيع فهم تنظيم المجتمع إذا أمكن التعرف على خصائص المجتمع غير المنظم أو المفكك . ولا تكون الجماعة مفككة إلا بافتراض أنها كانت منظمة فى وقت سابق ، ويمكن القول بأن المجتمع مفكك حين يصاب بخلل كبير فى وسائل الضبط العادية ، ويرتبط ذلك عادة بتدهور فى الروح المعنوية للأفراد . كما أن التقدم فى التنظيم يسبقه عادة قدر من التفكك الذى يعتبر مرحلة من مراحل عملية التوافق الاجتماعى والذى يرجع إلى الصراع بين الجماعات أو الطبقات فى داخل المجتمع . فهناك صراع دائم بين القوى للسيطرة على المجتمع سواء أكان ذلك بين رجال الأعمال والدين أو بين رجال الدين والتعليم أو بين أية جماعتين لهما سلطان . ومن الواجب عند دراسة الحالة الاجتماعية لأية جماعة أن نضع أيدينا على الصراع القائم على السلطة لبحث الجماعات أو الطبقات التى تندرج تحته ، وهذا يحتاج إلى معرفة شاملة لبناء الجماعة والعلاقات الموجودة .

والمجتمع غير المنظم هو الذى يفتقد التنظيم . وربما يرجع عدم التوافق فى العلاقات إلى جدتها كما يحدث فى الجماعات الموجودة على الحدود والتى ينقصها التمسك كوحدة أو قد يرجع إلى نقص التنظيم الذى يفى بحاجات السكان . وعلى ذلك فالجماعة التى تنعدم فيها تنظيمات للشباب أو للرجال يمكن اعتبارها غير منظمة بمعنى أنها ناقصة التنظيم . وعلى عكس هذا نجد جماعات زائدة التنظيم أى أن التنظيمات — فيها — أكثر من اللازم ، أو الذى يتحتم معه الشعور بالحاجة إلى تماسك أفضل .

ويمكن تصور فن تنظيم المجتمع على أنه عملية تماسك الجماعات أو التنظيمات الموجودة وتزايدها لتفى بالحاجات الاجتماعية التى لم تشبع أى أن التنظيم يعنى بإيجاد الوسائل التى تعمل على الوفاء بحاجات الجماعة وإنما بتماسك أفضل بين أجزائها أو بإضافة أجزاء مطلوبة . وهو يتناول أساس مسائل التكيف والتوافق الاجتماعى كما يهتم بالعلاقات المتبادلة بين الجماعات داخل المجتمعات وبتماسكها .

وإذا جمعنا بين الرأيين القائلين بتماسك أفراد المجتمع وبتقدم أجزائه يمكن أن نقول إن هدف التنظيم الاجتماعى هو إيجاد علاقات بين الجماعات والأفراد ، تمكنهم من أن يعملوا معاً على إيجاد واستمرار الخدمات والهيئات بحيث يمكن أن يحققوا عن طريقها أسمى قيم الرفاهية العامة لجميع أفراد المجتمع ولا يمكن أن تتحقق هذه الأهداف إلا بتوافق أحسن بين الأجزاء الموجودة أو بخلق أجزاء جديدة . وقد ردد هذا التأكيد ذو الأهمية الخاصة عند إعتبار أغراض التنظيم الاجتماعى فى مقابل هدفه العام « شتاينر » أيضاً بقوله . « إن تكنيك فن تنظيم المجتمع يجب أن يقوم على أساس تحريك الأفراد والجماعات وضبطهم بدلا من استخدام الوسائل الجماعية للتاثير على المجتمع ذاته وتوجيهه[1] إن هدف الضبط الاجتماعى يقرر لنا المعايير التى نوجه بمقتضاها غايتنا العامة أو غرضنا ولكننا نحتاج لتحقيق هذا الهدف أن نعين الأغراض التى يجب الوصول إليها بالتحديد . قد يكون من المرغوب فيه اتخاذ التنظيم أو التماسك وسيلة إلى غايات معينة ، ولكنها لا تعدو أن تكون وسيلة لتلك الغايات، ولا يصبح لها معنى أو محتوى إلا إذا حددناها بالغايات المرغوبة . ونذكر فيما يلى بعض أغراض فن تنظيم المجتمع :

الوعى بشخصية المجتمع : لا يكون للمجتمع شخصيته ولا أساس له من التنظيم الاجتماعى إلا إذا كان الأفراد والمنظمات القائمة فى دائرته يفكرون فيه على أنه جماعة محددة بمكان ومغايرة للمناطق المجاورة ، وإلا إذا أحس كل منهم

---

(1) Wayne McMillen, Community Organization for Social Welfare, The Univ. of Chicago Press, Chicago, 1947, pp. 19-22.

بأنه ينتسب إليه . وتقوم عملية التماسك قبل كل شيء على وعى ذاتى محدد بالمجتمع أى إدراك الأفراد والجماعات بعلاقاتهم المتبادلة حتى يشعروا أنهم وحدة متباينة عن المجتمعات الأخرى ، وهذا الوعى الذاتى أساسى للجماعات كما هو أساسى للفرد.

أن نفوس الأفراد تصبح متكاملة بقدر ما تحقق من الوعى الذاتى ، وبقدر ما تكون فكرة الذات غنية المحتوى ونواة لإحساس قوى تصدر عنه دوافع تسيطر وتتحكم فى الدوافع المنبعثة من المصادر الأخرى . ومن الواضح أن أول مقتضيات الشخصية أن يكون للمجتمع اسم .

إشباع الحاجات غير المشبعة : لولا الحاجات المشتركة التى لا يستطيع الأفراد والجماعات إشباعها بأنفسهم والتى يحتاجون من أجلها إلى عمل مشترك ، لما كانت هناك دينامية لأن يقوموا معا بعمل واحد ، لأن العمل الجماعى هو أساس كل تماسك اجتماعى وإدراك الحاجات المشتركة كتشييد طرق جيدة أو بناء مدرسة جديدة أو القضاء على التشرد لا يمكن إشباعها إلا بالمجهود المشترك .

المشاركة الاجتماعية كوسيلة للحياة الاجتماعية : إن الهدف النهائى لكل تجمع بشرى هو سعى الأفراد إلى أن يجعلوا من أنفسهم شخصيات أفضل . ويتألف المجتمع من جماعات متعددة يتجمع فيها أعضاؤه . ومن أهم العوائق فى العمل الاجتماعى هو تلك الأسرة والأفراد التى لا تنتمى إلى أية هيئات رسمية ، بل يحيون حيـــاة انعزالية نوعا ما ولا يختلطون إلا بعائلاتهم أو بجيرانهم .

إن الشخصية تنمو خلال المجتمع ومن أهداف فن تنظيم المجتمع تكوين الجماعات أو إيجاد النشاط الذى يمكن به إقناع أولئك الذين تنقصهم الرغبة فى التجمع بالمشاركة فيه . ومن خير الدلالات على الحياة الاجتماعية بين أعضاء المجتمع درجة مشاركتهم فى تنظيماتها ، وقد ذكر « برجس » فى وصف ما يندرج تحت عملية التجمع أن ميل الشخص للاجتماع يتضح فى مشاركته فى تفكير الجماعة وإحساسها ونشاطها(١) : فالميل إلى الاجتماع هو تفتح الشخصية تفتحاً حراً فى

(١) Ernest W. Burgess & Harvey J. Iocke; The Family, New York, American Book Co., 1953, pp. 111-113.

نطاق الزمالة السليمة . وإذا نظرنا إلى المجتمع من هذه الزاوية وجدناه مشروعاً تعاونيا يهدف إلى المساعدة على تقدم الفرد . ولكن تنظيم المجتمع ليس غاية التجمع ، وإنما غايته ووظيفته هى تقدم الأشخاص ، بل أن العلاقة بينهما أوثق من ذلك ، فالشخصية كلها تقريباً تتكون فى خلال التجمع وفى أثناء الإتصال المتبادل بين الشخص وجماعته . ويدرك الفرد أنه عندما يحقق مصالحه ينبغى فى نفس الوقت أن يقوم بعلاقات وظيفته مع الأشخاص الآخرين جميعاً . ويرتكز تقدم شخصية الفرد على إقامته العلاقات السليمة مع زملائه . وقدرته على أن يدخل فى نظام تعاونى دقيق لاحد له .

ولا بد لتنظيم المجتمع من فهم شامل لتركيب المجتمع ، فإن الجماعات الأساسية التى تطورت بخبرة الإنسان والتى تخدم كأساس للحياة التعاونية فى كل مجتمع هى : الأسرة والجماعات الدينية والجماعات التعليمية والجماعات المهنية وجماعات شغل أوقات الفراغ وجماعات مدنية وجماعات حكومية . هذه الجماعات وغيرها مما قد يظهر تحت أسماء مختلفة هى فى الواقع مجموعات منظمة من الناس تحاول إشباع إحتياجاتهم ومطالبهم الضرورية من أجل المحبة والإيمان والتعليم والتدريب والعمل المنتج وهوايات وقت الفراغ ومباشرة الآخرين والأمن والقوة . وطبقا لتنظيم المجتمعات وأشكالها نجد فى المجتمع الحديث مجتمعات فردية ومجتمعات حضرية ومجتمعات إقليمية والدولة كمنظمة تتكون من مجتمعات مختلفة والمنظمات الدولية التى يمتد نشاطها إلى جميع أنحاء العالم[١] .

وفى المجتمعات الكبيرة تجد منظمات تتخصص فى تقديم خدماتها وهذه المنظمات ثلاثة أنواع :

(١) مراكز تجارية ترمى إلى الكسب الخاص مقابل الخدمات التى تؤديها .
(ب) جمعيات تعاونية ترمى إلى نفع أعضائها .

---

(١) ج.ب. كرمز ، النهوض بالمجتمع ، ادارة الشئون الاجتماعية ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ص ١٥ — ١٦ الاسكندرية ، ابريل ١٩٥٧ .

(حـ) منظمات الخدمة الاجتماعية التى ترمى إلى مجرد الخدمة من أجل نفع الإنسان . وقد تنقسم منظمات الخدمة الاجتماعية إلى قسمين :

١ — هيئات أهلية للخدمة الاجتماعية خاصة وتقوم على أساس التطوع ، وهى هيئات منظمة بها موظفون ، ويقوم بالإنفاق عليها وإدارتها بعض المواطنين يتلقون معونة مالية من الحكومة أحيانا،وميدان الخدمة فى هذه الهيئات مقصورة عادة على جماعة معينة ، أو جماعات من الناس .

٢ — هيئات الخدمة الاجتماعية الحكومية أو العامة ويقوم بالانفاق عليها وتدبير شئونها السلطات الحكومية ، وهى تخدم الجمهور بعامة . ويدخل فى هذا القسم الخدمة العامة التى أممتها وأدخلتها ضمن الخدمات الحكومية مثل المنافع العامة والصحة العامة والتعليم والتأمين الاجتماعى ونظام الضمان الاجتماعى . . . الخ . وهناك كذلك بعض المنظمات الاجتماعية التى قد تندرج تحت القسم الأول ، ويندرج الجزء الآخر منها تحت القسم الثانى[1] .

الضبط الاجتماعى : وذلك عن طريق تمثل روح الجماعة والاخلاص لها . إن تداعى الضبط الاجتماعى علامة من علامات تفكك المجتمع وهذا يقتضى أن يتضمن تنظيم المجتمع وسائل الضبط الاجتماعى ، وواضح أنه من الأهداف الأولى لتنظيم المجتمع ممارسة هذه الوسائل على عدد من الجماعات والأفراد الذين يتألف منهم المجتمع حتى يمكن أن يتصرفوا بطريقة جماعية فى سبيل مصلحتهم المشتركة.

ولا يمكن أن يتحقق الضبط الاجتماعى إلا بنمو روح الجماعة والاخلاص للمجتمع وبوجود رموز تعبر عن الأهداف المشتركة لنشاط المجتمع . وقد أطلق علماء الاجتماع على هذه العوامل الثلاثة:روح الجماعة والإرادة الجماعية والدلالات الجماعية ، فروح الجماعة هى الروح المشتركة التى تعم الجماعة كما نجد فى روح الأخوة التى تسود جمعيات الأخوة فى علاقاتها بغيرها أو إحدى الفرق الرياضية ، فإن

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦ — ١٧ .

روح الجماعة تظهر عندما يلعب فريق جماعة معينة مع فريق آخر . أما الإرادة الجماعية فإنها كالإرادة الفردية التى تمثل تنظيم إتجاهات السلوك ، ويبدو خضوع الفرد لجماعته فى مشاركته فى النشاط الاجتماعى . أن الإرادة الجماعية فى المجتمع هى رسوخ أغراضه ودعامته وهى أبعد أثراً من الحماس الذى يقترن بروح الجماعة وتستند الإرادة الجماعية على المعتقدات والفهم وهى أمر جوهرى فى سبيل تحقيق أهداف المجتمع التى لا يمكن تحقيقها فى الوقت الحالى ، إنها تعبير عن الإخلاص للمجتمع . وأما الدلالات الجماعية ، فهى التصورات والرموز التى تتجسم فيها أهداف نشاط الجماعة. فعلم الأمة واللباس المميز لفرقة ماوراية المدرسة والشعارات التى تعبر عن أهداف جماعة أو مثلها العليا — كل هذه أشكال للدلالات الجماعية من حيث أنها تجسم وترمز إلى الأحاسيس والآمال المشتركة .

تنسيق الجماعات ونواحى النشاط لمنع الصراع وزيادة التعاون والعمل المنتج: نلاحظ أن التنسيق فى أحوال كثيرة، إذا بلغ درجة التعاون الفعلى ، أدى إلى زيادة نواحى النشاط وتحقيق الأهداف التى ما كانت لتتحقق بوسيلة أخرى .

حماية المجتمع من الخضوع لبعض الظروف أو المؤثرات غير المرغوب فيها : لايكفى أن نعمل على تقوية دعائم المجتمع من الداخل لأنه ينبغى كذلك أن يكون قادراً على حماية نفسه من إعتداء المؤثرات غير المرغوب فيها. ومن الجدير بالملاحظة أن نذكر أنه إذا دهمت المجتمع كارثة كالحريق أو الفيضان فإنه سرعان ما ينظم نفسه لمقابلتها .

وظيفة الأخصائى الإجتماعى : تدعو « الحاجات الإنسانية » الإجتماعية إلى وجود الأخصائى الإجتماعى لتشابك الأغراض والعلاقات بين الأفراد فى المجتمع[1] ، أما الفرد الذى يعيش فى عزلة تامة عن المجتمع فلا تكون له ثمة حاجات غير الحاجات الغريزية التى يتطلبها بقاؤه . بيد أن الفرد الذى يعيش فى مجتمع وخاصة المجتمع الذى سار قدماً فى مراتب التقدم والرقى تتولد لديه حاجات كثيرة

---

(١) محمد خيرى ، « وظيفة الاخصائى الاجتماعى » ، مجلة الخدمة الاجتماعية ، العدد الثانى ، يوليو سنة ١٩٥٥ ، ص ٤١ .

تنبع من وجوده فى هذه المجتمع . وقد تتوافر للأفراد هذه الحاجات فيتيسر الحصول عليها دون مجهود أو مشقة ، وقد يعترض تحقيقها عقبات وصعاب تحول دون بلوغها على وجه يكفل حياة تتفق وما يجب أن يوفر لفرد يعيش فى مجتمع بلغ مرتبة من الكمال بفضل كفاح الإنسانية الدائب وجهادها المستمر فى فترات التاريخ المتصلة . وهنا تبدو الحاجة إلى وجود إنسان يمهد هذه المشكلات ويجد لها من الوسائل ما يحقق حلها وييسر طريقها . وإذا كانت الإنسانية قد استطاعت أن تصل إلى ما وصلت إليه من اكتشافات للتغلب على الأوبئة والأمراض بفضل علماء الطب الذين وصلوا إلى تعرف مختلف الجراثيم وكنهها ، وتمكنوا بكشوفهم ومخترعاتهم من إيجاد أنواع الدواء الناجع ، فإن المشكلات الإجتماعية الكثيرة التى تعترض سبيل الفرد أو سبيل المجتمع بصفة عامة تفتقر إلى إنسان يمهد سبيل الكشف عنها وييسر طريق علاجها . والاخصائى الإجتماعى هو ذلك الإنسان الذى يستطيع أن يتفهم المشكلة وهو يخطو فى سبيل تفهمها خطوات تبدأ « بالشعور بوجود المشكلة » ثم يحاول « تحديدها » ، ويضع « الفروض » التى تنير أمامه الطريق وشأن الاخصائى الإجتماعى أمام المشكلة الإجتماعية شأن العالم الذى يلاحظ ماطرأ على المادة من تغييرات فى اللون والشكل والرائحة والطعم ، ولكنه يدرك أن الحواس تخطىء أحيانا فتفهم الظاهرة على غير حقيقتها ، لهذا يتغلب الاخصائى على أخطاء الملاحظة بابتكار شتى الوسائل لتفادى الوقوع فى هذه الأخطاء . وقد ترتب على ذلك أن رأى علماء الخدمة الإجتماعية وضع بعض القواعد التى يلزم اتباعها . ومتى توافر للاخصائى الاجتماعى كفاية الخبرة وعدم التحيز وفهم الظواهر الإجتماعية ومعرفة العوامل المختلفة التى تؤدى إلى تعقدها ، استطاع أن يتبين المشكلة على ضوء هذه الحقائق وأن يحقق التكيف الإجتماعى للأفراد . ويقاس نجاح الاخصائى الإجتماعى بما حققه لعملائه من توافق بينهم وبين بيئتهم الإجتماعية ، وقد يتكيف الفرد مع بيئته بوسيلتين : الأولى تعديل وسائل التنظيم الإجتماعى وهو دور الإخصائيين الإجتماعيين المتخصصين فى تنظيم المجتمع وإدارة المؤسسات الإجتماعية والعمل مع الجماعات . وتقوم هذه الطريقة على التخطيط الإجتماعى لمجموعة من السكان أو منطقة معينة مثل إعادة بناء المساكن والترفيه فى أوقات الفراغ والتدريب والرعاية الصناعية وخدمات معينة لمجموعات مختلفة

فى السن أو خدمات لمن يعانون نقصا عقليا أو جسديا . والوسيلة الثانية لتكيف الفرد مع البيئة هى العمل على نمو قدراته ، بحيث يتمكن من المواءمة بينه وبين الجماعة التى يعيش فيها ، وهذا هو دور الاخصائى الإجتماعى المتخصص فى فن خدمة الفرد . وتتطلب دراسة الحالات الفردية تحليلا دقيقا لسيكاوجية أعماق الطبيعة الإنسانية من ناحية وإلماما بالقواعد الإجتماعية والقوانين الإقتصادية التى تتفاعل فتبدو فى شكل الظواهر الإجتماعية المختلفة التى يجب أن تلاحظ على أنها « أشياء » مستقلة عن الحياة النفسية والحيوية والتى لا توجد إذا كان الإنسان بمفرده وإنما تنشأ عن إجتماع الأفراد بعضهم ببعض .

ويمكن أن نلخص مهمة الإخصائى الاجتماعى فى العمل على تدعيم النظم الاجتماعية مثل الأسرة والمدرسة وكذلك العمل على تحسين برامج توزيع الدخل والعلاقات الإنسانية كتلك التى توجد بين الطبقات المختلفة إقتصاديا واجتماعيا . كما يضطلع الإخصائى الاجتماعى بتقديم خدمات مختلفة مثل التأمين الاجتماعى والمساعدات الاجتماعية أو أية رعاية تقدمها الجمعيات والمؤسسات ، كما يساعد الإخصائى مجتمعات معينة وجماعات وأفراد لم تحقق رفاهيتهم عن طريق الخدمات العامة .

تنمية المجتمع :

ميدان إصلاح المجتمع من أقدم ميادين النهضات فى التاريخ ، ففى كل عصر من عصوره ظهرت بعض الاتجاهات المشبعة بروح البر والإحسان تنهض ببرامج الرعاية الاجتماعية تحددها البواعث الدينية أو الوطنية أو الإنسانية لمساعدة المحتاجين من بنى جنسهم ولخدمتهم طواعية دون أن يتقاضوا على ذلك أجراً . فالصور المختلفة للمساعدات والعطايا تؤلف مرحلة من مراحل الإصلاح الاجتماعى سداها المن على الناس بما قدم لهم من خدمات ولحمتها المفاخرة والزهو بمستوى المعيشة فى عهودهم ، ثم جاءت الأديان السماوية بعدد من التعاليم موضحة ما ينبغى أن يكون عليه الإصلاح الإجتماعى ومساعدة الانسان لأخيه الإنسان . وظلت الحال كذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر حيث اتسع نطاق العمل الإجتماعى ولم يعد قاصرا على الخدمات الخاصة بالمرضى والفقراء واليتامى . وفى أوائل القرن العشرين ظهرت

المبادىء الأساسية للخدمة الإجتماعية بمفاهيمها الحديثة ، واتسمت هذه الخدمات بطابع محكم من الإدارة والتنظيم والتعـــاون المتبادل بين الهيئات التى تقوم بها والأفراد المستفيدين منها . وقد أصبحت الخدمة الإجتماعية فى المجتمع العربى اليوم ميدانا يضم بمجموعة من الخدمات ينهض بها أخصائيون اجتماعيون مدربون هدفهم خدمة الفرد والجماعات على أسس من العلوم الإجتماعية تمكينا لكل من الفرد والجماعة أن يحقق لنفسه مكانة تليق بكرامة الإنسان فى المجتمع متكيفا مع البيئة التى يعيش فيها مستطيعا تذليل ما يواجهه من مشكلات جسمية أو نفسية أو إقتصادية . وقد استطاع المعنيون بهذه الخدمات أن يبتكروا لها من الأساليب ويضعوا لها من المقاييس التقدمية مارفع مستوى برامج الخدمة الاجتماعية ومستوى القائمين بتنفيذها .

ولكن الخدمة الاجتماعية رغم ما أصابته من تقدم فى المجتمعات الغربية الرأسمالية فإنها لم تزل بعد مهنة حديثة العهد ، ولذلك فليس بدعا أننا نجد أن فلسفة الخدمة الاجتماعية لم تتبلور كحقيقة ثابتة قائمة بذاتها ولم تتخذ بعد صفة الاستقرار والثبات ، فهى بطبيعتها مهنة أساسها التعامل مع الأفراد والجماعات والمجتمعات التى من طبيعتها التعقد والتطور والتغير المستمر . ولذلك فليس غريبا أن تبرز مناهج معاصرة للاصلاح الاجتماعى هى نتيجة لسلسلة من جهود المصلحين وتجاربهم الهادفة فى الأنماط المتعددة من المجتمعات عبر التاريخ من ناحية ، ونتيجة لظروف إجتماعية وثقافية ونظريات إقتصادية واتجاهات معينة حيال الجماعات الأخرى كالأقليات الدينية مثلا والتفرقة العنصرية وألوان التعصب والنظرة إلى الأجناس الأخرى من ناحية أخرى . بل إن العوامل الاقتصادية فى المجتمع — والتى لابد لها أن تتدخل — هى التى تشكل نوع الرعاية الاجتماعية وأساليبها ، فكون الرفاهية الاجتماعية تمارس داخل مجتمع إشتراكى أو رأسمالى يفرض على الميدان الاجتماعى بأكمله إتجاهات معينة كمسائل حقوق العمل والعمال والاضراب والتخلف الاقتصادى والجماعات المتخلفة ، وسيدعو ذلك إلى توجيه إهتمام خاص للإجابة عن هذا السؤال : ماهى الجهة المسئولة عن تحقيق الرفاهية الاجتماعية ؟ أهى الدولة أم الهيئات الأهلية ؟ ثم ما المقصود بالرفاهية وما هو محتواها ؟ ولكن من المهم أن تحقق البرامج الموضوعة مقابلة الحاجات الأساسية كمستويات الأجور

وفرص العمل ورفاهية البناء الاقتصادى سواء كان ريفيا أو حضريا ، كل هذه الأمور كانت محل الاعتبار عندما أريد تحديد الخطوط الرئيسية التى تقرر على أساسها وسيلة مقابلة حاجات الناس فى المجتمع . وإذا ماوضعت كل هذه العوامل مجتمعة إتضح صعوبة الوصول إلى فلسفة عامة للرفاهية الاجتماعية . وتوضح لنا العبارة التالية المعنى الذى نحاول إبرازه .

« تتبع إنجلترا فلسفة مغايرة تماما للفلسفة السائدة فى أمريكا . ولهذا تطورت فلسفتها بأسلوب خاص لم تشاركها فيه الولايات المتحدة الأمريكية ففلسفة إنجلترا السائدة قد دفعها كل من سيدنى وبياتريس وب بطابع لا يمحى . وتتأثر فلسفة فرنسا بالتقاليد الرومانية الكاثوليكية وتقرر الشيوعية فى روسيا طريقة معاملة أعضاء المجتمع المتخلفين ماديا على أساس علمى صرف ، فلا يدهشنا إذن عدم وجود أسس علمية عامة أو حتى فلسفة عامة لخدمة المجتمع . وقد أشار فيليب كلين Philips Klein الذى كتب مقالا عن الخدمة الاجتماعية فى دائرة معارف العلوم الاجتماعية إلى الصعوبة فى تكوين فلسفة عامة شاملة لخدمة المجتمع فقال: من الصعب صياغة الأهداف الفلسفية لخدمة المجتمع كما تبلورت هذه الخدمة فى نظرياتها وبرامجها منذ أواسط القرن الماضى إذ كثيرا ما أغفل حتى مجرد وجود فلسفة للخدمة الاجتماعية ، ومن غير الميسور بلا شك تكوينها فى صورة برنامج عام مقبول لكل ميادين الخدمة الاجتماعية[1] » .

« من الصعب تفسير برامج الخدمة الاجتماعية فى بلد ما لبلد آخر ولكن توجد بلاشك العناصر المشتركة — وعلى الأكثر — عناصر المضمون السيكلوجى وفنون المهنة ، ولكن نظرا لإختلاف العوامل الاقتصادية ومفهوم وتكوين الحكومة والتنظيم الاجتماعى والأنماط الثقافية الثابتة الجذور تحددت مجالات التفاهم المشترك وظلت الإختلافات الفعلية فى الجهود الاجتماعية والتنظيم غامضة نوعا ما[2] » .

---

(١) فؤاد عبد الله نويره ، الاسلام والخدمة الاجتماعية بالانجليزية ، ترجمها الى العربية على عبد العظيم علام ، وزارة الشئون الاجتماعية والعمل التنفيذية ، ١٩٦٠ ، ص ١٦٧ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

والأمر الأهم من هذا كله ، أن الأحداث التى مرت بالعالم فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أعجزت المؤسسات الأهلية عن تنفيذ خططها وحالت دون مضيها فى الوفاء بحاجات الأفراد والجماعات . ومع تقدم العلوم الاجتماعية وتنافسها مع العلوم الطبيعية لخير البشرية ، علت صيحات المصلحين فى مختلف الشعوب تنادى بضرورة تدخل الحكومات بمواردها المالية وإمكانياتها الفنية . ويعتبر إعتراف الحكومات بأن واجبها فى القيام بالخدمات الاجتماعية لايقل عن واجبها فى حفظ الأمن بداية العصر الحالى فى تاريخ الخدمة الاجتماعية وما زالت الحكومات تبذل جهودا جبارة فى صراعها ضد العوامل التى تؤدى إلى العوز والجهل والمرض .

وقد سبقت بعض المجتمعات غيرها فى هذا المضمار ووصف من لم يتهيأ لها أسباب النجاح فى القضاء على الأمراض الاجتماعية منها بالمجتمعات المتخلفة[1] .

وقد أسفرت الدراسات عن أسس جديدة لتكون منهجا جديدا قوامه : إثارة وعى أفراد المجتمعات نحو الأخذ بكل مايفيدهم من إستغلال لخامات البيئة ومواردها والعناية بالقوى البشرية عن طريق رفع المستوى الصحى ، وتدريب القادة لتوجيه المجتمع إلى الأفضل من الطرق والوسائل التى تؤدى إلى الرفاهية الاجتماعية ، وتزويد الناس بالقدر الأساسى من المعلومات وألوان المعرفة مما يجعلهم أكثر إستعدادا لإستيعاب الجديد منها وتقبل وسائل المدنية الحديثة ، كما يتم هذا المنهج بضرورة دراسة حاجات المجتمع والبدء فى المشروعات التى تكفل سد الحاجات الملموسة للناس ، وضرورة مساهمة الأهالى فى مراحل مشروعات الاصلاح . ولعل أهم ما يميز هذا المنهج هو الاهتمام الكلى بالجانب التربوى[2] . نقول أسفرت هذه الدراسات عن منهج جديد من مناهج الإصلاح يعرف بتنمية المجتمع .

---

(١) رفعت هباب وصلاح الدين فائق ، تنمية المجتمع : برامجها ومشروعاتها ومؤسساتها فى البلاد العربية ، مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ، سرس الليان ، ١٩٦٢ ، ص ٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧ .

إن منهج تنمية المجتمع للرفاهية الاجتماعية « هو عملية تهيئة عوامل التقدم الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع عن طريق مساهمة أفراده وجماعاته واستغلال طاقاته وإمكانياته[١] » . ويقوم منهج تنمية المجتمع على عاملين هما : إتاحة الفرصة لتحقيق الاتجاه التعاونى عند الجماعات الحديثة لرفع مستوى المعيشة والإفادة من الإمكانيات الفنية المتوفرة لدى المجتمعات الأخرى والهيئات المتخصصة . وقد يتساءل الفرد عن مجال أو نطاق أسلوب تنمية المجتمع : إنه يتضمن الأساليب الفنية التى ينبغى إتباعها فى الزراعة والرى والإسكان بدلا من الجمود والركود واتباع الأساليب القديمة فى هذه الميادين ، وقد استطاعت التكنولوجيا الحديثة أن تبرز من الأساليب مايحقق الرفاهية الاجتماعية بأقل مجهود ووقت ، ومنهج التنمية الاجتماعية كعملية تسير من مرحلة إلى أخرى يشتمل على عدد من التغييرات نحو هذه الأهداف . وغاية مافى الأمر أن يشعر الأفراد بحاجتهم إلى التغيير فيسعون نحو اكتشاف قدراتهم ويحاولون العمل على تحقيق أهدافهم . ويشتمل منهج التنمية الاجتماعية كذلك على الخدمات الفنية التى تقدمها الدولة أو التى يتعاون على تنفيذها أفراد الجماعة . كما تتضمن التنمية ترتيب الحاجات وفقا لأولويتها والأصل فى التنمية — كما سبق أن ذكرنا — أن يشعر الأفراد بحاجاتهم إلى النمو والرقى والتقدم ، ودون هذا الشعور لايطلق على العملية تنمية اجتماعية . ولقد اتفق علماء الخدمة الاجتماعية على مبدأ عام تقوم عليه الخدمة ، ذلك هو الشعور بالحاجة ، فشعور الجانح بأنه فى حاجة إلى الإصلاح والتقويم هو سبيل إصلاحه وتقويمه ، وشعور المريض النفسى بالحاجة إلى العلاج هو سبيل الشفاء . وكذلك الأمر بالنسبة للمجتمع المحلى ، فدون شعور أفراده بالحاجة إلى التغيير ، تكون مساهمتهم فى الجهود لتحسين أحوالهم عبثا . وكل مافى الأمر أن تحاول الحكومة أن توفر بعض العون ليكون ذلك بمثابة مبادأة يبنون عليها . ولكى تتم تنمية المجتمع لابد من الاهتمام بناحيتين : التنمية الاقتصادية وتنسيق المجتمع . أما التنمية

---

(١) رفعت هباب وصلاح الدين فائق ، تنمية المجتمع ، برامجها ومشروعاتها ومؤسساتها فى البلاد العربية ، مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ، سرس الليان ، ١٩٦٢ ، ص ١١ .

الاقتصادية فتنبنى على عدد من الأساليب الفعالة هى : « الاستغلال المنظم للموارد عن طريق التخطيط الاقتصادى ورفع الكفاية الإنتاجية عن طريق التوجيه والإعداد وتهيئة الفرص لسكان الريف لتقبل التغيير الاجتماعى عن طريق إعادة بنائه الاجتماعى . أما تنسيق المجتمع فيقوم على الانعاش الاجتماعى أى استغلال عوامل القوة فى المجتمع لتعويض عوامل الضعف والذى ينادى باستغلال خامات البيئة والطاقات البشرية إلى أقصى حد ، كما يقوم على أسلوب تعليم الكبار حيث يتاح للأفراد الفرصة أن يتزودوا بالمعلومات المفيدة فى الميادين المختلفة وتنمية إدراك الأهالى لأهمية التعاون فى العمل الجمعى وتعبئة القوى وتنسيق الجهود وتكاملها واختيار القيادة الرشيدة وتحمل المسئولية والإيمان بدور الفرد فى المجتمع والتفكير العميق وتقبل النقد المثمر والارتفاع إلى مستوى التطوع فى الخدمة العامة [1] .

ويشرح الدكتور حامد عمار الضرورة الملحة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فيقول « إن من أكبر أنواع التحدى التى تواجه المجتمع العربى فى مختلف أقطاره محاربة التخلف فى مختلف صوره الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وقد احتلت قضايا التخلف ومظاهره وأسبابه مكان الصدارة من تفكيرنا وجهودنا من الحرب العالمية الثانية ، وأخذ هذا التفكير ينتقل من الجانب العاطفى الرومانسى إلى الجانب الموضوعى الانتاجى كما أخذ ينتقل من الصورة الفردية إلى الصورة الجماعية ، ومن الانطلاقية العضوية إلى الخطة المرسومة ، ومن الوثبات الموقوتة المبعثرة إلى الدفع المستمر والجهد المنظم ، كذلك لم يعد أمر هذا التخلف موضوعا قاصرا على فئة محدودة من الناس أو على الحكومة وحدها ، وإنما أصبح أمر مواجهة هذا التخلف سواء فى جوانب الفكر أو العمل مسئولية عامة ، يشارك فيها المجتمع بأسره ، حكومة وشعبا .

ومن هنا غدت المشاركة العامة فى المسئولية الاجتماعية محورا رئيسيا فى حركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية . وينظر عادة إلى أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية

---

(١) رفعت هباب وصلاح الدين فائق ، المرجع السابق ، ص ١٥ .

تتألف من عنصرين رئيسيين : العنصر المادى والعنصر البشرى ، ويمتزج هذان العنصران امتزاجا كيمائيا فى سير حياة المجتمع فى أى اتجاه ، ولذلك يتحدث الاقتصاديون بلغتهم عن رأس المال البشرى كما يتحدثون عن رأس المال المادى . ولا يمكن أن تحدث تنمية فى أى نشاط اجتماعى إلا إذا قدرنا قيمة هذين العنصرين معا فى ارتباطهما وتكاملهما .

كذلك يمكن النظر إلى التنمية على أساس أنها تتألف من جانب فنى وجانب اجتماعى ، وهما أيضا جانبان متلازمان متكاملان . فزيادة الانتاج الزراعى تتطلب معرفة متخصصة فنية فى العلوم الزراعية والآلات الزراعية ، كما تتطلب معرفة الإطار الاجتماعى الذى تستخدم فيه هذه المعلومات والآلات ، ومايقوم فيه من نظم وقيم ومعان فى الحياة »(١) أن البرنامج الناجح عبارة عن مركب من المعرفة الفنية والمعرفة العملية . وهو عبارة أيضا عن إنشاء وتسيير لطرق الاتصال بين المعرفة الشعبية من ناحية وبين المعرفة العلمية والسلطة الإدارية من ناحية أخرى . أما المقصود بالإطار الاجتماعى الذى نستخدم فيه هذه المعلومات والآلات فإنه يختلف من مجتمع لآخر إذ أن المجتمعات تختلف فى قيمتها العامة فلكل مجتمع أساليبه ومعتقداته المعينة التى يراها أعضاء ذلك المجتمع أهم ما فى الحياة وأعظمها قيمة ، وقد نمت على مر السنين نظم دقيقة غايتها المحافظة على هذه القيم وتثبيتها ، كما أن كل شعب قد كون على مدى القرون طريقة فى الحياة : مجموعة من العلاقات الاجتماعية تقبل على أنها سوية وتعتبر الطريقة الصحيحة السليمة لعمل أى شىء . ويمكننا أن نحسن فهم ذلك التنظيم الاجتماعى إذا نظرنا فى بعض الأجزاء الداخلة فى تكوينه ، بشرط أن ندرك أن كلا من هذه الأجزاء متصل بالأجزاء الأخرى . وتشمل التنظيمات الاجتماعية التى كونت خلال فترة طويلة من الزمن للوفاء بالحاجات الأساسية للحياة : الأسر ، ونظم المحافظة على الحياة والحكومة ونظام التربية والدين (٢) .

---

(١) مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ، التدريب على تنمية المجتمع قواعده وبرامجه ومؤسساته ، سرس الليان ١٩٦٢ ، ص ٩ — ١٤ (تقديم الدكتور حامد عمار) .

(٢) المركز الدولى للتربية الاساسية فى العالم العربى ، الخبرة بالعوامل البشرية فى مناطق العالم الزراعية ، ١٩٥٤ ، ص ٦ — ١٦ .

« وأيا ما كان تصورنا لأهداف تنمية المجتمع ونتائجها ووسائلها فإنه لا بد لنا أن تأخذ بعين الاعتبار العنصرين المادى والبشرى ، والجانبين الفنى والاجتماعى فى كل مستوى من مستويات التفكير أو العمل فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ونلحظ آثار هذا التصور المتكامل للجانبين المادى والاجتماعى فى كل نواحى التفكير والعمل المرتبطة بميادين تنمية المجتمع وذلك فى :

١ — أنماط الفكر والدراسات الخاصة بتنمية المجتمع ، إذ أنها تسعى إلى إيجاد أنواع العلاقات والتفاعل والترابط بين الجوانب المادية والفنية من ناحية وبين الجوانب الاجتماعية .

٢ — وضع برامج تنمية المجتمع وصلتها بالحاجات والقيم الاجتماعية .

٣ — التنظيم والإدارة وتكوين الأجهزة وإقامة المؤسسات .

٤ — اختيار فئات الفنيين والعاملين فى المؤسسات والمشروعات والأجهزة المسئولة عن تنمية المجتمع .

٥ — تدريب المسئولين لمختلف المسئوليات وعلى مختلف المسئوليات للعمل فى برامج تنمية المجتمع ومؤسساتها ومشروعاتها .

أما مجالات العمل فى تنمية المجتمع فهى :

(ا) مجالات تكنيكية فنية وتشمل الزراعة والصناعة والصناعات الزراعية والريفية والتعليم والصحة والتغذية والمرافق العامة والإسكان والترويح والقانون والآداب والفنون .

(ب) مجالات جغرافية ويمكن تفريع هذا المجال إلى أقسام مثل الحى ، الناحية ، القرية ، المدينة . البادية ، الإقليم ، المنطقة ، الدولة .

(ح) مجالات زمنية وفى هذه المجالات ننظر إلى الفكر والعمل والقيم من زوايا : الماضى والحاضر والمستقبل ، كما ننظر إليها من زوايا مثل الأولويات

وأساليب التكنيك والاستراتيجية والأهداف القريبة والبعيدة والمسائل العاجلة والمسائل الآجلة ، كما يمكن أن ننظر إلى الموضوع من ناحية امتداده أو انحساره مع الزمن فنقول قيم صاعدة وقيم هابطـــة ونقول اتجاهات تقدمية واتجاهات متخلفة .

(ى) مجالات بشرية وتشمل تحديد فئات الناس الذين تشملهم دائرة العمل سواء كان هذا التحديد قائماً على أساس السن أو الجنس ، أو المكانة الاجتماعية أو الثقافة أو المهنة أو القدرة الاقتصادية أو النفوذ والسلطان . ويدخل فى هذا تقسيم المجالات البشرية إلى : الأطفال ، الشباب ، الكبار ، الرجال ، النساء ، الفلاحين ، العمال ، القادة ، أصحاب الدخول الكبيرة ، محدودى الدخل ، القادة والأعيان ، المثقفين ، الأميين .

(هـ) المجالات الوظيفية وترتبط هذه المجالات بالأدوار أو الوظائف اللازمة لنشاط المجتمع وتحدث عن طريق عمليات مترابطة مثل عمليات : التخطيط التنفيذ ، المتابعة ، التقويم ، الاشراف والتوجيه ، التنسيق ، البحث والابتكار ، التدريب ، اتخاذ القرارات ، التبسيط والتوضيح ، التعبئة .

(و) مجالات التبعية ويقصد بهذه المجالات نوع السلطة التى تقع عليها مسئولية نشاط أو عمل أو تنظيم معين . وفى هذا العدد نقول : حكومى ، أهلى ، حكومى ـ أهلى ، دولى »[١] .

ومن مشروعات تنمية المجتمع مشروع مديرية التحرير ومشروع أبيس بالجمهورية العربية المتحدة . ومشروع الجزيرة بجمهورية السودان . ومن المفيد هنا أن نتكلم عن أحدى هذه المشروعات حتى تتضح لنا معالم تنمية المجتمع وأسسه وأهدافه فمشروع أبيس « يقوم على أساس من العون المتبادل بين دولتين

---

(١) مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ، التدريب على تنمية المجتمع (المرجع السابق ذكره . كتب المقدمة الدكتور حامد عمار) ص ١٠ ــ ١٥

فى صورة الهيئة المصرية الأمريكية لإصلاح الريف . هذا من ناحية التعاون الدولى أما من ناحية الهدف فهو صنو لمشروع مديرية التحرير من حيث الهدف ألا وهو مواجهة تزايد عدد السكان الذى لا يتناسب مع الزيادة فى مساحة الرقعة المزروعة، ويماثله أيضاً فى أنه يقوم على استصلاح الأراضى على أسس فنية تختلف تبعا لطبيعة التربة المستصلحة . هنا وفرة فى المياه مع زيادة فى نسبة الأملاح فى التربة، ومن ثم تقوم عمليات « غسل » الأرض عدداً من المرات . ويترتب على ذلك طول فى أمد الاصلاح وتحكم فى اختيار المحاصيل وانتظار من المنتفعين ليبلغ الإنتاج مداه . وإذا انتقلنا بالمشروع إلى ناحية المنتفعين وجدناهم من القرى المجاورة ، الذين طالما تطلعوا إليها فى انتظار اليوم الذى يجف فيه مياه البحيرة وامتداد الحقول إليها . وللهيئة طريقة خاصة فى اختيار الأسس الجديدة وإعدادهم لتقبل الحياة فى المنازل والمرافق التى شيدت لهذا الغرض »[١] .

« ولقد فرضت ندرة الماء على الرقعة المنزرعة فى حدود الجمهورية العربية المتحدة أن تبقى مقصورة عن حاجات السكان . وندرة الماء مشكلة كلية تتفرع عنها مشكلات تعتبر من النتائج الحتمية . وقد ترتب على ندرة الماء وتخلف الصرف وضعف التربة صغر حجم الأرض الصالحة للزراعة الأمر الذى أدى بدوره إلى تفتت الملكية وهو نتيجة حتمية ومنطقية لضيق المساحة وكثرة العاملين بالزراعة . والواقع أن من العوامل التى تعترض أوفر المحصولات وأمثل استخدام للتربة هذا القصور فى كمية المياه . ومن المعروف أن الأمطار فى مصر لا تكفى للحصول على محاصيل عادية . والحصول على محاصيل وفيرة يحتاج إلى هواء أودفء وضوء وعناصر غذائية فضلا عن مياه تزود بها البذور . والعوامل الثلاثة الأولى متوافرة فى مصر كما أن العناصر الغذائية يمكن توفيرها صناعيا عن طريق الأسمدة إلى حد كبير . أما المياه فلا توجد بالكمية التى تسمح بزراعة مساحة كبيرة من الأرض »[٢] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(١) محمد خيرى محمد على ، توطين الصناعة والرفاهية الاقتصادية والاجتماعية ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٥ ، ص ٥ — ٦ .

وبدأت مصر فى عهدها الحاضر فى تعبئة قواها وتعزيز إنتاجها القوى وتنفيذ عدة مشروعات لاستصلاح الأراضى البور لزيادة مساحة الأراضى المزروعة . وفى مقدمة هذه المشروعات الجليلة مديرية التحرير كما تقوم الهيئة لإستصلاح الأراضى البور التابعة للمجلس الدائم لتنمية لإنتاج القوى بتنفيذ ابعض المشروعات فى مختلف أنحاء القطر . وهناك أيضا الجمعيات التعاونية لإصلاح الأراضى مثل الجمعية التى أنشئت فى محافظة الشرقية لإصلاح أراضى منطقه صان الحجر . ومن ذلك أيضا إنشاء الهيئة المصرية الأمريكيـــة لإصلاح الريف بناء على اتفاقية ابرمت بين الحكومتين المصرية والأمريكية فى شهر مارس عام ١٩٥٣ ، وذلك لتنفيذ برنامج نموذجى لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ورفع مستوى الحياة الريفية فى مناطق محافظتى البحيرة والفيوم . ويتضمن هذا البرنامج اصلاح حوالى أربعين ألف فدان من الأراضى فى منطقة أبيس بمحافظة البحيرة ومنطقتى قوته وكوم أوشيم بمحافظة الفيوم ويتبع هذا الإصلاح زراعة الأراضى فى هذه المناطق وتعميرها بإنشاء قرى متعددة بها كذلك نص المشروع على اسكان حوالى ثمانية آلاف أسرة من المزارعين المعدمين بهذه المناطق بعد استصلاح أراضيها .

هذا هو الشطر الاول من المشروع ، وهو يحتاج إلى جهد شاق وسواعد قوية وماء وفير وآلات كثيرة لتحويل هذه الأرض البور أو الملحة أو الرملية للزراعة ، تسق فيها الترع والمصارف ، أما الشطر الثانى من المشروع فيشمل الخدمات العامة والتدريب والإرشاد والرعاية التى يقوم بها المختصون نحو الأسر التى تنتقل إلى هذه المناطق بعد إصلاحها وتهيئتها لإقامتهم ، وذلك بتوفير التدريب المهنى لشباب الريف الجديد على أسس الزراعة العلمية وأساليب الرى الحديثه وتوفير وسائل الإرشاد الزراعى والعمل على تحسين صناعة المنتجات الزراعية وتسويقها فى تنمية الصناعات الصغيرة والحرف اليدوية ، والنهوض بالمجتمع الريفى عن طريق تدريبه على إدارة شئونه بنفسه ، ورفع مستواه الصحى عن طريق توفير البيئة الصحية والخدمات الطبية والتثقيف الصحى .

من هذا كله يتضح أن المشروع لايقصد به التوسع الزراعى باصلاح الأراضى

واستعمال العلم الحديثة فى الرى والصرف فحسب ، بل هو مشروع حيوى يستهدف التعمير .

فحيث يقوم الاصلاح ينهض إلى جانبه التقدم العمرانى الكفيل بايجاد بيئة جديدة ناهضة من المزارعين الذين تتوافر لهم أسباب النهضة الاجتماعية والصحية والزراعية والاقتصادية والثقافية [١] .

التشريع الاجتماعى :

« للدولة وللأجهزة القومية دورها الفعال فى إحداث التنمية والتطوير ، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا الدور الذى أصبح من الوظائف الرئيسية للدولة فى المجتمع الحديث . ولا شك أن الاتجاه نحو التخطيط القومى الشامل من الاتجاهات التى تدل بوضوح على مسئولية الدولة فى هذا المجال . وتظهر مسئولية الدولة فى أنواع التشريعات والقوانين والمشروعات التى توجه بها عمليات التغير ، وتحول دون تعريض عملية التطوير لعنق زجاجة يعوق الحركة ، وتوفر الظروف الموضوعية للجهد المثمر ، وتتيح للانسان مجال العمل المنتج والنشاط الخلاق . لكن التخطيط القومى وبرامج الدولة لا تصبح حقيقة حية وواقعاً متحركا ، إلا إذا دفعها الناس فى مجتمعاتهم المحلية، وإلا إذا استجابوا لها بالعقل والوجدان والعمل. كذلك فإنه فى نفس الوقت لاتعدو هذه البرامج والخطط القومية متطورة ومثمرة إلا إذا استوحت فى إعدادها وتنظيمها حاجات السكان فى هذه البيئات . ومن هنا جاءت ضرورة الالتقاء الخصب بين مسئوليات الدولة فى أجهزتها ونظمها وخططها وبين القواعد الشعبية فى المجتمعات المحلية ، يغذى كل منهما الآخر ويتغذى منه . ثم إن لكل من هذه المجتمعات المحلية احتياجات خاصة قد لا تستطيع الخطط العامة أن توجهها فى نظام أولويتها ومطالبها المتشعبة وهنا يأتى قسط من الجهد المحلى البحت لا بد أن تتصدى له الجماعة المحلية نفسها بمالديها من إمكانيات وطاقات .

---

(١) احمد خليفة ، « مشروع أبيس بالجمهورية العربية المتحدة » فى تنمية المجتمع ، المرجع السابق ذكره ، ص ٥٥ — ٥٦ .

وهناك خصيصتان هامتان فى أساليب العمل المحلى ، هما الوعى القائم على الاقتناع . والتنظيم للعمل والجهود . وهاتان الركيزتان من القواعد التى لا يمكن تجاهلها مهما كانت مقتضيات الحماسة المتعجلة أو الحاح الوقت أو مسافة التخلف. إن التغيير القائم على الاقتناع والتنظيم هو فى نهاية الأمر محقق لا كبر عائد على تعبير رجال الاقتصاد »[1] ولقد آثرنا استخدام اصطلاح العمل المحلى أو تنمية المجتمع المحلى بدلا من العمل الاجتماعى، لأن هذا العمل يتم فى الغالب على مستوى المجتمع المحلى ، أما إذا تم على مستوى المجتمع الكبير فإننا نستخدم اصطلاح العمل الاجتماعى . وعلى ذلك فإننا نقصد بالعمل المحلى أى طاقة من المجهود تبذلها الجماعة أو أى مجهود لتغيير النظم الاقتصادية أو الاجتماعية فهو يختلف عن فن الخدمة الاجتماعية أو الخدمات الاجتماعية التى تعمل فى ميادين لا تتصل بصفة أساسية بعوامل تغيير النظم القائمة أما العمل الاجتماعى فإنه يشتمل على حركات الاصلاح السياسية والصناعية والديموقراطية والتشريع الاجتماعى والعدالة الاجتماعية والعنصرية والحرية الدينية والحرية المدنية أما الأساليب الفنية للعمل الاجتماعى فهى الدعاية والبحث بينما تتمثل عناصر تنمية المجتمع - وهى منهج للتطوير — فيما يلى :

١ — تحديد للبرامج اللازمة لتحسين ظروف المعيشة فى المجتمع .

٢ — تنظيم الأجهزة والمؤسسات التى توجه هذه البرامج وتشرف على تنفيذها ، ثم تنسيق وتكامل بين البرامج والأجهزة بما يحقق كفاية فى نتائج البرامج واقتصاداً فى المال والجهد من ناحية الأجهزة .

٣ — تمكين القطاعات والجماعات المختلفة فى المجتمع المحلى من المشاركة العامة عن طريق قياداتها المحلية وبأى طريقة أخرى فى تحديد البرامج المحلية وتنفيذها .

٤ — الاهتمام بالوسائل والطرق التعليمية اللازمة لتحقيق البرامج الاجتماعية

---

(١) محمد سعيد قدرى فى مقدمته لكتاب رفعت هباب ، المجتمع المحلى ، قواعد وخبرات فى أساليب تنميته ، مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ، سرس الليان ، ١٩٦٣ ، ص ج ، د .

حتى تصل البرامج إلى نتائجها المنشودة وحتى تنمو اتجاهات الناس وأفكارهم فى عادات سلوكية وفكرية سليمة[١] .

ويشير الأستاذ الدكتور حامد عمار إلى نقطة رئيسية ينبغى الالتفات إليها واعتبارها ركيزة أساسية للتنمية الاجتماعية أو العمل المحلى ؛ تلك هى اقتران الجانب الاجتماعى بالجانب الاقتصادى عن طريق البرامج المتكاملة لإحداث التنمية . « لا شك أن دور التنمية الاقتصادية قد بدأ يحتل مكانه فى منظور منهج تنمية المجتمع . وإذا لم يكن المركز تنمية المجتمع فى العالم العربى — سرس الليان قد أغفل هذا الجانب الاقتصادى فى مفهومه لعمله فى تطوير الريف ، إلا أنه قد أخذ يعنى به العناية التى تجعله ركيزة من ركائز هذا التطوير . لقد كان الاهتمام حتى سنوات قليلة ماضية مركزاً على الجانب المرتبط بالخدمات ، إلى حد غير قليل ، فى جوانب الصحة وتعليم الكبار ومكافحة الأمية والإثارة الفكرية عن طريق الوسائل السمعية والبصرية ، إلى جانب الوسائل الاقتصادية المتصلة بالارشاد الزراعى والتعاون والصناعات الريفية . بيد أن المركز فى تدريباته المختلفة ، نظرية وعملية ، قد أخذ يعنى بمزيد من المفاهيم والاهتمامات الاقتصادية بالنسبة لمبعوثيه ، وبالنسبة لتصوره لعمليات التنمية فى الريف وقد انعكس هذا فى البرنامج فعلا فى الاهتمام بدراسة الاقتصاد الريفى ، وبدراسة مقومات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ودراسة المعالم الرئيسية فى التخطيط القومى . وبذلك يمكن إدراك العلاقة والتكامل بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، والعلاقة بين القوى والعوامل فى تنمية المجتمع المحلى والقوى والعوامل فى التنمية على النطاق القومى »[٢] ولقد جاء فى المذكرة الإيضاحية لقانون إنشاء المجلس الدائم للخدمات العامة ما يأتى : إن الترابط قوى بين التنمية الاقتصادية والخدمات الاجتماعية ، وعدم التنسيق بينهما ضار بكليهما معا كما ثبت فعلا ولا جدال فى أن البناء الاقتصادى هو الذى يشكل الحياة الاجتماعية[٣] .

---

(١) حامد عمار ، خبرات فى التدريب على تنمية المجتمع الريفى ، مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ، سرس الليان ، ١٩٦٤ ، ص ٩ .

(٢) حامد عمار ، المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٣) محمد خيرى ، توطين الصناعة والرفاهية الاقتصادية والاجتماعية دار النهضة العربية ، ١٩٦٥ ، ص ٢٥٤ وما بعدها .

ويوجز الدكتور حامد عمار المهارات والأساليب المتصلة بتنمية المجتمع المحلى فى الأمور التالية :

١ — الفهم والدراسة العلمية والموضوعية لمشكلات الريف وجماعاته من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والنفسية باستخدام طرق البحث العالمية وأساليبه والاستعانة بمناهج المعرفة العلمية فى هذه الدراسة .

٢ — تحديد الحاجات والمشكلات وصياغتها فى برامج محلية وربطها بالبرامج القومية ، وإعداد الأساليب والأدوات اللازمة لتنفيذها ، ثم العمل على تقويمها استكمالا لدوائر التخطيط المحلى .

٣ — القدرة على إدارة المؤسسات والمشروعات المحلية وما يتصل بعمليات الإدارة والاشراف من مسائل مالية وتنظيمية .

٤ — قيادة الجماعات المحلية قيادة رشيدة ، وتعبئة قواها وتنظيم جهودها والتغلب على عصبياتها فى سبيل العمل المشترك ، وتدريب القيادات المحلية عن طريق القدرة خلال المواقف العملية لتحمل مسئولياتها فى تطوير القرية .

٥ — القدرة على الاتصال بالناس وتوجيههم وتعليمهم ونقل الأفكار والمستحدثات الاجتماعية والفنية نقلا محكما بمختلف الوسائل التعليمية[١] .

والخلاصة أنه لا ينبغى ونحن ازاء تنمية المجتمع المحلى أن نغفل . أن المبدأ الاول لتحقيق رفع مستوى المعيشة فى مجتمع متخلف أو نام هو أن جميع عوامل التقدم متداخلة ومتساندة ومتصلة بعضها ببعض فى نسيج واحد ولهذا يجب الاهتمام بها جميعاً فى وقت واحد ، فلا نستطيع أن نبدأ بتعليم الرجال وتربيتهم ونغفل النساء بحيث نتركهم للصدفة أو الظروف ، ولا نستطيع أن نركز عنايتنا على الزراعة وتحسين وسائلها ثم نرجىء الصحة العامة للعاملين فيها حتى يتم ما نستهدفه منها . ينبغى أن تكون كل جوانب المشكلة موضع الاهتمام» [٢]

---

(١) حامد عمار ، المرجع السابق ذكره ، ص ١٣ — ١٤ .

(٢) Badeau, J. S., The Meaning of Community Development, Community Development.

ولعل أبرز أمثلة توضح العمل المحلى[1] هى .

١ — مشروعات العمل التى تستهدف الرفاهية عن طريق برامج العمالة ، فى اليونان .

٢ — التنمية الاجتماعية المرتبطة بمشروعات الرى الكبرى والإصلاح الزراعى ومشروعات التوطين ، فى الكونجو .

٣ — المراكز الاجتماعية الريفية (والوحدات المجمعة) ، فى الجمهورية العربية المتحدة .

٤ — الجمعيات الريفية ومجالس التخطيط ، فى سيلان وجاميكا .

٥ — التربية للعمل المحلى ، فى بورتريكو وبرما .

٦ — التنمية الاجتماعية عن طريق الخدمات الملحقة ، فى باكستان والهند ،

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى ما يحدث أحيانا من خلط بين المصطلحات الآتية : وتنمية المجتمع Community Development وتنظيم المجتمع المحلى Community Organization والعمل المحلى Community Action وقد أشار مكتب الشئون الاجتماعية التابع لهيئة الأمم المتحدة فى تقريره عن « التقدم الاجتماعى عن طريق التنمية الاجتماعية »[2] إلى ذلك فذكر أن مصطلح تنمية المجتمع يتصل بصفة رئيسية بالمناطق الريفية للدول النامية حيث يتركز الاهتمام فى الأنشطة الخاصة بتحسين ظروف المعيشة الأساسية للمجتمع المحلى ، متضمنا فى ذلك إشباع بعض الحاجات غير المادية ، بينما يستخدم مصطلح تنظيم المجتمع المحلى غالباً فى المناطق التى تكون مستويات المعيشة والخدمات الاجتماعية

Bulletin, September 1956, N. 2; International Cooperation Administration.

(1) U.N. Social Progress Through Community Development, 455.

(2) U.N. Bureau of Social Affairs, Social Progress Through Community Development, November 1955, p. 6

فيها أعلا نسبيا ولكنها تحتاج مع ذلك إلى درجة أكبر من التكامل والتنسيق .
وكلا المصطلحان « تنمية المجتمع » و « تنظيم المجتمع المحلى » وكذلك المصطلح الذى يربطهما معا « تنظيم المجتمع المحلى وتنميته » Community Organization & Development تشير إلى مفاهيم التقدم الذى يتم عن طريق العمل المحلى . وقد سبق أن تكلمنا عن هذا الأسلوب الأخير فى فقرة خاصة .

التشريع الاجتماعى :

يرى قاموس فيرتشيلد أن العمل الاجتماعى يشمل حركات الإصلاح السياسى والديموقراطية الصناعية والتشريع الاجتماعى والعدالة الاجتماعية والحرية الدينية والحرية المدنية[1] ، ويهدف التشريع الاجتماعى إلى تقرير حقوق الأفراد الاجتماعية من تعليم وصحة وعمل كما يعمل على تحقيق المساواة بين الناس فى تمتعهم بهذه الحقوق وتقريب الفروق الموجودة بين مختلف الطبقات .

وقد تكون هذه التشريعات متصلة بجهود الحكومة كقانون الإصلاح الزراعى وقوانين التعليم والتعاون كما قد تكون هذه التشريعات وقائية تتصل بجماعات وأفراد محتاجين لحماية خاصة كتشريعات العمال والمساعدات العامة وحماية الأطفال من القسوة والإهمال والتأثير السيىء كما قد تكون تشريعات منظمة تضع بعض الشروط التى يعمل بموجبها الأفراد والجماعات كالتشريعات الخاصة بالعلاقات العائلية والزواج والطلاق وأخيراً تكون التشريعات لعقوبة الجريمة[2] ،

---

(١) قاموس فيرتشيلد ، مادة العمل الاجتماعى ، ١٩٤٤ .

(٢) أمثلة لبعض التشريعات .

القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٣ الخاص بالتسول .

القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥ الخاص بالجمعيات الخيرية .

القانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٤٩ الخاص بالأحداث المتشردين .

القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٠ الخاص بالاجراءات القانونية لمحاكمة الأحداث .

القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٥٢ الخاص بسلب الولاية على النفس .

القانون رقم ١٩٣ لسنة ١٩٥٤ الخاص بالاتحاد العام لرعاية الأحداث .

القانون رقم ٤٢٧ لسنة ١٩٥٤ الخاص بتحريم مشاهدة الأحداث دون السادسة عشرة بعض الأفلام السينمائية .

٢ – مقاييس الرفاهية الاجتماعية

سبق أن ذكرنا أن وضع تعريف الرفاهية الاجتماعية أمر يفلت من الدقة العلمية ، ولعل عدم اتفاق المعنيين بالرفاهية الاجتماعية على تعريف موحد ، يرجع إلى الخلط بين الرفاهية وفن الخدمة الاجتماعية . وقد سبق أن ذكرنا أن الرفاهية الاجتماعية هدف ، بينما فن الخدمة الاجتماعية أسلوب لتحقيق الرفاهية . وتختلف مجالات أنشطة الرفاهية الاجتماعية بإختلاف الدول ، ويرجع ذلك إلى إختلاف مستواها الاقتصادى ، فالحاجة الضرورية فى دولة متقدمة ، قد تعتبر من الكماليات فى دولة أقل نموا . أما الحاجات الأساسية التى يرى الباحث أن يتضمنها نطاق الرفاهية الاجتماعية فى الجمهورية العربية فى الوقت الحاضر فهى : الغذاء والكساء والمسكن والتعليم والرعاية الصحية والتأمين الاجتماعى . وبتحديد مقاييس لهذه الأنشطة نستطيع أن نتعرف على الوضع الكمى لكل نشاط منها ، ويمكن عن طريق معرفة نوع المواد الغذائية ومقدارها فى منطقة معينة وترجمة هذه المواد إلى سعرات حرارية ، مقارنة هذا المقدار بالسعرات الحرارية الضرورية(١) للفرد يوميا وتحديد المستوى العام للأفراد من حيث ارتفاعه أو انخفاضه عن هذا المقدار ، كما يمكن ترجمة هذه المواد الغذائية إلى قيمتها النقدية ، وبيان مايخصصه الأفراد فى منطقة معينة من دخولهم لغذائهم ، ومقارنة ذلك المقدار بمثيله فى منطقة

---

(١) نذكر فيما يلى السعرات الحرارية الضرورية للفرد يوميا فى مصر :
٢٧٠٠ سعر حرارى لرجل فى راحة .
٣٠٠٠ سعر حرارى لرجل يعمل عملا خفيفا .
٣٥٠٠ سعر حرارى لرجل يعمل عملا متوسطا .
٤٠٠٠ سعر حرارى لرجل يعمل عملا جثمانيا شاقا .
(تقارير مؤتمر دراسة المشاكل الاجتماعية بالاسكندرية ، ابريل سنة ١٩٥٠ ص ١٣٠) .

ويؤيد وجهة النظر هـذه ما جاء بتقرير قسم الاقتصاد الزراعى والاحصاء بوزارة الزراعة عن سنة ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ من أن متوسط الاستهلاك الغذائى للفرد فى اليوم هو ٢٣٣٦ سعرا حراريا ، كما أن الامر العسكرى رقم ٤٦٩ بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٩٤٤ به تفاصيل الوجبات الغذائية ليسترشد بها الملاك وأصحاب الأعمال فى مديريتى قنا وأسوان لتغذية عمالهم ومستخدميهم . والوجبة تعطى فى المتوسط ١٤٠٠ سعر حرارى وهى من وضع اللجنة المستديمة للتغذية بوزارة الصحة وتضمنتها مذكرتها التفسيرية الصادرة من مستشارها الفنى فى ١٥ مارس سنة ١٩٤٤ (مؤتمر الاسكندرية السابق الاشارة اليه) .

أخرى ، مع حساب توحيد الأسعار . هذا ويمكن مقارنة أنماط الاستهلاك وحجمه فى دولتين بحيث يتضح معدل ما يستهلكه الفرد فى كل منهما من كافة المواد الاستهلاكية ، هذا بالإضافة إلى أنه يمكن التعرف على ظاهرة سوء التغذية فى منطقة معينة بمعرفة معدل وفيات الأطفال فيها لأن هذا المعدل يعكس بصورة واضحة الأوضاع الغذائية الجارية ، ويمكن قياس الكساء بمتوسط ما ينفقه الفرد عليه ، كما يقاس المسكن بمقدار مايخص الحجرة الواحدة من عدد الأفراد أو بمقدار مايخص الفرد الواحد من الأمتار المربعة فى المسكن مع توافر المياه الصالحة للشرب ، ويقاس النشاط التعليمى بانخفاض نسبة الأمية . أما الرعاية الصحية — وهى أحد أنشطة الرفاهية الاجتماعية — فتنعكس فى عدد الأطباء وما يخص الطبيب الواحد من الأفراد وتوافر المستشفيات وعدد الأسرة . وتعكس التشريعات الاجتماعية ما تحققه الدولة من وسائل ضرورية لمواطنيها فى حالات الشيخوخة أو العجز أو المرض .

وقد حاول بعض العلماء وضع مقاييس للرفاهية الاجتماعية والاقتصادية . ونذكر بعضها فيما يلى :

مقاس ميلز وآلمار :

قام ميلز وآلمار بدراسة ثلاث مناطق : الأولى تسودها المصانع الكبيرة والثانية تسودها المصانع المتوسطة والثالثة تسودها المصانع الصغيرة وذلك لمقارنة مستويات الرفاهية الاجتماعية فى هذه المناطق . واتخذ الباحثان نسبة وفيات الأطفال مقياسا يوضح مستوى الرفاهية الاجتماعية فى كل منطقة ، إذ يكشف ارتفاع هذه النسبة عن سوء التغذية وعدم توافر المياه الصالحة وافتقار المنطقة إلى الحدائق العامة وإهمال الإفادة من أوقات الفراغ ، بالإضافة إلى الظروف السكنية السيئة وإهمال رعاية الأمومة(١) .

---

(١) سنذكر ذلك بالتفصيل عند حديثنا عن علاقة الرفاهية الاجتماعية بحجم المصانع .

مقياس ميلروفورم :

إتخذ ملروفورم المقياس التالى(١) لتوضيح نمو المجتمع المحلى ارتفاع مستوى الرفاهية الاجتماعية فيه . ويشتمل هـــذا المقياس على جميع النواحى المتصلة بالحياة الاجتماعية .

ونلخص هذه النواحى فيما يلى :

١ — خدمات أولية :

عـدد محلات البقالة ، المطاعم ، الملابس ، الخردوات ، الأثاث ، بيع السيارات وتصليحها ، الفنادق ، ورش الحـدادة ، أدوات الكهرباء ، محطات البنزين ، محلات أشياء متنوعة ، البنوك ، المخابز ، القروض ، الحانات ، الكواء الحلاقين والتزين ، إيداع الأشياء .

٢ — إدارات الخدمات العامة :

المياه ، الجاز ، الكهرباء ، التليفون ، التنظيم ، القمامة وأماكن حرقها ، عدد أفراد قوة البوليس وإدارة الحريق .

٣ — وسائل الاتصال والمواصلات :

عدد الأجهزة التليفونية ، الإذاعة ومحطات التليفزيون ، الجرائد ، البريد شركات التاكسيات ، السكك الحديدية ، شركات الأتوبيسات ، شركات الأتوبيسات الداخلية ، المطار .

٤ — التعليم :

المدارس الأولية ، الاعدادية ، الثانوية ، الكليات المتوسطة ، الكليات العالية ، مدارس إدارة الأعمال ، المكتبات ، عدد التلاميذ فى الفصول ، عدد المدرسين فى كل مرحلة ، مدى مساعدة المواطنين لإدارة المدرسة .

٥ — الصحة والخدمات المهنية :

عدد الأطباء ، أطباء الأسنان ، الممرضات المدربات ، رعاية العمال ، موظفى

---

(1) W. H. Form & D. C. Miller, Industry, Labor & Community, Harper Brothers, New York, 1960, pp. 711-714.

الصحة ، المحامين ، العيادات : العامة والخاصة ، المستشفيات وعدد الأسرة ، الصليب الأحمر ، جمعية المساعدة القانونية ، صناديق التمويل المشترك ، جمعية الدرن، مساعدة السائحين ، جمعية خدمات الأسرة ، إدارة الرفاهية الاجتماعية ، أنشطة أوقات الفراغ ومنظماتها : المسارح ، الرقص ، قاعات المحاضرات ، مراكز الترفيه ، نوادى للشبان والشابات الذين يتراوح أعمارهم بين ١٣ — ١٩ سنة ، جماعات الشباب ، جمعيات الجولف والسياحة والحدائق ، منظمات : اخوان ، شباب ، محاربين ، الماسونية والشبان والشابات المسيحية ، والكشافة التى تسمى : ٤هـ (١) ، الغرفة التجارية ، النسلء العاملات ، نوادى الآنسات ، جمعيات الآباء والمدرسين ، مجلس المجتمع المحلى .

٦ — الدين :

الكنائس : أنواعها ، مدى تعاون الكنائس معا .

٧ — الاقتصاد :

حجم معدل الضريبة ، الصناعات ، الانتاج ، عدد المستخدمين من الذكور والاناث ، وجود فرصة للعمل للشباب .

مقياس ثورنديك :

وضع ثورنديك مقياسا لرفاهية المدينة ويتكون من البنود العشرة الآتية (٢) :

---

(١) يطلق على هذه النوادى هذا الاسم لانهـــا تعنى بالصحة واليد والقلب والراس ، ويلاحظ ان كل كلمة من هذه الكلمات تبدأ بحرف فى الانجليزية .

(٢) Thorndike, Ten-Item City Yardstick For Measuring Goodness of City.

From: W. H. Form & D. C. Miller, Industry, Labor & Community, Harper & Brothers, New York, pp. 708-710.

١ — معدل وفيات الأطفال أى عدد وفيات الأطفال الأقل من سنة لكل ١٠٠٠ من المواليد الأحياء (اطرح هذا العدد من ١٢٠ واضرب الناتج × ٢)[١].

٢ — مقدار الاعتمادات المالية التى تصرف على إنشاء الحدائق وصيانتها وعلى الساحات ووسائل الترويح الأخرى . (اقسم هذا المقدار على عدد السكان التقديرى للمدينة واضرب الناتج فى ١٠) .

٣ — مقدار القيمة التقديرية لثمن المدارس والمكتبات والمتاحف والحدائق وكل وسائل الترفيه . اقسم هذا المقدار على عدد السكان التقديرى للمدينة ثم اضرب الناتج معبراً عنه بالدولار فى ٢٥ر ( ) .

٤ — مقدار القيمة الكلية لجميع الممتلكات العامة — لا تحسب الشوارع والمجارى — كالمدارس وآلات الحريق والسجون المستخدمة لخدمات البلدية ومصلحة المياه وأحواض السفن والقوة المحركة للمصانع المستخدمة لمشروعات الخدمة العامة . ثم أحصل على الدين العام الصافى واطرح الأخير من الأول .

٥ — مقدار الاعتمادات المخصصة لإدارة المدارس وصيانتها ولا يشمل ذلك الفوائد التى تدفع لديون المدارس . (اقسم هذا المقدار على السكان واضرب الناتج من الدولارات فى ٢) .

---

(١) ليتمكن ثورنديك من جمع دلالات هذه البنود المختلفة يقوم بعملية حسابية خاصة فى كل بند بعد استخراج ناتجه ، فبعد أن يستخرج معدل وفيات الأطفال يطرح هذا العدد من ١٢٠ ويضرب الناتج فى ٢ كما أنه بعد استخراج مقدار الاعتمادات المالية التى تصرف على انشاء الحدائق وصيانتها يقسم هذا المقدار على عدد السكان التقديرى للمدينة ويضرب الناتج فى ١٠ ، وشبيه بذلك انه لا يمكن جمع عدد من ثمار البرتقال على عدد من ثمار التفاح وليتمكن الباحث من اعطاء دلالة للمقدارين معا قام ثورنديك بالعمليات الحسابية الموضحة بكل بند من البنود العشرة . ويلاحظ انه لا يمكن تطبيق هذا القياس فى مصر للاختلاف الواضح بين المستوى الاقتصادى فى الولايات المتحدة الامريكية والجمهورية العربية ، ولكن يمكن الافادة منه بعد وضع العمليات الحسابية الخاصة بالجمهورية.

٦ — عدد الأشخاص الذين حصلوا على شهادة الثانوية العامة أثناء العام . (اقسم هذا العدد على عدد سكان المدينة . اضرب الناتج فى ١٤١٤) .

٧ — عدد الكتب المعارة من المكتبات العامة . (اقسم هذا العدد على عدد السكان واضرب الناتج فى ٥) .

٨ — عدد تلاميذ المدارس الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦ و ١٧ سنة و ١١ شهراً عند تاريخ القيد للمدارس . (أوجد نسبتهم بالنسبة للعدد التقديرى لمن يتراوح عمره بين ١٦ و ١٧ سنة و ١١ شهراً) .

٩ — عدد حائزى عدد أجهزة التليفون ويمكن تقدير هذا العدد بواسطة عد أسماء ٣٠ صفحة (من دليل التليفون) عشوائيا . (اضرب عدد التليفونات فى ٣٠٠٠ واقسم الناتج على عدد سكان المدينة) .

١٠ — عدد المنازل المزودة بالكهرباء . (اضرب الناتج فى ٢٠٠ ثم اقسم على عدد سكان المدينة) .

ثم يجمع ثورنديك الناتج من جميع البنود السابقة للحصول على المجموع الكلى للمدينة كما هو موضح بالجدول المشار إليه فيما بعد . وقد طبق ثورنديك هذا المقياس عام ١٩٣٠ على سبع مدن يزيد عدد سكان كل منها على ٣٠ ألف نسمة فتبين أن درجات رفاهية هذه المدن تقع بين ٣٠٠ — ١٠٠٠ .

كما دلت بعض الدراسات التى استخدمت مقياس ثورنديك فى مدن يتراوح عدد سكانها بين ١٠ آلاف و ٢٦ ألف نسمة أنه يمكن وصف مستوى أى مدينة بالارتفاع أو الانخفاض طبقا للدرجات الآتية :

من ٣٠٠ — ٣٥٠ تعتبر المدينة أقل من مستوى المدينة الأمريكية .

من ٣٥١ — ٥٠٠ يعتبر مستواها منخفضا .

من ٥٠١ — ٦٥٠ يعتبر مستواها عاديا .

من ٦٥١ — ٨٠٠ يعتبر مستواها عاليا .

من ٨٠١ — ٩٥٠ تعتبر فى مستوى مدينــة إيفان ستون وجلندال ونيوتن وأوكلند .

من ٩٥١ — أكثر من ذلك تعتبر من بين الـ ١ ٪ من مدن العالم ذات المستوى العالى جداً .

(البنود العشرة لمقياس ثورنديك)

	المدن						
	ا	ب	حـ	د	هـ	و	ز
١ — معدل وفيات الأطفال .	٢٠	٥٢	٦٨	١٣٨	١٥٦	١٥٠	١٦٤
٢ — مصروفات الترفيه	١١	٥	٨	١١	١٤	٢٤	٤٠
٣ — قيمة المدارس والحدائق	٧٢	٩٣	٨٤	١١٠	١١١	١٦٠	١٦١
٤ — الممتلكات مطروحاً منها الدين .	١٠	١٨	١٧	٣٦	٣٩	٤٨	٤٦
٥ — مصروفات المدارس .	٢٣	٣٣	٢٤	٢٩	٣٢	٤٦	٥٦
٦ — عدد الطلاب الحاصلين على الشهادة الثانوية .	٦٩	١٠١	٩٦	٩٩	١٣٩	١٧٧	١٩١
٧ — دورة الكتب .	١١	١٢	٣٨	٣٧	٤٠	٤٦	٨٤
٨ — نسبة من يتراوح عمرهم بين ١٦ سنة و ١٧ و ١١ شهرا	٥٥	٥٢	٥٤	٥٧	٨٧	٩٣	٩١
٩ — أجهزة التليفون .	٢٥	٣٣	٦٠	٦٢	٦٠	٧٣	٩٣
١٠ — المنازل الموصل إليها الكهرباء .	٣٠	٣٢	٥٨	٤٩	٥٨	٥٤	٦٤
المجموع	٣٢٦	٤٣١	٥٠٧	٢٦٧	٦٢٨	٨٧٠	٩٩٠

ونذكر فيما يلي بعض المقاييس المقترحة التي يمكن تطبيقها في دراسات مقارنة:

١ — يمكن أن تقاس الرفاهية الاجتماعية بالنسبة للعمال بتوافر: حد أدنى للأجور . حد أقصى لساعات العمل ، الاجازات ، توافر القوانين لمنع تشغيل الأحداث ، حماية المرأة أثناء العمل ، صرف التعويض عن الاصابات ، قوانين التأمين الإجتماعي بمختلف صوره . خدمات تتصل بالصحة العامة ووجود مساكن صالحة للعمال وارتفاع المستوى الفني ونقص عدد الإصابات وانخفاض نسبة غياب العمال .

٢ — يمكن أن تقاس الرفاهية الاجتماعية بمقياس الرفاهية الاقتصادية وتقاس هذه الرفاهية بحجم الدخل .

٣ — يمكن أن تقاس الرفاهية بتضامن الوحدة الاجتماعية سواء كانت مجتمعاً محليا أو حيا أو أسرة . ويعكس التضامن الاجتماعي قوة أعمال الرعاية وبرامج الخدمات ، كما أن حركة التطوير الاجتماعي حركة ذاتية تنبع من طبيعة المجتمع وغير مفروضة عليه . فالارتقاء الذاتي وسيلة لتحقيق خدمات متنوعة لأفراد الوحدة الاجتماعية ، ويمكن بذلك قياس الرفاهية بالتعرف على مدى اشتراك العامل وصاحب العمل وبعض أفراد المجتمع في إدارة المصنع ، كما يمكن استخدام السيسوجرام في توضيح هذه العلاقة والكشف عن أنواع الصراع أو التضامن بين الأفراد الذين تختلف مكانتهم وأدوارهم في الوحدة الاجتماعية (المصنع) .

٤ — يمكن أن تقاس الرفاهية الاجتماعية بمعدل وفيات الأطفال والمواليد ويتفق علماء السكان على أن أهم ظاهرة سكانية في العصر الحديث هي الهبوط المتواصل لمعدلات المواليد في الدول الصناعية المتقدمة [١] .

وقد نتج عن الثورة الصناعية آثار اقتصادية بعيدة المدى ، أولها ارتفاع

---

(١) صلاح نامق ، مشكلة السكان في مصر ، ص ١٣١ .

مستوى المعيشة فى الدول الغربية وقد أدى ذلك إلى انخفاض ملحوظ فى معدلات المواليد ، فهناك ارتباط وثيق بين ارتفاع مستوى المعيشة وبين انخفاض معدلات المواليد ، ويصدق ذلك أيضاً بالنسبة للأفراد فى الدولة الواحدة ، فصاحب الدخل الكبير يتاح له أن يوازن بين نفسه وإنتاج الأطفال ، وقد يجد أن تربية الأطفال عقبة تمنعه من أن يتمتع بالحياة التى يحققها هذا الدخل ، كما أنه لا يترك الأمور دون تخطيط وتفهم للإمكانيات والاحتياجات ، ولذلك يدخل فى حسابه العدد المناسب للأطفال . وهكذا فإن مبدأ تنظيم النسل أمر مألوف لديه ، أى أن ارتفاع مستوى المعيشة يوجد عقلية اقتصادية تضع خطة شاملة للحياة ، وتضع انجاب الأولاد ضمن هذه الخطة العامة ، ولعل العقلية الغربية اليوم عقلية مادية تهدف إلى رفع مستوى معيشتها ، وهى فى سبيل وصولها إلى هذا الهدف ، لابد متجهة وجهة فردية بحتة . وهذه النظرية الفردية تضع لكل شىء ثمنه وتزنه بميزان مادى ، بل ويقوم الفرد فى هذه المجتمعات تبعاً لمركزه ومقدار دخله . وهكذا تنبهت النظرة الفردية إلى مبدأ تكاليف انجاب الأطفال وأصبح إشباع حاجة الزوجين إلى الأبوة مسألة مادية لأنهما سيفاضلان بين انجاب طفل جديد وبين شراء سلعة معينة .

وكان لزيادة سنوات التعليم الاجبارى أثر ملموس فى زيادة عبء الآباء نحو تنشئة أطفالهم وأصبح الطفل اليوم مرتبطا بوالده من الوجهة المادية لفترة طويلة يقضيها فى التعليم والتدريب لكسب معاشه . وفيما يلى جدول يوضح معدل المواليد فى عدة دول متقدمة ومتخلفة :

جدول يوضح معدل المواليد فى دول متقدمة ومتخلفة [١] .

الدولة	معدل المواليد	الدولة	معدل المواليد
مصر	٤١,٨	السويد	١٥
جنوب إفريقيا	٣٦	فرنسا	١٤,٦
الهند	٣٣	كندا	٢١,٤
بورما	٣٢,٣	الولايات المتحدة	١٧,١
اليابان	٢٧		
بلجيكا	١٣,٤	المكسيك	٤١,٥
إنجلترا	٢٢,٢	البرازيل	٣٨
ألمانيا	١٤,٦	استراليا	١٨
إيطاليا	٢٣,٤	نيوزيلندة	٢,٢١

أما ارتفاع نسبة وفيات الأطفال فى دولة معينة فيدل على سوء التغذية والمسكن غير الصحى وانتشار الأمراض وعدم العناية بحالة الأمومة وقلة عدد الأطباء بالنسبة للسكان . ويصدق ذلك أيضا بالنسبة للمناطق المختلفة فى الدولة ، فقد عمد الباحثون إلى دراسة معدلات الوفيات فى مناطق مختلفة فى الدولة الواحدة وتبين أن هناك اختلافا بين المعدلات فى الريف والمعدلات فى المدن كما تبين أن هذه المعدلات تختلف باختلاف المهنة والدخل الفردى والظروف الاقتصادية والإجتماعية .

وقد أثبت الفرنسى لوفاسير فىأواخر القرنالتاسع عشر أن معدلات الوفيات فى منطقة الشانزليزيه والأوبرا — وهما من المناطق التى يسكنها علية القوم من الفرنسيين — تبلغ نصف معدلات الوفيات فى الأحياء الفقيرة من باريس [١] ، كما وصل الانجليزى نفشولم إلى نفس هذه النتيجة فى أبحاثه على مدينة جلاسكو

(١) صلاح نامق ، المرجع نفسه ، ص ١٣٨ .

حيث وجد اختلافا كبيرا فى معدلات الوفيات بين الأحياء الغنية والأحياء الفقيرة . ولم تختلف النتيجة التى وصل إليها الباحثون فى القرن العشرين عن هذه النتيجة السابقة ، فالأبحاث التى قامت بها مصلحة التعداد والإحصاء الإنجليزية سنة ١٩٣٦ تثبت أن معدل الوفيات يختلف باختلاف المركز الاجتماعى للفرد ، وفيما يلى جدول يوضح ذلك .

جدول (١) يوضح اختلاف معدل الوفيات باختلاف المركز الاجتماعى للفرد

المركز الاجتماعى	السن	
	٢٠ — ٦٥	٣٥ — ٦٥
النسبة العامة للجميع .	١٠٠	١٠٠
الفئة الأولى الممتازة	٩٠	٩٠
« الثانية	٩٤	٩٥
« الثالثة	٩٧	٩٧
« الرابعة	١٠٣	١٠٢
« الخامسة	١١٢	١١٢
العاطلون	١٣٦	١٤٣

ويتبين من هذا الجدول أن معدل وفيات الفئة الأولى الممتازة من الشعب هو ٩٠ بينما يزيد هذا المعدل بالنسبة للفئة الخامسة وهى فئة العمال غير المهرة من ذوى الأجر المنخفض فيبلغ ١١٢ . ثم يرتفع هذا المعدل جداً حتى يصل إلى ١٣٦ فى فئة العمال العاطلين . وهناك حقيقتان[١] عن وفيات الأطفال وهما أن انخفاض معدل الوفيات فى الدول الصناعية يعزى إلى انخفاض معدل وفيات الأطفال الرضع ، كما أن معدل وفيات الأطفال وخاصة فى السنوات الأولى من حياتهم معدل حساس يتأثر بالظروف والأحوال الاجتماعية والاقتصادية التى يسود البيئة ، فيرتفع إذا ما ساءت هذه الظروف وينخفض إذا تحسنت البيئة فى جميع

(١) صلاح نامق ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

مناحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، أى أن انخفاض معدلات وفيات الأطفال يعكس ظروف البيئة بشكل واضح . كما أن الدولة التى ينخفض فيها معدل الوفيات ينخفض فيها بالتالى معدل وفيات الأطفال .

ولا يختلف معدل الوفيات باختلاف مركز الأفراد الاجتماعى فحسب بل أن معدل وفيات الأطفال يعكس دخل الأب ومهنته وقد أشرنا إلى بعض الدراسات التى تثبت ذلك . ونضيف إليها دراســـة الهولندى ميثوريست Methorst سنة ١٩٢٢ حيث أثبت أن معدل وفيات الأطفال فى هولندة يرتفع بانخفاض الدخل النقدى للعائلة وينخفض بارتفاع هـذا الدخل حتى يصل هذا المعدل فى الطبقات الثرية إلى ثلث هذا المعدل لدى الطبقات الفقيرة . كما أثبتت الدراسات التى قام بها الأمريكى وودبرى Woodbury سنة ١٩٢٠ أن معدل وفيات الأطفال يصل إلى ١٧٠ إذا كان الدخل النقدى السنوى للأب ٤٥٠ دولارا فى السنة بينما تصل هذه المعدلات إلى ٥٠ فقط إذا ما ارتفع دخل الأب إلى ١٢٥٠ دولاراً . ويعـكس معدل وفيات الأطفال كذلك حالة المسكن ومستوى التغذية ومدى العناية الصحية بالطفل . وفيما يلى جدول يقارن بين معدل وفيات الأطفال ومعدل الوفيات عموما فى مختلف الدول طبقا لاحصاء قامت به هيئة الأمم المتحدة .

جدول يوضح معدل وفيات الأطفال ومعدل الوفيات فى بعض الدول(١)

الدولة	معدل وفيات الأطفال	معدل الوفيات عموما
١ — معدل وفيات الأطفال أقل من ٥٠		
نيوزيلنده	٢٢	٩
السويد	٢٣	١٠
أستراليا	٢٨	١٠
هولندة	٢٩	٧
الولايات المتحدة	٣٢	١٠
انجلترا	٣٦	١١
كندا	٤٤	٩
٢ — معدل وفيات الأطفال من ٥٠ - ٩٩		
فرنسا	٥٢	١٢
فنلندة	٥٢	١٣
بلجيكا	٥٩	١٣
اليابان	٦٢	١٢
ألمانيا	٦٨	١٠
إيطاليا	٧٣	١٠
بورتوريكو	٧٨	١٢
سيلان	٩٢	١٣
٣ — معدل وفيات الأطفال أكثر من ١٠٠		
البرتغال	١٠	١٣
المكسيك	١٠٢	١٦
بلغاريا	١٢٩	١٣
الهند	١٣٠	١٧
كولومبيا	١٣٧	١٤
مصر	١٣٩	٢٦
شيلى	١٦٠	١٧

(١) صلاح نامق ، المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

وهناك علاقة بين ارتفاع معدل وفيات الأطفال وبين ارتفاع معدل المواليد، إذ يترتب على كثرة الأطفال ضعف الأشراف عليهم وقلة عناية الأم بهم. وترجع زيادة عدد المواليد إلى عوامل اقتصادية واجتماعية . فقد أثبتت الدراسات الإحصائية أن العلاقة بين انخفاض الدخل وارتفاع معدل المواليد علاقة عكسية. ويشير الأستاذ طومسون فى كتابه « مشاكل السكان » إلى أنه كلما زاد الدخل قل معه معدل المواليد كما يذكر الأستاذ مارشال أن الخصوبة وإنجاب الأطفال تتحددان بمستوى المعيشة . وقام الأستاذ كايزر مدير معهد الاحصاء الأمريكى ببحث حالة ١٠٠٠ زوجة أمريكية بعد الحرب العالمية الثانية من مختلف الطبقات والدخول فوجد أن معدل المواليد يصل إلى ٩٣ بين طبقة رجال الأعمال الميسورين ويرتفع إلى ١٠١ لدى طبقة المحامين والأطباء والمهندسين بينما يصل هذا المعدل إلى ١١٢ بين طبقة العمال الممتازين وإلى ١٣٧ بين افراد الطبقة الدنيا ، وفى بحث آخر لنفس المؤلف يبين أن معدل المواليد يصل إلى أعلى ما يمكن فى الطبقة التى تعتمد فى حياتها على الإعانات الحكومية أو المساعدات المادية إذ يصل هذا المعدل إلى ١٥٤ بينما ينخفض إلى ١٣٧ فى الطبقة التى يقل دخلها عن ألف دولار فى العام ثم يهبط إلى ٩٤ فى الطبقة التى يتراوح دخلها بين ١٠٠٠ ، ١٤٩٩ دولاراً ثم يهبط مرة أخرى إلى ٧٧ فى الطبقة التى يتراوح دخلها بين ١٥٠٠و١٩٩٩ دولاراً ويستمر فى الهبوط حتى يصل إلى ٣٧ لدى الطبقة التى يتراوح دخلها بين ٢٠٠٠ و ٢٩٩٩ دولاراً فى العام[١] . وقد وصل خبراء السكان فى بريطانيا إلى نفس هذه النتيجة . فتوضح اللجنة الحكومية البريطانية للسكان فى تقريرها الرسمى عن السكان فى بريطانيا الذى نشر فى يونية سنة ١٩٤٩ هذه العلاقة ، وهى تشير إلى أن عدد أفراد أسر أصحاب المهن الحرة والحكومية كالأطباء والمهندسين والمحامين والقضاة يقل عن عدد أفراد أسر العمال غير المهرة الذين يعملون فى الزراعة أو المناجم .

---

(١) صلاح نامق ، مشكلة الفقر ، ص ٢٠ — ٢٢ .

ويعتقد علماء التغذية أنه كلما زاد الاستهلاك اليومى للفرد من البروتين الحيوانى قل النسل وهبطت الخصوبة والعكس صحيح » ويتضح هذا إذا ما قارنا بين فرموزا والملايو والهند واليابان من جهة وبين الدانمرك واستراليا والولايات المتحدة والسويد ، ففى المجموعة الأولى يبلغ استهلاك الفرد اليومى من البروتينات الحيوانية ٧ر٤ ، ٥ر٧ ، ٧ر٨ ، ٧ر٩ جراما على التوالى وتبلغ نسبة المواليد ٦ر٤٥ ، ٧ر٣٩ ، ٣٣ ، ٢٧ فى الألف ، أما المجموعة الثانية فيبلغ فيها استهلاك الفرد اليومى من البروتينات الحيوانية ١ر٥٩ ، ٩ر٥٩ ، ٤ر٦١ ، ٦ر٦٢ جراما وتصل نسبة المواليد إلى ٢ر١٨ ، ١٨ ، ٩ر١٧ ، ١٥ فى الألف على التوالى[١] » .

٥ — يمكن أن تقاس الرفاهية الاجتماعية بمتوسط العمر . ويتراوح هذا المتوسط فى الجمهورية العربية بين ٢٨ — ٣٥ سنة بينما يبلغ فى انجلترا وأمريكا حوالى ٦٠ — ٦٥ سنة ويعكس هذا المتوسط المستويين الاقتصادى والاجتماعى ، كما يمكن اتخاذ نسبة من يتراوح عمرهم بين ٢٥ — ٥٠ سنة إلى مجموع السكان للدلالة على زيادة أو انخفاض عدد أفراد الدولة فى أعظم سنى إنتاجهم وأخصبها .

٦ — ويمكن أن تقاس الرفاهية الاجتماعية بمتوسط ما ينفق على الفرد من أنشطة الرفاهية الاجتماعية التى تشمل الغذاء والكساء والمسكن والتعليم والرعاية الصحية .

٧ — ويمكن اتخاذ تناسب أوزان الأطفال وأطوالهم مقياسا للرفاهية ، ويذهب كل من ماك ايفر وشارل بنج إلى أنه توجد دلائل على أن الأطفال حين يتعرضون لأحوال معيشية غير ملائمة كأن يعوزهم الغذاء الكافى فى خلال الحرب أو خلال أزمات اقتصادية شديدة فإن بعض التغيرات تطرأ على طول قامتهم وعلى وزنهم ويحدث عكس هـــذا إذا كانت ظروف الحياة المعيشية

---

(١) محمد صفى الدين ، الموارد الاقتصادية ، دار النهضة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١ ، ص ٢٢٢ — ٢٣٤ .

موائية للأفراد على نحو ما اثبته فرانزبواس F. Boas من أن أحفاد اليهود المهاجرين إلى أمريكا يزيد متوسط طول قامتهم بوصتين تقريبا على طول قامة والديهم(١) . وقد ثبت أنه إذا أصيب الأطفال فى سن مبكرة ، كما هو الحال فى المناطق التى تتوطن بها الأمراض المختلفة ، فإن هذا يبطىء نموهم الجسمانى بصورة محسوسة ، حتى لقد ذهب أحد الباحثين الذين لاحظوا هذه الظاهرة فى مصر إلى أنه يخيل للناظر إلى الشباب عند بلوغهم العشرين من العمر أنهم فى الثانية عشرة . ويمكن التدليل على ذلك بمقارنة نسبة من يرفضون أثناء التجنيد لقصر قامتهم بنسبة انتشار البلهارسيا فى قراهم ، فقد كانت نسبة المعافين لقصر القامة تتراوح بين ١٩ و ٢٢ ٪ فى مناطق البلهارسيا ، بينما لم تتعد نسبة الاعفاء ٢ ٪ فى المناطق الخالية منها ، ومعنى ذلك أن جزءا كبيراً من الأمة يصبح عاجزاً عن المساهمة فى الدفاع عنها .

٨ — ويمكن أن نأخذ تنوع الغذاء فى الدولة مقياسا للرفاهية ، إذ يرى علماء التغذية أن الإنسان « يميل بطبيعته إلى غذاء متنوع ، وإنه كلما ارتفع دخله ومستوى معيشته قل اعتماده على الحبوب الغذائية كأساس لطعامه ، وينطبق هذا القول على الشعوب التى تتمتع بمستويات دخل مرتفعة وهى التى تمثل ١١٫١ ٪ من سكان الأرض مثل سكان الولايات المتحدة وكندا ونيوزيلندة واستراليا وبريطانيا وسويسرا والسويد ، إذ لا يزيد نصيب الحبوب الغذائية فى احتياجات الفرد من السعرات الحرارية فى هذه الدول على ٤٠ ٪ ويستمد القدر الباقى من موارد حيوانية مثل البيض واللبن واللحوم(٢) » .

ويمكن أن يضاف إلى هذه المقاييس مقاييس أخرى مثل ارتفاع نسبة الإنتاج الفردى وارتفاع مستوى الاستهلاك وارتفاع نسبة المشتغلين بالخدمات إلى مجموع السكان(٣) .

---

(١) على أحمد عيسى ، المجتمع ، الترجمة العربية لكتاب المجتمع ، ماكيفر وبدج ، مكتبة النهضة العربية ، ص ١٧٤ .

(٢) محمد صفى الدين ، المرجع السابق ، ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .

(٣) اقتصرت فى هـــذه الدراسة على المقاييس التى اشرت اليها فى المنهج .

وإذا كانت المقاييس السابقة تكشف عن درجة الرفاهية الاجتماعية التى يتمتع بها الأفراد والمنطقة فإن هناك بعض المظاهر التى تكشف عن انعدام الرفاهية . وتوضح السمات الآتية إفتقار المنطقة إلى أنشطة الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية .

١ — كثرة عدد الأفراد المستحقين للمساعدات الاجتماعية[1] .

٢ — شدة التزاحم .

٣ — ارتفاع نسبة البطالة .

٤ — ارتفاع نسبة الطلاق .

٥ — ارتفاع نسبة جناح الأحداث وجرائم البالغين .

٦ — ارتفاع نسبة ذوى العاهات من السكان : العمى والصمم والبكم .

* * *

(١) اشرنا الى ان المساعدات الاجتماعية تعطى لمن لا ينطبق عليهم شروط التامينات الاجتماعية .

الفصل الثانى

الرفاهية الاقتصادية

حاول الأستاذ بيجو أن يحلل مجال دراسة اقتصاديات الرفاهية فعرفها بأنها ذلك الجزء من الرفاهية الاجتماعية الذى يتناوله المقياس النقدى بطريق مباشر أو غير مباشر[1] .

ونقطة البدء فى دراسة اقتصاديات الرفاهية هى دراسة الرفاهية الاقتصادية للفرد فى مجتمع معين وهى بمثابة مقدمة تحليلية منطقية لما يجب أن يتلوها من دراسة لرفاهية المجتمع . وتتوقف رفاهية الأفراد على كميات السلع والخدمات ومنافعها الاقتصادية[2] .

ويوجد ارتباط بين أنعدام الرفاهية الاقتصادية وعدد من الملامح والمظاهر : منها ارتفاع نسبة السكان المشتغلين بالزراعة وتفشى البطالة المقنعة بينهم ، نقص نصيب الفرد من رأس المال العينى والدخل القومى ، عدم قدرة الغالبية العظمى من السكان على الإدخار نظرا لعدم كفاية الدخل لمقابلة المطالب الضرورية للحياة ، توافر قدر ضئيل من المدخرات لدى طبقة الملاك الزراعيين التى لا تحسن الاستثمار فى الصناعة أو التجارة ، تركز الإنتاج الزراعى فى الحبوب والمواد الأولية ، قلة إنتاج البروتينات نظرا لارتفاع نسبة تحويل الحبوب إلى منتجات لحومية ، إنفاق الغالبية العظمى من المصروفات على الغذاء والضروريات . معظم الصادرات من المنتجات الأولية ،ضآلة نصيب الفرد من التجارة الخارجية، ندرة التسهيلات الائتمانية ووسائل التموين السليم ، انخفاض مستوى الإسكان ، صغر حجم الحيازة الزراعية وعدم تطبيق وسائل الزراعة الحديثة مما يؤدى إلى

---

(١) حسين عمر ، الرفاهية الاقتصادية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦١ ، ص ٩١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩ .

انخفاض غلة الأراضى وتعرض دخول الزراع إلى تقلبات عنيفة تغرقهم بالديون، ارتفاع معدل الخصوبة ومعدلات الوفاة ، انخفاض مستوى التغذية ، عدم توافر الوسائل الصحية السليمة ، انخفاض مستوى التعليم ، ضعف الطبقة المتوسطة، انخفاض المستوى الاجتماعى للمرأة ، عدم توافر الكفاية الإنتاجية ووسائل الإنتاج الحديثة[١] .

---

(١) بنيامين هيجنز ، التنمية الاقتصادية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ١٠ — ١١ .

١ ـ أساليب الرفاهية الاقتصادية

وقد نشرت هيئة الأمم المتحدة إحصائية[١] عن متوسط دخل الفرد فى سبعين دولة تضم ٩٠٪ من سكان العالم . وفى هذه الاحصائية تبين أن متوسط دخل الفرد يتراوح ما بين ٢٥ دولارا فى أندونيسيا إلى ١٤٥٣ دولارا فى الولايات المتحدة ، وتشير الاحصائية إلى اثنى عشر بلدا لا يتجاوز فيها متوسط الدخل ٥٠ دولارا سنوياً وسبعة عشرا بلدا يتراوح فيهما الدخل ما بين ٥٠ ـــ ١٠٠ دولار سنويا (مصر منها) كما يتبين أيضا أن أشد البلاد فقرا وعددها أثنا عشر بلدا تضم ثلث سكان العالم وتحصل على ٤ ٪ فقط من الدخل الإجمالى و٢٥ بلدا فقيرا يضم نصف سكان العالم ولا يحصل إلا على ٩ ٪ من الدخل الإجمالى فى حين تحصل ثمانى دول فقط على ٥٦ ٪ ولا يتجاوز مجموع سكانها ١٠ ٪ من تعداد سكان العالم . ويلاحظ أن البلاد الفقيرة تركز فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية على حين تتركز الدول الغنية فى أوربا الغربية وفى استراليا (دولتان) وفى أمريكا الشمالية (دولتان) . ولا تظهر هذه الأرقام سوى جانب واحد من المشكلة الاقتصادية ، إنها تحدد متوسط دخل الفرد السنوى ولا تكشف عن التفاوت الشاسع فى الثروة والدخل بين أفراد الأمة الواحدة . وتشير الإحصائية إلى أن دخل الفرد فى مصر عام ١٩٤٩ يبلغ ١٠٠ دولار سنويا دون أية أشارة إلى التفاوت الشاسع بين ملاك الأراضى ورجال المال من ناحية والفلاحين الذين يتضورون جوعا من ناحية أخرى . وينعكس انخفاض الدخل عدة جوانب أهمها : الفقر والتعرض للأمراض الفتاكة كالملاريا والطفيليات المعوية والسل والضعف وأمراض سوء التغذية والأمية والإقامة فى مساكن لا تتوفر فيها أبسط قواعد الصحة . هذا بالإضافة إلى ما ينعكسه من ارتفاع نسبة وفيات الأطفال وعدم تجاوز متوسط عمر الإنسان عن ٣٠ سنة[٢] . ولما كان

---

(١) هارولد ويلسون ، الحرب ضد الفقر ، الترجمة العربية : فؤاد سيد فهمى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ٧ ـــ ٨ .

(٢) تشير احصائية هيئة الأمم المتحدة أن متوسط عمر الانسان فى مصر عام ١٩٤٩ هو ٣٠ سنة . المرجع السابق ، ص ١١ .

سكان العالم يتزايدون بسرعة تهدد مستقبل البشرية ومعدل زيادة المواد الغذائية يقل كثيرا عن معدل زيادة السكان فلا مناص من زيادة إنتاج المواد الغذائية بنسبة أكبر من زيادة السكان كي يتحقق رفع مستوى المعيشة .

ولا تواجه الدول المتخلفة بالضرورة نفس المشكلات . كما أن الأولويات والوسائل تختلف من بلد إلى آخر بل ومن منطقة إلى أخرى فى البلد الواحد . وثانياً أنه يجب عدم تناول مشكلة زيادة الإنتاج الزراعى بمعزل عن التنمية الصناعية . وتتطلب زيادة الإنتاج الزراعى توسيع الرقعة الزراعية فى العالم وتحسين غلة الأرض . وتصاب الثروة الزراعية فى المناطق المتخلفة بالشلل إذا لم تسر جنباً إلى جنب مع التنمية الصناعية . والصناعات التحويلية مطلوبة لعدة أسباب منها امتصاص فائض السكان الزراعيين وتزويدهم بالوسائل اللازمة لشراء الطعام الكافى ، وتقديم الخدمات اللازمة للزراعة فى شكل صناعات ريفية وكذلك تنويع اقتصاد المناطق المتخلفة . ولاريب فى أن التنمية الصناعية ضرورية لرفع القدرة الشرائية لغير المشتغلين بالزراعة بنسبة أكبر من زيادة المواد الغذائية وإلا تراكمت هذه الزيادة فى حين يتضور الناس جوعا ، كما أن هذه التنمية تزيد الدخل الحقيقى للفلاحين وترفع مستوى معيشتهم ، هذا بالإضافة إلى أن تطور الكهرباء وتوليدها من مساقط المياه وانتشار محطات القوى الصغيرة يجعل من الممكن إنشاء مختلف الصناعات فى مختلف مناطق البلد المتخلف ، ويصبح المجال واسعاً لإنشاء الصناعات المحلية البسيطة التى لايحتاج لرؤوس أموال كبيرة . وتستطيع هذه الصناعات التى تستخدم المواد الخام المحلية ولا تحتاج إلى نفقات كبيرة لنقلها ، منافسة الصناعات الكبيرة ، ومن أهم أنواعها الصناعات الحرفية والريفية . وهكذا يمكن تحقيق التنمية بربط الصناعة والزراعة .

فالتنمية الإقتصادية هى زيادة ملحوظة فى الدخل القومى وفى نصيب الفرد منه ، ومن الصعب القول بأن الرفاهية تزيد بالتنمية ، فالاقتصاد التقليدى للرفاهية لا يتدخل فى تحديد سلم التفضيل لأن أمر ذلك متروك للفرد ذاته . لهذا يهتم الاقتصاد بالأسواق باعتبارها السبيل الوحيد الذى يكفل اختيار المستهلك للسلع والخدمات التى يرغب فيها . ولم يتفق الاقتصاديون بعد على أمثل توزيع للدخل

وإن كان من المتفق عليه أن أمثل سياسة هي تلك التي توزع الموارد بما يحقق أكبر قدر من الاشباع للمجتمع[1] .

وقد اتضح مما ذكرناه حتى الآن أن الاكتظاظ السكاني وسرعة النمو الطبيعي في مصر مع عدم مسايرة الموارد الاقتصادية هي الأسباب الحقيقية لإنخفاض مستوى المعيشة . وتتحقق الرفاهية الاقتصادية عن طريق وضع حد معقول لمعدل النمو الطبيعي حتى يمكن التوازن بين الموارد الاقتصادية وعدد السكان ، وعن طريق العمل رفع مستوى المعيشة ليضمن كل فرد حقه في الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية . ويتطلب رفع مستوى المعيشة تنمية مصادر الدولة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وسياحة على أسس سليمة ووضع خطة شاملة تضع في اعتبارها معدل نمو السكان في السنين القادمة .

ويوضح الجدول الآتي الحد الأدنى والحد الأقصى لعدد السكان المتوقع حتى عام ١٩٨٥ .

جدول يوضح الحد الأدنى والحد الأقصى
لعدد السكان المتوقع حتى عام ١٩٨٥ [2]

السنوات		تقديرات عدد السكان بالألف	
		الحد الأدنى	الحد الأقصى
١٩٦٠	تعداد	٢٦ ٠٨٥	٢٦ ٠٨٥
١٩٦٥		٢٩ ٢٤٥	٢٩ ٨٧٧
١٩٧٠		٣١ ٦٧٨	٣٤ ٤٥٩
١٩٧٥		٣٣ ٨٣٠	٣٩ ٧٤١
١٩٨٠		٣٦ ٢٣٧	٤٥ ٦٨٧
١٩٨٥		٣٨ ٧٩٢	٥٢ ٥٣٣

(١) بنيامين هيجنز ، المرجع السابق ، ص ٩٥ .
(٢) مصلحة الاحصاء والتعداد ، الثورة في عشر سـنوات ، اطلس احصائي ، ١٩٦٢ .

ويجب لنجاح الخطة واكتمالها بذل أقصى الجهد لتربية الكفايات الإنتاجية والعمل على محو الفوارق بين الطبقات . ويهمنا أن نسجل بالغ اهتمام الدولة بمشكلة السكان وعملها الدائب على تنمية مصادر الثروة ورفع مستوى المعيشة ، فهناك خطة شاملة لمضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات ، ومن الواضح أن مضاعفة الدخــــل وهو المقياس النقدى للرفاهية الاقتصادية تدعو إلى تنمية مصادر الثروة .

أما مجال الرفاهية الاقتصادية فهى الزراعة والصناعة والتجارة والسياحة . وتسعى الدولة فى مجال الزراعة نحو توسيع الرقعة الزراعية عن طريق الاستفادة الكاملة بمياه النيل والمياه الجوفية فى المناطق الصحراوية . كما أن مصر قدبدأت انقلابها الصناعى الحقيقى فى عهد الثورة[1] والواقع أن المجتمعات الاقطاعية الملكية تتغير عن طريق العنف الذى تقوم به الجماعات الاجتماعية الصاعدة وقد يتخلى أصحاب الاقطاع والمستغلون بهدوء عن الحكم ، ولكن هذا نادر الحدوث ، وتلقى الطليعة الجديدة المقاومة من هؤلاء المستغلين إذا كانت قوية من الناحية الاقتصادية . وإذا كانت الطبقة الوسطى ضعيفة واستغلالية فقد تنهض البروليتاريا وتستولى على الحكم كما حدث فى الصين والاتحاد السوفيتى . والتغير الاجتماعى يصحب حتما التقدم الاقتصادى وتبدو مظاهره فى تحطيم النظام التقليدى وظهور نخبة جديدة . وقد يصاحب هذا التغير أعمال العنف مما يؤدى إلى الإضرار بالتنمية الاقتصادية ، ولكن نجاح ثورة ٢٣ يوليو أثبت أنه من الممكن تحقيق التقدم الاجتماعى دون اللجوء إلى العنف . وقد أمكن إيقاظ هذا التقدم بعدد من النظم هى الإصلاح الزراعى ونقابات العمال والتشريعات الاجتماعية والحركة التعاونية ونظام الضرائب المتقدم .

وتكشف الحقائق التالية[2] عن ناحية من الأساس الفلسفى للثورة :

---

(١) عبد الفتاح محمد وهيبه ، سكان الجمهورية العربية المتحـدة ومشكلاتهم ، المؤتمر الجغرافى العربى الأول ، فبراير ١٩٦٢ ، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ص ١٤ — ١٧ .

(٢) راشد البراوى ، « تطورنا الاقتصادى فى عشر سنوات » ، مجلة الكاتب ، العدد العاشر ، يناير سنة ١٩٦٢ .

١ — رفع فئات الضريبة على الشركات والإيراد العام والأرباح فى عام ١٩٥٢.

٢ — إشراف الدولة على تحديد نسب الأرباح للمشروعات والأسعار التى تباع بها المنتجات للمستهلكين.

٣ — إعفاء طوائف كثيرة من ذوات الدخل المحدود من الضرائب المقررة على كسب العمل أو المهن الحرة.

٤ — تقرير مبدأ حصول العمال فى الشركات على ربع أرباحها الصناعية علاوة على الأجور العادية وهذا هو مبدأ المشاركة العمالية فى الأرباح.

٥ — رفع فئات ضريبة الإيراد العام من جديد (١٩٦١) حتى وصلت إلى ٦٠ ٪.

٦ — توزيع للأراضى الخاضعة لقوانين الإصلاح الزراعى وأراضى الأوقاف على غير المساكين من أبناء الريف.

« ولقد كان من أكبر عوامل التصور فى عمليات التنمية الاقتصادية فى العهد الماضى أن الأخيرة لم تكن تسير وفقاً لبرامج مدروسة ومتناسقة ، ولهذا كان فى مقدمة الأسس التى قامت عليها سياسة العهد الجديد الاقتصادية مبدأ التصميم أو التوجيه بالصورة التى توفق بين جهود الدولة من جهة والنشاط الخاص من جهة أخرى ، وتدفع الاثنين قدما وفقا لأهداف إقتصادية وإجتماعية معلومة ومن هنا بادرت حكومة الثورة إلى تأليف المجلس الدائم لتنمية الإنتاج القومى الذى بدأ عمله رسمياً فى أوائل يناير من عام ١٩٥٣ . وتنحصر مهمة المجلس الأساسية فى استقصاء موارد البلاد ودراستها والعمل على إستغلالها فى تنمية الاقتصاد القومى فى حدود الطاقة والإمكانيات المادية والبشرية والزمنية حتى تتمكن البلاد من تضييق الهوة القائمة بسبب قصور الزيادة فى موارد العمل والعيش عن اللحاق بمثيلتها فى عدد السكان على أن تكون التنمية المنشودة وفقا لبرامج محدودة بعد دراستها ومعلومة الغايات والوسائل قد دبرت لها الأموال اللازمة وضربت لتنفيذها آجال مقررة . وقد قام المجلس بعمل اتجاهين لتنمية الإنتاج الزراعى :

الاتجاه الرأسى والاتجاه الأفقى ، كما يشمل البرنامج التوسع فى الصناعة والثروة المعدنية والتوسع فى إنتاج الكهرباء والمواصلات .[1]

وليس من شك فى أن عملية التنميـــة يصاحبها تغيرات أساسية فى البناء الاجتماعى والنظم الثقافية وما يتصل بها من عادات وتقاليد وقيم ، ذلك لأن اكتساب المهارة فى العمل وممارسة استعمال الآلات من أهم عوامل التنمية[2].

كما لا تقتصر أهمية التنمية الاقتصادية على الإنتاج فقط ، بل تمتد آثارها إلى التوزيع والتسويق والإدارة والعلاقات الاجتماعية ، وكذلك السلوك الاقتصادى والسياسى والاجتماعى »[3] .

ويصاحب التنمية الاقتصادية كذلك تغيرات جوهرية فى حجم الوحدات الاقتصادية وفى الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ويتسع أفق الإنسان فيتطلع إلى المدينة فالأقاليم ثم إلى الأمة والعالم . ومن أهم عوامل التنمية تجميع الأسواق القروية فى وحدات أوسع ، وتحويل العائلات والقبائل إلى دول وأمم[4] .

ويبدو أن نقطة البداية فى خطة التنمية الاقتصادية لابد أن تتجه إلى العمل على رفع مستوى الإنتاجية فى الزراعة ، كما يعتبر التصنيع من أهم سمات برامج التنمية فى البلاد النامية . فإنه إذا كانت الزراعة تمثل مصدر الدخل للغالبية العظمى من السكان ، فإنه لا يتصور رفع مستوى المعيشة دون رفع مستوى الإنتاجية فى هذا القطاع الرئيسى ، كما قد استقر فى البلاد النامية أن التخصص الدولى الذى يعتمد

---

(١) مقدمة كتاب المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى .

(٢) محمد خيرى ، التدريب على العلاقات الانسانية (ترجمة) تأليف وتلزبرجر ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ ، الفصل الثالث .

(٣) محمد خيرى ، توطين الصناعة والرفاهية الاقتصادية والاجتماعية دار النهضة العربية ، ١٩٦٥ ، فصل التصنيع يشكل الحياة الاجتماعية ، ص ٣٢١ وما بعدها .

(٤) دانيال رزق ، التنمية الاقتصادية ، (ترجمة) تأليف الاستاذ كندل برجر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ص ٦ .

على أساس تركز الصناعة فى بعض البلاد الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية مع قيام سائر بلاد العالم بخدمة الصناعة الأوربية عن طريق تزويدها بالمواد الأولية والغذائية ، ومن ثم انشطر العالم شطرين ، شطر صناعى متقدم وآخر زراعى متخلف ، استقر فى البلاد النامية أن هذا التخصص الدولى قرين النظام الإمبريالى ، لذلك كان طبيعيا أن تنظر هذه البلاد إلى تصنيعها نظرتها إلى استقلالها السياسى ، فهو رمز حريتها وعلامة انقضاء الماضى إلى غير رجعة[1] .

---

(١) سعيد النجار ، بعض القضايا الاساسية فى عملية التنميــة الاقتصادية ، اعمال الحلقة الدولية الثالثة عشرة لعالم الجريمة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ــ الجمعية الدولية للعلوم الجنائية ١٩٦٣ ، ص ١٥١ .

٢ ــ مقاييس الرفاهية الاقتصادية

يمكن اتخاذ المقاييس الآتية للدلالة على الرفاهية الاقتصادية فى المنطقة أو الإقليم .

١ ــ ارتفاع درجة التوطن الصناعى لأن ارتفاع نسبة السكان المشتغلين بالزراعة يرتبط بالفقر .

٢ ــ إنخفاض نسبة البطالة .

٣ ــ ارتفاع نصيب الفرد من رأس المال العينى والدخل القومى .

٤ ــ قدرة معظم السكان على الادخار .

٥ ــ زيادة السعرات الحرارية من البروتينات فى غذاء الأفراد .

٦ ــ ارتفاع نصيب الفرد من التجارة الخارجية .

٧ ــ ارتفاع مستوى الأسكان .

٨ ــ انخفاض معدلات الخصوبة ومعدلات الوفاة وارتفاع مستوى التغذية .

٩ ــ انخفاض نسبة الأمية .

* * *

الباب الثانى

الرفاهية الاجتماعية
فى كل من المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى الصناعى

تختلف أنشطة الرفاهية الاجتماعية باختلاف الدول والأزمنة ، ويرجع ذلك في جوهره إلى التفاوت بين مستويات الدخل القومى والموارد الاقتصادية والكفاية الإنتاجية وإلى طبيعة البناء الاجتماعى لكل دولة وما يترتب عليه من وظائف ، فالأنشطة الاجتماعية فى السويد مثلا تتضمن مختلف التأمينات الاجتماعية بينما تشتمل فى الهند على التعليم والمساعدات الاجتماعية . وكما تختلف هذه الأنشطة باختلاف الدول فإنها تختلف كذلك باختلاف مناطق الاقليم نفسه : الزراعية أو الصناعية . ومع أهمية عوامل الدخل والموارد الاقتصادية والكفاية الإنتاجية السابق الإشارة إليها فإن عامل طبيعة البناء الاجتماعى هو الذى يحدد فى رأينا طبيعة الأنشطة الاجتماعية . وتختلف طبيعة بناء المجتمع الريفى عنها فى المجتمع الحضرى الصناعى[1] . ويبدو أن الاختلاف بين الأجهزة أو النظم القائمة بين الريف والحضر يرجع إلى تباين سمات الحياة الاجتماعية فى المجتمعين . ومع ذلك فإن بعض علماء الاجتماع يرى أنه ليس هناك حداً فاصلا بين المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى وأنهما على متصل واحد Continuum يقع فى أحد طرفيه المجتمع الريفى ويقع فى الطرف الثانى المجتمع الحضرى ، ولكن هذا الرأى قد يصح تطبيقه فى بعض الدول المتقدمة التى يتضح فيها أن طرق الحياة فى المجتمعين واحدة وإن اختلفت فى الدرجة ، أما فى دولة نامية كمصر ، فإن عابر السبيل يستطيع فى وضوح وتميز أن يتبين مدى التفاوت الكبير بين القرية والمدينة . ولسنا هنا بسبيل توضيح هذا التفاوت إلا بالقدر الذى نستبين منه طبيعة كل من المجتمعين وأثر هذه الطبيعة فى الرفاهية الاجتماعية وأنشطتها والأجهزة أو المنظم القائمة بها ، إن هناك صفات معينة تميز الحياة الريفية عن الحياة فى المدينة . ومن أبرز هذه الصفات أهمية الجماعات الأولية فى القرية حيث يتميز أهلها بالعلاقات القوية التى تقوم بينهم ، ويستطيع كل فرد فى هذا المجتمع رؤية الآخر فى فترات زمنية متقاربة فتقوى الصداقة والألفة وتتصل العشرة . ويلقى الفرد فى مجتمع القرية عناية كبيرة من أعضاء جيرته رغم شدة الاتجاه إلى اعتماد الجماعة الاجتماعية على المصالح ، إذ لا تغفل الحياة الريفية قيمة الجو الجغرافى كأساس للجماعة بخلاف جماعة المدينة التى تجمعها

---

(1) A. L. Bertrand, Editor & Associates, Rural Sociology, An Analysis of Contemporary Rural Life, New York, McGraw-Hill Book Company, 1958, p. 23-34.

المصلحة أو المنفعة . إن العلاقات الاجتماعية فى الريف تتميز بالصداقة وارتباط الأفراد بعضهم مع بعض ارتباطا وثيقاً ، ولهذا نرى مظاهر التكافل الاجتماعى واضحة فى هذا المجتمع ، وتمثل المساعدات الاجتماعية أبسط هذه المظاهر : فتقوم على تقديم العون والمساعدات للمحتاجين ولهذه المساعدات أشكال مختلفة فمنها الإحسان المباشر من شخص قادر أو ما تقدمه جمعية خيرية من رعاية للفقراء أو ما ينفق من ريع الأعيان الموقوفة على البر . وقد تخفف هذه الاجراءات وطأة العوز عن الفقراء والمحتاجين إلا أنها لا تخلو من صبغة الاستجداء لأنها بهذه الصفة ليست حقاً لمن يحصلون عليها بل هى منة من القادرين الأثرياء للعاجزين الفقراء كما أنها لا تشمل جميع المحتاجين ، إذ تحددها الموارد المالية وقدرة الأداة التى تقوم على توزيعها[1] . ويلاحظ الدكتور دونالد هوارد عميد كلية الرفاهية الاجتماعية بجامعة كاليفورنيا فى بحث له عن الرفاهية الاجتماعية فى دائرة المعارف الأمريكية أن توافر الخدمات الاجتماعية مرتبط بالتقدم الاقتصادى ، وتكاد تنعدم أنشطة هذه الرفاهية فى المناطق التى لم تبلغ بعد نموها الاقتصادى الكامل .

والمجتمع فى الريف عادة أكثر التفافا حول ذاته عنه فى المدن ، كما أن الأسرة هى نقطة الارتكاز ، ومن الملاحظ أن المجتمع الريفى يعيش فى عزلة ثقافية نظراً لعدة عوامل أهمها عدم توافر وسائل المواصلات ، ولكنه مع ذلك يتمتع لعدة الروابط المحلية . ويكاد يتم تعامل الأفراد فى حدود الأسرة أو المسجد أو الكنيسة أو الجمعية التعاونية ، كما أن النشاط الاقتصادى فى هذا المجتمع بسيط يعكس ما نلاحظه من تعقد هذا النشاط منه فى المجتمع الحضرى ، فالعائلة والمزرعة والبيئة مشروع واحد[2] تقوم العائلة فيه بالعمل وتكون المزرعة المورد الرئيسى للدخل وميدان النشاط ، وأما البيت فهو مأوى للمحصول وزريبة للماشية ومقراً للأشغال اليدوية . إن طبيعة تركيب النظم الاجتماعية فى المجتمع الريفى هى التى تحتم طبيعة

---

(١) أحمد حسين ، الضمان الاجتماعى فى مصر ، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية كتاب الدورة الثالثة ، دمشق ٨ — ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٢ ، جامعة الدول العربية ص ٢٨٢ .

(٢) هـ بلشو ، الانعاش الاجتماعى فى المجتمع الريفى ، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية ، الدورة الثانية ، القاهرة ، ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، ص ٢٢٢ .

الرفاهية الاجتماعية فيه[1] . ولتوضيح ذلك نقول : إن الفلاح لا يرى حياته منقسمة إلى قسمين أحدهما للعمل والآخر للانقطاع عنه بقصد الانصراف إلى شئون أسرته[2] ، كما أن ظاهرة تقسيم العمل لا تظهر فى هذا المجتمع ، فمعظم الرجال يعملون فى الحقل وتقوم النساء بالأعباء المنزلية ومساعدة الرجل أحيانا فى الحقل ، وتسند أعمال خفيفة إلى الأطفال ، ويؤدى هذا التشابه فى العمل إلى تشابه الأفراد فى التفكير والسلوك ويزيد هذا التشابه قوة : وحدة المصلحة . وتؤدى القيم العامة السائدة بينهم إلى التماسك والتضامن ، أما فى المدينة فإن ظاهرة تقسيم العمل سمة بارزة بحيث نجد أن أسس التباين فى مناشط العمل تختلف باختلاف الجنس والسن والمهارة ولذلك نلاحظ أن التماسك يقوى بين الفئات ذات المصالح المشتركة عنه بين أفراد الأسرة الواحدة مما يترتب عليه أن يتحد أفراد الفئات المختلفة لتحقيق مصالحهم ورفاهيتهم[3] .

وعملية التنشئة الاجتماعية فى المجتمعات الريفية تكاد تنفرد بها الأسرة ، لأن هذه المجتمعات بحكم انعزالها واستقرارها تزداد شدة صلات القرابة فيها حتى يصبح الجميع أقرباء بعد عدد من الأجيال ، وللقرابة أثرها فى تنشئة الطفل إذ يقوم الناس بمساعدته بسبب قرابته ، كما تمتد صلة القرابة إلى غير القريب فيعتبر المدرس إمتداداً للأسرة ، وبذلك ينشأ الطفل طبقا للأنماط التى تميز الحياة الريفية ، ومن ذلك مثلا إنعدام الفردية إلى حد كبير . أما الأسرة فى المدينة فهى صغيرة الحجم لأنها وحدة زوجية ، كما أن كثيراً من وظائفها ذات الصلة بالتنشئة الاجتماعية أخذتها هيئات أخرى كجماعة اللعب والمدرسة ومختلف وسائل الإعلام . وهكذا نجد أن دور الحضانة ضرورة أساسية فى رفاهية المدينة بينما لا تحتل فى القرية أى إهتمام . هذا ويؤثر كثرة السكان وتنوع الأفراد فى المدينة فى العلاقات الاجتماعية فساكن الحضر يرى كثيراً من الغرباء كل يوم، ومع ذلك فليس له علاقة إجتماعية

---

(١) كما ان طبيعة تركيب النظم الاجتماعية فى المجتمع الحضرى هى التى تحتم طبيعة الرفاهية الاجتماعية فيه ، وسنعالج ذلك عند الكلام عن الرفاهية والمجتمع الحضرى .

(٢) محمد ثابت الفندى ، الطبقات الاجتماعية ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٩ ، ص ١٠٢ .

(٣) N. Anderson, The Urban Community, A World Perspective, Routledge & Kegan Paul, London, p. 403.

مع معظمهم ، كما أن له إتصالات لاشخصية مع آخرين كثيرين ، ومع أنه من الناحية الفيزيقية قريب إلى كثير من الناس فإنه من الناحية الاجتماعية قريب إلى عدد قليل منهم . وقد يفكر فى كثير منهم بحكم التعامل معهم ، ولكنه لا يذكرهم كأشخاص تسود بينهم علاقات إنسانية إجتماعية ، بل كعملاء يتصورهم أرقاما ، عناوين ، زبائن ، مرضى ، قراء ، عمال أو موظفين . أما الريفى فرغم قلة الاتصالات أو العلاقات المباشرة بينه وبين غيره ، إلا أنها علاقات تتميز بالدفء لأنها علاقة وجه لوجه ، ويتخذ الحضرى التظاهر — وهو مقدرة لإخفاء الشعور وتغيير المواقف أو الظروف — ليشكل علاقاته الاجتماعية واتصالاته اللاشخصية بعدد كبير من الأفراد . ولذلك نستطيع القول إن ساكن المدينة عقلى فى معظم علاقاته [1] :

فالموظفون والكتبة وأصحاب المحلات والسائقون يخدمون غايات مباشرة ، ويحكم عليهم بمدى قدرتهم على تحقيق هذه الغايات ، ويتوقع الحضرى من محطة الغاز مثلا أن ترسل إليه (س) من الأفراد يقوم بخدمته على أتم وجه ، بصرف النظر عن مشاعر هذا العامل ، وهذا بخلاف حياة الريفى الذى تتشبث به العواطف وتحركه العادات والتقاليد وتتحكم فيه أدوات الضبط الاجتماعى ، كما أن للمجتمع الريفى قدرات على إيجاد علاقات أولية قوية وشعور بالإنتماء ، بحيث يغلب أن تكون مصائر الناس متشابهة وتسود تعريفات عامة للمواقف والقيم والخبرات ، تكون العلاقات بين الأفراد قوية وشخصية . وتشتد المشاركة فى الجماعات الأولية كما تقوى العلاقات مع الأصدقاء والأقارب والجيران . ويترتب على ذلك ضعف الحاجة إلى أنشطة الرفاهية الاجتماعية لشدة التماسك وقوة التضامن بين الأفراد . ولسنا نعنى من ذلك أن التنظيم الاجتماعى فى الريف يصل إلى مرحلة يوصف فيها بأنه متكامل وإنما معناه أن التنظيم الاجتماعى فى المجتمع الريفى قائم بالصورة التى يظهر فيها أن كل بناء من أبنية النظم الاجتماعية متكامل فى حد ذاته ، وبحيث لا يبدو فيه التفكك الاجتماعى الذى يرجع إلى عدم قيام البناء بتحقيق وظيفته . وإنما التفكك الاجتماعى الذى نلمسه فى المجتمع الريفى مرجعه إلى تخلف نظام

---

(1) H. E. Barnes, Society in Transition, New York, Prentice Hall, Inc., 1952, Second Edition, p. 441.

اجتماعى عن نظام اجتماعى آخر . كأن يحدث تعديل فى نظام معين مع ثبات نظام اجتماعى آخر ، فادخال التكنولوجيا مثلا فى الزراعة يؤدى إلى تخلف النظام التربوى إذا لم تدله عوامل التغير . ومن ثم لايحتاج المجتمع الريفى إلى العمل على أن تقوم أبنية المجتمع فيه بوظائفها وإنما يحتاج إلى اتساق النظم الاجتماعية بحيث لايترتب على تغيير إحداها تخلف أو ثبات لنظام آخر . وإذن فإن ما يحتاجه المجتمع الريفى هو بذل أنشطة الرفاهية الاجتماعية على مستوى المجتمع ككل . ومن ثم فإن المنهج الذى يمكن اتخاذه لتحقيق الرفاهية الاجتماعية فيه يختلف عن منهج المجتمع الحضرى . ولكن ليس معنى ذلك عدم تطبيق المنهجين فى مجتمع واحد وإنما نفضل أن تكون الأولوية لمنهج معين . فإذا قلنا إن العمل على إيجاد العلاقات الأولية هو المنهج الذى يخفف من حدة التنافس فى المجتمع الحضرى باعتبار أن معظم العلاقات فى المدينة علاقات ثانوية قد تعنى بالتكيف أو التوافق بين الأفراد لتباينهم فى القيم والثقافة والعادات الاجتماعية ، فإن المنهج الذى يصلح للمجتمع الريفى هو العمل على تنمية المجتمع واتخاذ أساليب العمل المحلى بصفة عامة.

ننتقل الآن إلى بيان الآثار التى تترتب على الصناعة كعامل أساسى من عوامل التغير الاجتماعى . ولا ريب فى أن الصناعة أحد الأنماط الثقافية ، والثقافة كما يعرفها تايلور هى : معنى مركب يتضمن المعرفة والإيمان والفن والأخلاقيات والقانون والعادات ، كما يتضمن عادات يكتسبها الانسان باعتباره أحد أعضاء جماعة [1] . وبهذا المعنى الواسع تعبر الثقافة عن كل التراث الاجتماعى للانسان ، ولهذا فإن الإنسان الذى يعيش بعيدا عن أى جماعة إنسانية لايمكن أن يكون مزوداً بأى ثقافة لأنه لم يتصل بأفراد آخرين ولم يستطع أن يشارك فى معرفة هذا التراث الاجتماعى ، ومع ذلك فإن هذا الفرد يستطيع أن يحل المشاكل وأن يتعلم بالخبرة ولكن ذلك ما تستطيعه الحيوانات الأخرى أيضا . وتفترض الثقافة وجود المجتمع من ناحية والمهارات الضرورية للأفراد من ناحية ثانية حتى يتمكن أعضاء المجتمع من القيام بأدوارهم . وتتميز كل جماعة من الجماعات بثقافة خاصة بها ، وهذه الثقافة هى الإطار العام لحياتهم . ويهتم علماء الاجتماع بدراسة الثقافة من الناحية التى

(1) L. Broom & P. Selznick, Sociology. A Text with adapted Reading, Row Peterson & Company, New York, 1960, pp. 43-48.

تتصل بالمعايير ومستويات السلوك البشرى . ومع اهتمام هؤلاء العلماء بهاتين الناحيتين العامتين فإنهم يدركون أن هناك ثقافات متعددة داخل الثقافة العامة لمجتمع ما ، فللأسرة والمدينة وجماعات الأقليات والمصنع والعصابة ثقافتها التى تتميز بها . ويحاول علماء الاجتماع اكتشاف عوامل الصراع بين مختلف مستويات المجتمع ويطلقون على هذا الموضوع « الصراع الثقافى » كما يحاول هؤلاء العلماء التعرف على المعايير التى تحدد السلوك والتى تتغير بتغير الزمن ، ويطلقون على هذا الموضوع « التغير الثقافى أو الحضارى » .

وعلى الرغم من أن الثقافة عبارة عن إطار كامل للمعيشة فإن الإنسان لا يستطيع أن يلم بجميع نواحى المعرفة والخبرات ، هذا بالإضافة إلى أن سلوك الإنسان لا يرجع فقط إلى ما تحدد قيم الثقافة ، فإن ثمة دوافع أخرى غير الثقافة تحدد هذا السلوك . ومع أن الفرد فى الجماعة يشارك أعضاء جماعته فى ضروب شتى للسلوك بسبب الثقافة أو الحضارة العامة أو المشتركة إلا أن هذا الفرد يتعلم بعض مظاهر ثقافته دون البعض الآخر بسبب جنسه أو عمره أو الجماعة التى يولد بينها أو المنطقة المحلية التى يعيش فيها . والفرق بين المجتمعات الثابتة والمتحركة فرق فى الدرجة لا فى النوع . فبينما يكون التغير سريعا فى بعض المجتمعات يكون بطيئا فى بعضها الآخر ، ولكن التغير يعتريها على كل حال . ولقد أفاض كثيرون فى الحديث عن مشكلة أسباب التغير الثقافى أو الحضارى ، والواقع أن اكتشاف سبب معين لهذا التغير ضرب من المحال والتعنت لأن التغير عملية معقدة تتضمن تداخلا متبادلا بين عوامل مختلفة ولكنه مع ذلك يمكن القول إن أهم العوامل التى تعمل على التغير هو الصناعة . فمن الملاحظ أن الدول الصناعية قد ارتقت عما عداها من الدول التى ظلت تعتمد على الزراعة ، واتضح تقدم هذه الدول فى ارتفاع مستوياتها الاقتصادية وزيادة دخلها وانخفاض معدلات وفيات الأطفال فيها . ولا ريب فى أن هذه المظاهر نتيجة للتقدم الصناعى ومن الملاحظ كذلك ارتباط الصناعة بالتحضر . ولما كانت ظروف الحياة فى المدينة تختلف اختلافا واسعا عنها فى الريف فإنه يترتب على ذلك تحول فى وظائف المجتمع وتركيبه . كما يترتب عليه أيضا اختلاف فى أسلوب المعيشة ونوع الحياة بين المنطقة التى توطنت بها الصناعه وبين القرية ، فأسلوب المعيشة والعلاقات فى القرية — كما سبق أن أشرنا — لها صفة الشخصية ويصبح أساسها غير شخصى ويقل مجال الاشتراك فى الأفكار والمقاييس ووجهة النظر ، وتضعف أو تزول .

الضوابط الخلقية ، تلك الضوابط التي تنشأ في القرية نتيجة للصلات الشخصية الوثيقه ولإدراك الفرد بأنه معروف للجميع . والمثل « اللي يعرف أبويا يروح يقول له » خير ما يطبق في المدينة ، فليست فيها رقابة شخصية ولا يحس الفرد بالآخر . لهذا كان لابد أن تتولى أنشطة الرفاهية الاجتماعية هيئة أو إدارة أو مؤسسة أو جمعية أو الدولة ذاتها نتيجة لعدم إحساس الفرد بالآخر ، فإذا كان التكافل الاجتماعي هو سمة الرفاهية في القرية لأنه ينبع من المشاركة في الشعور فإن سمة الرفاهية في المدينة النشاط الحكومي أو النشاط الذي يقوم على المصلحة المشتركة ، ولذلك لإنعدام الاتصال الشخصي القائم في القرية . هذا بالإضافة إلى أن سلطة الأسرة في المدينة سلطة ضعيفة ، لأن الأسرة قبل قيام الصناعة لم تكن وحدة استهلاكية فقط وإنما كانت وحدة إنتاجية أيضا وكان جميع أفرادها يشتركون في نشاط واحد ، وقد ترتب على ذلك أن أحس كل فرد بأنه عضو في جسد واحد إذا اشتكى عضو ، سهر له الأعضاء الآخرون . ومعنى ذلك أن يتحمل كل عضو جزءاً من مسئولية الأسرة ، ومن شأن هذا أن يقارب بين أفراد الأسرة الواحدة ويساعد على توحيد وجهات النظر والقيم ، كما يجعل سلطة الأسرة على أفرادها سلطة قوية . وهي بهذا تصبح عاملا قويا في تشكيل شخصية الأفراد . ولكن هذا كله ينعدم في النمط الثقافي للصناعة الحديثة . فلم تعد الأسرة وحدة كما لم يعد أفرادها يشتركون في عمل إنتاجي واحد ، فقد يعمل الأب في مكتب والأم في مصنع ويذهب الأولاد إلى المدرسة وقل أن يساهموا في عمل من الأعمال وإنما يبحثون عن مجالات خاصة لقضاء أوقات فراغهم أي ليست هناك فرصة للاتصال بين الأطفال والكبار كما كان الأمر من قبل . لذلك فإن قدرة الأسرة على تشكيل الأطفال تضعف ، وتقل الميول المتحدة بين أفرادها ، وهكذا يسير كل في طريقه مما يؤدي بالضرورة إلى ضعف الروابط بين الأفراد إلى ضعف سلطان الأسرة كأداة اجتماعية . ولا شك أن الصناعة هي التي أدت إلى هذا التغيير الذي حدث في نظام الأسرة ، فالصناعة كونت عنصراً ثقافيا دخل في النمط الثقافي وأثر في حياة الجماعة وحياة الأسرة مدرسة ومصنعا ومسجداً ومستشفى وملجأ . ولكن قيام الصناعة عمل على تهيئة أجهزة أخرى تقوم بهذه الوظائف . هذا بالإضافة إلى أن الصناعة نفسها قد أدت إلى انقسام المشتغلين بها إلى طبقتين هما طبقة العمال أو

الأجراء وطبقة أصحاب رؤوس الأموال ، وغنى عن البيان أن هذا الإنقسام يؤدى إلى نشوء تعارض بين مصالح العمال وأصحاب رؤوس الأموال ، ولكن نفوذ العمال السياسى قد زاد بعد تكتل العمال فى نقابات أدت إلى ازدياد نفوذهم السياسى وإلى قيام الاشتراكية . ولقد كان الصراع بين الطبقات غير قائم قبل نشوء البيئة الصناعية أو كان على الأقل غير محسوس ، وفضلا عن ذلك فإن للانتاج الكبير نتائج بالغة فكلما تزيد الآلة فى الإنتاج تبدأ رؤوس الأموال فى البحث عن أسواق جديدة ومصدر للمواد الخام . ونتج عن هذا البحث إستعمار معظم الدول المتخلفة لتكون مصادراً للمواد الخام وأسواقا للتصريف . وكان من آثار الحروب الإستعمارية فى هذه الدول وانتقال ثقافة جديدة إليها تغيرات اعترت بناء المجتمعات القديمة ومظاهرها ، فضعفت الأسرة ، كما ضعفت الضوابط الشخصية وانعدم الإتصال المباشر وظهرت المشكلات بين رأس المال والعمل . كل هذه الأمور أوجدت مشكلات فى إطار الثقافة ، وإذن فعندما يدخل عنصر جديد فى هذا الإطار يحدث تغيرات فى نواح أخرى أو يحدث فجوة ثقافية بين الأنظمة الإجتماعية أو الإنساق الثقافية تهيء أذهان المصلحين الإجتماعيين إلى وجوب التوفيق بين مختلف العناصر الجديدة والعناصر الأصلية فى الإطار الثقافى . وليس هناك من شك فى أن مقارنة نسبة التغيير فى (هذه العناصر) أمر من الصعوبة بمكان[1] » .

وغنى عن البيان أن العالم يعانى الآن عجزه عن التوفيق بين نتائج الصناعة وبين المعتقدات والمقاييس الأخلاقية والقيم الاجتماعية القديمة التى يتكون منها محور الإطار الثقافى القائم لأن النمط الثقافى وأن اشتمل على بعض العادات الاجتماعية التى تتصل بالحياة الجارية كعادات المأكل والملبس وأساليب البناء إلا أن العنصر الرئيسى فى أى نمط ثقافى هو الناحية المتصلة بالمعتقدات والمثل العليا التى تحرك الأفراد والجماعات . وإجراء التوفيق بين هذه التغيرات الاجتماعية وبين تعديل النمط الثقافى يكون عن طريق أساليب الرفاهية الاجتماعية ، وذلك بهدف تكوين

---

(١) السيد محمد بدوى ، المجتمع والمشكلات الاجتماعية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٧ ، ص ٩٢ .

كل جديد متكامل متماسك. ولتوضيح ذلك نقول : عندما تكون النظم الاجتماعية متسقة بعضها مع بعض يبدو التنظيم الاجتماعى فى أتم صورة وهو ما لا يحدث فى الغالب فى أى مجتمع من المجتمعات ، وعندما يتخلف نظام من هذه النظم يظهر التفكك الاجتماعى فى صور عديدة . وهنا يظهر دور الرفاهية الاجتماعية من حيث أنها — كما سبق أن عرفناها — وظيفة التنظيم الاجتماعى والاقتصادى فى المجتمع . وبعبارة أخرى إن نواحى النشاط المختلفة التى يقوم بها الناس فى المجتمع الريفى مثلا تتكامل — إلى حد كبير — فيما بينها لكى تهيء لكل فرد أن يحيا حياة ريفية : بفضل مجهوده ومجهود جميع الأفراد وعن طريق التبادل الموجود بينهم.

وعندما تدخل الصناعة يعتور المجتمع تغيرات كثيرة حتى يصل هذا التغير إلى الدرجة التى يجد الأفراد فيها أنفسهم قد ارتقوا فى نواح كثيرة بينما ظلت ثقافتهم وعاداتهم الاجتماعية وقيمهم وآدابهم الشعبية بعيدة عن أى تغيير .

والواقع أن هذه هى المشكلة ، بل أن أخطر المشكلات هى أن تتغير بعض مظاهر المجتمع دون البعض الآخر فيختل التوازن الاجتماعى . وهنا يظهر دور الرفاهية الاجتماعية كوظيفة للتنظيم فى المجتمع . ماذا يحدث عندما تعجز الأسرة فى المجتمع الحضرى عن أن تحقق للفرد الحاجات الإنسانية الرئيسية [1] أو تعجز عن أن تحقق له التوازن النفسى والتكيف الاجتماعى . لقد صاحب الانقلاب الصناعى ظهور الفردية وطغيان الأثرة ، ولكن عوامل كثيرة أدت إلى تحرك العاطفة الإنسانية ، فشعر الفرد بوجوب رعاية أخيه الإنسان وتكونت الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية التى يتصدر مجالس إدارتها الأثرياء وذوو السلطان ومع إنتشار التحضر وتقدم الصناعة والرغبة فى زيادة الربح تنافس الأفراد وتصارعت الطبقات، ولم يستطع عدد كبير من الناس أن يصمدوا فى هذه الحركات الاجتماعية المتفاعلة فتخلفوا عن الركب ، وبدت معالم تخلفهم فى قلة مواردهم وضآلة دخولهم وضعف أجسامهم ، ولم يكن هكذا حالهم قبل التصنيع حيث كان إقتصاد الفرد مندمجاً مع إقتصاد الجماعة ، ورغم إختلاف مكانة الفرد فى الجماعة

---

(1) Nels Anderson, The Urban Community, Routledge & Kegan Paul, London, 1960, p. 403.

باختلاف مقدرته على الإعطاء ، فإنه لا يهمل أو يبعد عن هذه الجماعة إذا عجز عن أن يعطى شيئا . ولكن قيام الوحدة الإنتاجية الكبيرة قضى على الأسرة وهى خلية المجتمع وحلت محلها الجماعة الثانوية(١) . فإذا واجه الأفراد بعض الصعاب فليس أمامهم إزاء ضعف الجماعة الأولية إلا أن يتلقوا المساعدات أو الإحسان من أفراد آخرين أو من أية جماعة منظمة سواء حكومية أو أهلية وكلما اشتدت حاجة الأفراد إلى نوع من الخدمات فسرعان ما يحاول المجتمع أن تتضمن مناشطه هذه الحاجة . ويحدد ديكوف Ducolf وهاجود Hagood عناصر الرفاهية الريفية ، بحيث تستهدف المجتمع ككل فتتضمن مستويات المعيشة والدخل والوقاية ضد الأخطار الاقتصادية والتعليم والخدمات الصحية والترويحية والثقافية ، والرفاهية بهذا المعنى هى تحقيق المساواة بين جميع الأفراد وأداء الخدمات لهم ولأسرهم . والرفاهية الاجتماعية مفهوم عام بينما الضمان الاجتماعى يعنى بأنواع معينة من الحاجات تتحقق عن طريق خدمات خاصة سواء كانت عن طريق مؤسسة حكومية أو أهلية ، وقد تكون هذه الحاجات بالنسبة للأسرة أو الفرد وقد تكون مؤقتة أو دائمة ، كما تشتمل هذه الحاجات على نواحى صحية أو سلوكية . وقد يختلف الأفراد فى وجهات نظرهم إزاء السياسة الاجتماعية للرفاهية ومع ذلك فإنهم يواجهون نفس الحاجـــات عندما يلجأون إلى الضمان الاجتماعى .

وتعنى فكرة الرفاهية الاجتماعية كما يراها هوفستى Hofstee فى الحياة الريفية فى هولندا بالقيم السيكلوجية والمادية وتتحقق عندما يكون المجتمع المحلى متمتعاً بالشعور بالخير "A sense of well being" ويشعر الفرد بأنه آمن فى مكانته الاجتماعية وأنه متكيف مع بيئته . وذلك — بالنسبة لهوفستى — أمان عقلى وعاطفى يعكس استقرار الأشياء المادية . ومثل هذه الحالة سائدة فى المجتمعات المحلية الهولندية ، ولكن هولندا دولة حضرية من الدرجة الأولى . ويدرك هوفستى أن التكامل القديم للقيم الريفية تتجه إلى أن يحل محلها نوع

(١) Nels Anderson, The Urban Community, Routledge & Kegan Paul, London, 1960, p. 403.

جديد من التكامل يتم عن طريق البرامج القومية المختلفة[١] . وتتضمن هذه البرامج الضمان الاجتماعى بصوره المختلفة والذى يخفف من الأخطار التى يتعرض لها الفرد ، وهى الأخطار التى تنجم عن إصابات العمل ، المرض ، الشيخوخة ، الوفاة ، كما تتضمن الأنشطة الإجتماعية التى تبذل للفرد فى مختلف مراحل عمره أى وهو طفل ثم شاب ثم كهل .

ولا نريد أن نطيل فى شرح معركة مبدأ مسئولية الدولة نحو أفراد الشعب لتحقيق الرفاهية الاجتماعية ، ويكفى أن نشير إلى قول الرئيس كلفلاند « ليست الحكومة مسئولة عن تقديم المعونة للشعب ، وإنما الشعب هو المسئول عن تقديم المعونة للحكومة[٢] » . وقد اعترى هذه الفكرة التحول شيئاً فشيئاً ، لأن عوامل التغير الناجم عن التصنيع وما ترتب على ذلك من عجز الجماعات الأولية عن أن تقوم بمساعدة أفرادها ، أدى إلى أن التمسك بمبدأ مسئولية الفرد نحو نفسه فى حالات العجز والأخطار التى يتعرض لها ، يهدد الكيان الاجتماعى كله . ولكن ثمة عاملا أساسياً هو الذى حتم مسئولية الدولة نحو أفرادها وهو انتشار المذاهب الاشتراكية ، وأصبح المبدأ الذى يتردد فى جميع الدول المتقدمة هو « دولة الرفاهية » . ويذكر نلز اندرسن أن معظم المقترحات الخاصة بالتشريع الاجتماعى كانت فى أول الأمر صدى الاشتراكية التى انتشرت مذاهبها فى أوربا . ولكن يقرر أندرسن بعد ذلك أن السائد فى الولايات المتحدة الأمريكية الآن هو أن التشريعات الاجتماعية المقترحة ليس وراءها فكرة الخشية من الاشتراكية وإنما الذى يدفع إلى سنها هو سيادة فكرة « دولة الرفاهية »[٣] لقد كانت الخشية من الاشتراكية هى التى دعت بسمارك إلى سن تشريعات برامج التأمين الاجتماعى ، وكانت حجته فى ذلك أن تقدم الصناعة يتطلب مساعدتها عن طريق الاستقرار المترتب على سن هذه التشريعات ولكن لا نغفل أن سن هذه التشريعات واحد إثر واحد قد فوت الفرص الأساسية على الساسة الاشتراكيين .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٠٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٧ ، ٤٠٩ .
(١) المرجع السابق ، ص ٤٠٧ — ٤٠٩ .

والخلاصة أن الرفاهية الاجتماعية فى مناطق الصناعة مطلب أساسى يتم عن طريق الدولة والمجتمع المحلى ، كنتيجة لما يترتب على عدم استطاعة مكونات البناء الاجتماعى فى المجتمع الصناعى أداء الوظائف التى كانت تتحقق نتيجة لطبيعة بناء المجتمع الريفى . « ولقد ساد النظام الاشتراكى فى فنلندا منذ عام ١٩٠٦ ، وكانت هذه الفترة فى الوقت نفسه ، فترة تصنيع البلاد وتحولها إلى التحضر السريع . وقد نمت مفاهيم جديدة حول الطبقة الاجتماعية والرفاهية بحيث أصبحتا من المبادىء الاقتصادية العلمية . وقد قام ساريولا Sariola بدراسة بمجتمع محلى قروى ومجتمع محلى حضرى . وكان هدف دراسته تحديد وجهات نظر الطبقة الاجتماعية نحو الشيوعيين والاشتراكيين وحزب الفلاح والمحافظين ، ولكننا نأخذ من هذه الدراسة الوصف التالى للخدمات القائمة فى كل من المجتمعين الريفى والحضرى لنوضح بعض عناصر دولة الرفاهية : أن كلا من المجتمعين الريفى والحضرى يعنى بأنشطة الرفاهية الاجتماعية على نطاق واسع ، كما يعنى بالعمل وتوفير الأطباء والممرضات والقابلات والمفتشين فى الميادين المختلفة وبمرشدين فى الإقتصاد المنزلى وباخصائيين فى شئون الشباب كما تقدم المدارس فيها وجبات غذائية بالمجان وعناية صحية وتحصين ضد الأمراض ، ويتضمن تشريع الضمان الاجتماعى حالات العجز والبطالة ورعاية الأمومة والطفولة والشيخوخة كما تتضمن الرفاهية جمعيات تعاونية للتسويق والإئتمان وتربية الحيوان والمواصلات[1] » إن تأثير التحضر الصناعى يؤدى إلى ظهور مشكلات تحتاج إلى جهود لعلاجها . ولقد كان النصف الأول من من هذا القرن وبخاصة النصف الأخير من هذه الفترة هو الذى شهد الإجراءات التى اتخذت فى تشريعات الضمان الاجتماعى فى الدول الحضرية الصناعية ، بل لقد أخذت هذه الدول مبدأ مسئولية الدولة نحو الاسكان وإزالة الأحياء الفقيرة المزدحمة وتنمية التحضر ، كما أخذت فى وضع البرامج والتسهيلات للإفادة من وقت الفراغ هذا فضلا عما اتخذته من إجراءات لمساواة الدخل سواء عن طريق الضرائب التصاعدية أو بوسائل أخرى ، وإذا نظرنا إلى جميع هذه التشريعات ، فإننا نجدها مستمدة من منبع واحد هو الموقف الحضرى الصناعى ، ومن المشكلات

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤١٠ — ٤١٢ .

التى ترتبت على التكنولوجيا والتغير الاقتصادى . والشىء الجدير بالذكر هنا هو أن هذه المظاهر المختلفة لم تعد تنبع من دوافع الشفقة أو الرحمة ، وهكذا لم يعد يقوم على تأدية هذه الخدمات الهواة من الأثرياء . وإنما فئة من الإخصائيين . أن فكرة الإحسان قد بليت ، وقد قال اندرسن فى ذلك ما يلى : وإن المجتمع الحضرى الصناعى هو الذى وصل إلى النقطة التى تحل عندها الجماعة الثانوية محل الجيرة والتفكير العلمى محل الدافع الدينى وهكذا ظهرت الرفاهية العامة فى أكمل صورها . وعندما أصبحت فكرة مسئولية الدولة نحو أفرادها فلسفة معترفا بها تغيرت مصطلحات الفقر والإحسان إلى مفاهيم الأمان ومعاشات البطالة ومساعدة الأطفال والمعولين والعاجزين[1] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤١٠ — ٤١٢ .

البـــاب الثالث

الرفاهية الاجتماعية

فى كل من المجتمع الرأسمالى والمجتمع الاشتراكى

كان التقدم الصناعى يمثل تغييراً لا نظير له فى الجانب المادى للثقافة الاجتماعية وما ظهر فيه من اختراعات كثيرة غريبة ، جعل هم العلماء وانتباههم يوجه كله نحو الآلات ومصادر القوى المختلفة . وكان التصنيع يجرى فى نطاق واسع فى تلك الفترة الصناعية ومع ذلك أغفل العلماء الجانب البشرى فى الصناعة ، فاعتبروا العمال آلات ، وطالبوهم بحياة آلية داخل المصنع باسم الاتقان الصناعى [1] .

وتبدو عدة ثغرات فى التنظيم الاجتماعى للمجتمع نتيجة للتطور السريع الذى أحدثه التصنيع وما ترتب عليه من زيادة سكان المدن الذين يهاجرون إليها للعمل ، ويصاحب هذا عدة نتائج تتصل بكيان الأسرة ووظائفها ومدى تكيف الأفراد مع سرعة الحياة فى بيئة مغايرة هى البيئة الصناعية الحضرية . وهكذا تظهر الحاجة وسط هذا المجتمع المتسم بالمادية الزائدة إلى الرعاية الاجتماعية التى يحاولها الهواة من الأثرياء بدافع النظرة إلى الإنسان كإنسان وعدم اعتباره مجرد عنصر من عناصر الإنتاج ، بل لقد ظهر هواة الرعاية الاجتماعية كرد فعل للاتجاهات التى سادت القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهى الاتجاهات الفردية النزعة والتى وجدت طريقها فى الولايات المتحدة الأمريكية بدافع تحقيق أرفع مستوى من الحياة فى أقصر وقت ممكن والإفادة من عقل الفرد وجسمه بأقصى طاقاته واستغلال المادية فى أعلى صورها .

وفى وسط هذا الخضم من الآمال استطاع أصحاب المصانع الاستفادة من الإمكانيات المتاحة بصرف النظر عن القيم الأخلاقية أو المعايير الإنسانية ، فانتشر المذهب الفلسفى البراجماتى ومؤداه أن مقياس الحقيقة هو النجاح "Truth is Success." ومن شأن هذه الفلسفة أن تغض النظر عن القيم الإنسانية العليا وأن تشجع على التنافس وإن ترتب عليه البغضاء والصراع وانعدام التضامن . كما أدى الصراع بين طبقة العمال التى لا تملك إلا العرق بالعمل وبين طبقة أصحاب رؤوس الأموال التى تبذل جميع طاقاتها المادية والبشرية لزيادة الربح ، أدى هذا

---

(1) حسن الساعاتى ، بحث فى علم الاجتماع الصناعى ، العمل والمجتمع ، مستخرج من مجلة كلية الآداب ، عام ١٩٥٣ ، ص ٢ .

الصراع إلى حالات البؤس والحرمان والفاقه ، وهي الحالات التى أثارت هواة الرعاية الاجتماعية لمواجهة الحاجات والمشكلات العديدة التى كان لا بد من ظهورها عندما لم تستطع التنظيمات الاجتماعية أن تساير التقدم التكنولوجى فعجز التنظيم الاقتصادى مثلا عن حل مشكلات العامل لما عجز التنظيم الدينى عن تقديم المساعدات والتنظيم الصحى عن حل المشكلات الاجتماعية والتنظيم التربوى عن مواجهة الحاجات التربوية[1] . لقد كانت الأسرة فى مجتمع القرية مدرسة ومسجداً ومستشفى وحكومة ومصنعا وكان تركيبها الاجتماعى يؤدى إلى قيامها بعدة وظائف ، وترتب على ذلك تماسكها ومسئولية أفرادها جميعا عن كل فرد فيها ، وما أن أخذ المجتمع منها هذه الوظائف نتيجة للتغير الناجم عن التصنيع وقامت المدرسة بالتعليم والمسجد أو الكنيسة بالمهام الدينية والدعوة الروحية والمصرف والمصنع بشئون الاقتصاد ، حتى عجزت الأسرة عن أداء خدمات الرعاية الاجتماعية لأفرادها إذ لم تعد الملكية ملكية الأسرة الكبيرة ولم يعد العمل عاما يقوم به جميع أفراد الأسرة بصرف النظر عن السن والجنس والدور والمكانة والقدرة الذاتية وفنية العمل ، بل لقد ذهب الأستاذان برجس ولوك إلى أبعد من ذلك إذ أوضحا أن الأسرة قد تطورت من الأسرة الأبوية الكبيرة إلى الأسرة الأبوية المتوسطة إلى الأسرة الديموقراطية الحديثة إلى الزمالة والمشاركة وقد قصرا وظائف الأسرة على الناحية البيولوجية والتنشئة الاجتماعية والمشاركة والزمالة . وقد يتخذ البعض من مقارنة بين الأسرة فى المجتمع الحضرى الصناعى والمجتمع الريفى وسيلة لتقييم الأسرة فى المدينة فى ضوء الأسرة الريفية ، ويترتب على هذه المقارنة وصف الأسرة فى المجتمع الصناعى الحضرى بالتصدع أو التفكك أو عدم التماسك أو عدم الاستقرار . ولكنا نرى أن هذه المقارنة وإن كانت سليمة من ناحية صورة الفكر إلا أنها غير سليمة من حيث المضمون ، لأن البناء هو الذى يحتم الوظيفة فلا يمكن أن نطلب من الترمومتر أن يقيس الطول ولا من المتر أن يقيس الحرارة ، وتركيب الأسرة فى المجتمع الريفى يؤدى بحكم نوع نظام القرابة والملكية وحدة الطبقة[2]

---

(١) عبد المنعم شوقى ، تنمية المجتمع وتنظيمه ، الطبعة الثانية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، سنة ١٩٦١ ، ص ٢٥ .

(٢) Talcott Parsons, "The Social Structure of the Family" Ruth Nanda Anshen, Editor, The Family, Its Function & Destiny, New York, Harper & Brothers, pp. 241-243.

إلى قيامها بعدة وظائف ، كما يؤدى تركيب الأسرة فى المجتمع الحضرى إلى قيامها بوظائف تختلف من حيث النوع مع وظائف الأسرة الريفية وإن قامت الأسرتان على أساس واحد هو الأساس البيولوجى .

لقد ارتبطت عمليات التصنيع فى المجتمع الغربى بالفلسفة الرأسمالية الكاملة والتى تعنى بالفرد والفردية مستندة فى ذلك إلى أن تحقيق الصالح العام يعتمد على على عدم تدخل الدولة أو الحكومة ، فالفرد حر فى القيام بما يريد من العمليات الاقتصادية دون تدخل من الحكومة أو من منظمات أصحاب العمل أو منظمات العمال . ولهذا كان لابد أن تظهر فى مجتمع هذا شأنه موجة من الأفكار والاتجاهات يتخذها الأثرياء وذوو السلطان تدور حول تقديم الرعايا الاجتماعية فى صورها المختلفة ، ونشأت الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية التى يسهم فى نشاطها أصحاب رؤوس الأموال والمصانع بتبرعاتهم أى بالتصدق والإحسان .

ثم وجدت هذه الجمعيات والمؤسسات نفسها عاجزة عن تقديم المساعدات الفعالة الإيجابية دون الاعتماد على العلم ، فاتفق رجال الصناعة مع العلماء الذين قاموا بالدراسات الاجتماعية المختلفة للتعرف على مشكلات الفرد والأسرة والجماعة وتنظيم المجتمع والتخطيط ، وكلها تعتمد على أصول من فهم دعائم الاجتماع ونظمه وتنظيماته . وواضح أن هذه الفلسفة تعتمد على التسليم بأن النظام الرأسمالى هو أحسن ما فى الإمكان ، وفلسفة كهذه تختلف اختلافاً جوهرياً عن الفلسفة الاشتراكية التى تؤمن بأن الحرية الفردية قد تؤذى حريات الأغلبية وتصطدم بالصالح العام ، ولهذا اهتمت هذه الفلسفة بالمجموع أولا مع إعطاء الفرد أكبر حرية فى حدود الصالح العام ، والحكومة فى الاشتراكية هى الجهة الممثلة للشعب فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية وينعدم فيها سلطان طبقة على طبقة ولا يسود فيها تحكم رأس المال فى الحكم ، بل لقد تبلورت المفاهيم الأساسية للرعاية الاجتماعية[1] فى المجتمع الغربى من الفلسفة الرأسمالية واستمدت مبادىء هذه

(١) الخدمة الاجتماعية كما سبق أن ذكرنا — فن يستهدف مساعدة من هم فى حاجة الى المساعدة لقصور امكانياتهم فلا يستطيعون وحدهم معالجة مشكلاتهم دون عون خارجى .

الرعاية وأساليبها وجذورها من هذه الفلسفة ورغم « أن الديمقراطية الإنجليزية قد وسعت مظاهر تدخل الدولة الاشتراكى فى شئون الاقتصاد والتعليم والصحة والخدمة العامة على وجه العموم »[1] . فإن الرأسمالية كنظام إقتصادى تعتمد على الحرية الاقتصادية ، واتخذت الرعاية الاجتماعية — وهى نابعة كما ذكرنا من هذه الفلسفة التى سبق أن أشرنا إليها — مبدأ قبول الناس كما هم لا كما ينبغى أن يكونوا فالفرد حر فى قبول العمل مثلا بينما العمل فى الاشتراكية حق كالحاجة ، وواجب ينبغى أن يسهم به الفرد فى إحدى أنشطة الاقتصاد فى الدولة ، وتؤمن الرعاية الاجتماعية الرأسمالية باختلاف الأفراد بعضهم عن بعض لتباين الاستعدادات والقدرات وتناست هذه الفلسفة أن البيئة والثقافة والطبقة والوسط الاجتماعى والأسرة كلها عوامل تسهم بقدر ملحوظ فى تباين الأفراد واختلافاتهم ، وهكذا استجابت هذه الرعاية لفلسفة اقتصادية اهتمت بالفردية وفرقت بين الفرد والآخر إلى غير ذلك من المظاهر الخاصة بالفرد كوحدة قائمة بذاتها ، كما استجابت البرامج الاجتماعية لفلسفة المجتمع الرأسمالى فيما يتصل بدور الحكومة ، وقد ظهر ذلك بوضوح إذ أصبح النشاط الأهلى أساس النشاط الاجتماعى . ولا تستطيع طبيعة النشاط الأهلى فى الرعاية الاجتماعية أن تمتد إلى المسائل الأساسية الجذرية لهذه الرعاية ، فهى قد تعنى بالمشكلات على مستوى الفرد والجماعة الصغيرة ، وعنايتها فى هذه النواحى قاصرة على الفئة التى عجزت عن التكيف النفسى أو الاجتماعى أو الاقتصادى لسبب أو لآخر ، بينما تمتد عناية الرعاية الاجتماعية فى الاشتراكية تمتد حتى تشمل المجتمع ككل ، ولهذا لم تتضمن الرعاية الاجتماعية فى الحكومات الغربية الرأسمالية التأمينات الاجتماعية إلا حديثاً ونتيجة الزحف الاشتراكى ولضغط نقابات العمال ، كما لم تتضمن توفير الحاجات الأساسية من غذاء وكساء ومسكن ورعاية طبية وتعليم . وهى مجال الرفاهية الاجتماعية الاشتراكية لا الرعاية الاجتماعية الرأسمالية . إن الرفاهية الاجتماعية هدف لها نطاقها وأساليبها ، بالإضافة إلى أنها تنظيم متحرك يتطور ويتشكل ليقابل الحاجات الجديدة وليستجيب مع الفلسفة الاشتراكية .

---

(١) محمد عبد المعز نصر ، فى الدولة والمجتمع ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٠ .

والمجتمع الذى يعتمد على الزراعة والذى لا يزال فى بدء حركة التصنيع ويتسم بانخفاض معدل الدخل الفردى وارتفاع نسبة الأمية ومعدل الوفيات والمواليد لا يمكن أن يعتمد على برامج الرعاية الاجتماعية الرأسمالية وخاصة لو أخذنا بمفهومها الذى يعنى تكييف الفرد ومواءمته للبيئة التى يعيش فيها وتكييف المجتمع المحلى مع المجتمع الأكبر . ولهذا فإن مجتمعاً كمجتمع الجمهورية العربية كان فى حاجة إلى فلسفة اشتراكية إصلاحية متكاملة للمجتمع ، تربط جميع البرامج والمناهج الاقتصادية والاجتماعية ، وترتبط بالإنتاج فى شتى صوره . والاهتمام ببرامج التصنيع ، وإعداد الجو الملائم له . والتخلف الذى سبق أن أوضحنا سماته بالنسبة إلى المجتمع المصرى معناه نقص فى ميادين الرفاهية الاجتماعية التى تقوم أساساً على دخل يليق بكرامة الإنسان الفرد ، والتى تتضمن الغذاء الصحى والمسكن الملائم والكساء الذى يقى الحر والبرد ودرجة من التعليم تضمن له الفهم والوعى والمشاركة الإيجابية كما تتضمن الرعاية الصحية والتأمين الاجتماعى ليضمن للفرد العيش الكريم فى حالات العجز والمرض . أما الخدمة الاجتماعية فهى أسلوب قد يفيد دولة متقدمة ، أما بالنسبة لدولة ناشئة لا زالت فى مراحل التصنيع الأولى فيجب أن تتجه إلى الرفاهية الاجتماعية . ولما كان إقتصادنا — بفضل ثورة ٢٣ يوليو — اقتصادا موجها يعتمد على أساليب البحث العلمى وعلى تخطيط يرسم خطوات التنفيذ فى مدى معين من السنين ، فكذلك يجب أن يكون اهتمامنا بالرفاهية الاجتماعية مخططاً . والتخطيط الصناعى يحقق زيادة الدخل ومضاعفته فى المدى الذى تحدده خطة التنمية ، إلا أن هذا التخطيط لم يدخل فى حسابه أن تتوزع مناطق التصنيع بحيث تشمل الجمهورية جميعاً ، ومتى توزعت الصناعة فإن ذلك سيؤدى بالتالى إلى تغيرات اجتماعية ، تشمل تركيب المجتمع ووظائفه ، وتغيرات تتصل بالحاجات الإنسانية .

وإذا كنا قد أوضحنا مفهوم الرفاهية الاجتماعية وأنشطتها فى كل من المجتمعين الريفى والحضرى فإنه يجدر بنا أن نشير فى إيجاز إلى الرفاهية الاجتماعية بالنسبة للعمال وهى الطبقة التى يقوم عليها صرح الصناعة . وقد يسأل سائل فيقول : لماذا لا نحاول أن نوضح مفهوم الرفاهية الاجتماعية فى

المجتمع الصناعى كما فعلنا فى المجتمعين الريفى والحضرى ؟ والإجابة هى أن المجتمع الصناعى مجتمع حضرى بالضرورة ، فالصناعة هى العامل الذى يؤدى إلى تغير وظائف النظم الاجتماعية بشكل يتباين مع وظائف هذه النظم فى المجتمع الريفى ، هذا فضلا عن أن بعض علماء الاجتماع المعنيين بعلم الاجتماع الصناعى يتكلم عن المجتمع الحضرى الصناعى ولا يجد ضرورة أن يقف عند المجتمع الصناعى كمقابل للمجتمع الريفى ، ولهذا نرى شنيدر فى كتابه علم الاجتماع الصناعى يضيف كلمة — صناعى — دائما عندما يتكلم عن المجتمع الحضرى . ولهذا آثرنا ألا نتكلم على الرفاهية الاجتماعية فى المجتمع الصناعى لأن هذا المجتمع هو المجتمع الحضرى نفسه وفضلنا أن نتكلم عن الرفاهية الاجتماعية بالنسبة لطبقة العمال .

ويمكن تعريف الرفاهية الاجتماعية العمالية بأنها مجموعة الوسائل العلمية والفنية التى تتخذ لرفع المستوى المادى والمعنوى للعمال ، أى رفع مستواهم الاجتماعى والصحى والثقافى وإيجاد التكيف اللازم بين العامل وبين نفسه ، وكذلك بينه وبين البيئة التى يعمل فيها والمجتمع الذى يتفاعل معه تكيفا يؤدى إلى أقصى ما يمكن من الكفاية لكل من العامل وصاحب العمل وللمجتمع الذى يعيش فيه.

ومفهوم الرفاهية الاجتماعية فى الصناعة يختلف باختلاف الدول ، وباختلاف العادات الاجتماعية ودرجة التصنيع ونصيب عمالها من التعليم والثقافة ، ففى فرنسا مثلا يطلقون مفهوم «Service Sociale d'Entreprise» على الخدمات الخاصة بالمشروعات الصناعية ، أما فى انجلترا فيطلقون مفهوم "Employee Benefits & Service" على هذه الخدمات نفسها وذلك لإبعاد أى صلة بينها وبين أى مفهوم آخر . باعتبار أن الرفاهية أو الخدمات التى تؤدى إلى العمال إنما تؤدى بدافع العدالة لا بدافع العطف . والواقع أن الاقتصار على ما يقدم للعمال داخل المصنع من خدمات . وهو ما يدل عليه المفهومان الفرنسى والانجليزى كذلك ، إنما يعزل العمال عن نواح عديدة ذات أهمية كبيرة فى حياة العمال أنفسهم أى الاهتمام بأجور العمال ونقاباتهم وساعات العمل ، وفترات الراحة والأجازات وموضوع تشغيل الأحداث والنساء فى الصناعة ، وما يتصل بالتأمين الاجتماعى للعمال فى

حالات العجز والمرض والشيخوخة والتقاعد ، نقول إن الاهتمام بهذه النواحى ، وإن كان له أهمية كبيرة فى حياة العمال إلا أن هناك جانباً آخر فى مجال التغذية والرعاية الصحية والتثقيف والإسكان والتعاون وبحث الحالات وصحة العامل وما إلى ذلك مما لا يمكن فصله بتاتا عن حياة العامل . ولذلك نفضل أن نطلق مصطلح الرفاهية الاجتماعية فى ميدان الصناعة على الخدمات التى تقدم للعمال داخل المصنع وخارجه ، وبذلك تشتمل على جميع النواحى السابق الإشارة إليها ، ونفضل ذلك لأنه يتعذر فى الحقيقة وضع حد فاصل بين أحوال العمل بوجه عام والخدمات الاجتماعية خارج المصنع ، إذ أن هذه الخدمات الأخيرة متصلة فى الواقع اتصالا وثيقا بأحوال العمل ، ومعنى ذلك أن الرفاهية الاجتماعية فى الصناعة تمتد إلى كل ما من شأنه تحسين ظروف العمال ومعيشتهم وإلى كل ما يؤثر فى نفسيتهم ومعنوياتهم سواء ما قامت به الدولة بالطريق المباشر كسائر الخدمات العامة التى تقوم بها أم فرضته على أصحاب الأعمال عن طريق التشريعات العمالية أم قام به أصحاب الأعمال أو قامت بهذه الخدمات نقابات العمال شعوراً منها بالتزاماتها الاجتماعية .

ولعل أهم حدث فى القرن الثامن عشر هو الانقلاب الصناعى الذى نجم عنه أن تعرض العمال لشتى أنواع الاستغلال ، كما أدى استخدام الآلة إلى نتائج اجتماعية تتصل بساعات العمل وعدم توافر الأبنية المناسبة للمصانع وضآلة الأجر بالإضافة إلى توجه رؤوس الأموال نحو الاستفادة من مزايا المشروع الكبير ، فتركزت المصانع بالقرب من مصادر الوقود والخامات . ونمت المدن الصناعية وازداد عدد سكانها مما أدى إلى ظهـــور مشكلات عديدة كمشكلة الإسكان والمواصلات والتموين .

وقد تطورت الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية تطوراً سريعاً، فبعد أن كانت المصانع يدوية يقوم بها أفراد الأسرة أصبحت مصانع آلية كبيرة لا تقوم على المشروعات الفردية ، وترتب على ذلك أن انعدمت علاقة العامل بصاحب العمل وتكدس العمال فى المراكز الصناعية مما أدى إلى انفصال الممول عن المنظم عن العامل عن المستهلك ، وباتساع نطاق الإنتاج وفقاً لتزايد الحاجات وتطور نظام

العمل وتنظيم المشروعات انتشر تقسيم العمل ، وتعذر على صاحب العمل إدارته بمفرده إدارة كاملة ، وبدأ يعهد بسلطته إلى المديرين الذين حاولوا تحقيق أكبر ربح عن طريق ضغط التكاليف وتخفيض الأجور ، وعنوا بنفقات الإنتاج ، فظهرت نقابات العمال وازدادت قوتها ، مما اضطر رجال الأعمال إلى بحث تنظيم علاقتهم بهم . وعندما أصبحت الصناعة ميدانا للخدمة العامة ، لا تهدف إلى تحقيق الربح المادى وحده عولجت مشكلاتها من ناحية ما للحياة البشرية وكيانها من قدر ، ولم يعد الإهتمام خاصا بالآلات والإنتاج بل بالثروة الآدمية كذلك . فتطورت شروط العمل بحيث تضمنت أجر العامل وصحته ووجوب إحاطته بمختلف أنواع الرعاية داخل المصانع ، وبعد أن كان مذهب الحرية الاقتصادية يسيطر على العالم وهو مذهب لا يؤمن بمبادئ الإقتصاد الموجه ، تدخلت الدولة لتوجيه اقتصادياتها وفقا لخير الشعب ومقتضيات الصالح العام وذلك على يد الاشتراكيين من أنصار مذهب تدخل الدولة فى المسائل الاقتصادية .

على أن الدول لم تستجب جميعها لدواعى الضرورات الاجتماعية فى وقت واحد وبدرجة واحدة . إلا أننا وجدنا بعد الحرب العالمية الثانية الدعوة إلى السلم السياسى والسلم الاقتصادى معا ، وتنص المادة الأولى من ميثاق هيئة الأمم على الجمع بين الأهداف السياسية وهى تحقيق السلم والأمن الدوليين ، وبين الأهداف الاقتصادية وهى تحقيق التعاون وإيجاد التضامن لحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية . كما يضمن الميثاق إنشاء المجلس الاقتصادى والاجتماعى للعمل على تحقيق الأهداف الاقتصادية والإجتماعية للأمم المتحدة ، فضلا عن عدة تنظيمات متفرعة عن الأمم المتحدة تعنى بعلاج المشكلات الاقتصادية مثل هيئات التغذية والزراعة ومكتب العمل الدولى . ونلخص فيما يلى بعض مبادئ اتفاقيات[1] العمل الدولية المتصلة بالرفاهية الاجتماعية :

— يجب ألا تتجاوز ساعات العمل فى الصناعة ٨ ساعات فى اليوم و ٤٨ ساعة فى الأسبوع .

---

(١) سعد عبد السلام حبيب ، الخدمة الاجتماعية العمالية ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٨٢١ — ٨٣٥ .

— يجب إنشاء مكاتب عامة مجانية للتخديم .

— تحريم تشغيل النساء فى الصناعة أو التجارة خلال الستة أسابيع السابقة على الولادة والستة أسابيع التالية لها ، مع إعطائهن تعويضا مناسبا أثناء هذه الفترة .

— يجب عدم السماح للنساء بالعمل ليلا فى الصناعة .

— يجب عدم تشغيل الأطفال الذين يقل عمرهم عن ١٤ سنة فى الصناعة .
— تحريم تشغيل كل من يقل عمره عن ١٨ عاما ليلا فى الصناعة .

— يجب عدم تشغيل الأطفال الذين يقل عمرهم عن ١٤ سنة فى الزراعة إذا أثر ذلك فى مواظبتهم على الدراسة .

— يجب أن يتمتع جميع العمال فى الصناعة بيوم للراحة كل أسبوع .
— يجب إعطاء العمال تعويضا فى حالة إصابات العمل .
— يجب إعطاء العمال تعويضا فى حالة الأمراض الناشئة عن المهنة .
— يجب تحريم العمل الليلى فى المخابز .

— يجب إنشاء نظام للتأمين الإجبارى ضد المرض فى الصناعة والتجارة . وخدمة المنازل .

— يجب إنشاء نظام للتأمين الإجبارى ضد المرض للعمال الزراعين .
— يجب إنشاء نظام لتحديد حد أدنى للأجور فى الصناعات ذات الأجور المنخفضة .

— يجب عدم تشغيل الأطفال الذين تقل سنهم عن ١٤ سنة فى المهن غير الصناعية . (عدلت إلى ١٥ سنة) .

— يجب إنشاء نظام للتأمين الإجبارى ضد الشيخوخة والعجز للأجراء فى المشروعات الصناعية والتجارية والمهن الحرة وللعمال فى الصناعة المنزلية ولخدم المنازل .

— يجب إنشاء نظام للتأمين الإجبارى ضد الشيخوخة للأجراء فى المشروعات الزراعية .

— إنشاء نظام للتأمين الإجبارى ضد العجز فى المشروعات الزراعية .

— يجب إنشاء نظام للتأمين ضد البطالة .

— وافق المؤتمر على مبدأ أسبوع العمل ذى الأربعين ساعة مع النص على وجوب المحافظة على مستوى معيشة العمال .

— الحق فى أجازة سنوية بأجر لمدة لاتقل عن ستة أيام عمل بعد مضى سنة فى خدمة مستمرة لكل شخص ينطبق عليه نص هذه الاتفاقية .

— وجوب الكشف الطبي على الأحداث للتحقق من صلاحيتهم للعمل بالصناعة.

وهناك ما يمكن أن نطلق عليه قواعد الحد الأدنى للرفاهية الاجتماعية بين العمال . ونوجزها فيما يلى :

— يجب ألا يعتبر العمل سلعة أو مادة يتجر بها .

— الاعتراف لكل من العمال وأرباب الأعمال بحق تكوين الجمعيات والنقابات للأغراض الموافقة للقانون .

— دفع أجر للعامل يكفل له المستوى اللائق من المعيشة .

— اتباع مبدأ العمل ٨ ساعات فى اليوم أو ٤٨ ساعة فى الأسبوع فى كل دولة لم تقرره بعد .

— اتباع نظام الراحة الأسبوعية لمدة ٢٤ ساعة على الأقل .

— الغاء عمل الأطفال ووضع قيود تشغيل الأحداث من الجنسين حتى يتمكنوا من إتمام ثقافتهم ولضمان نموهم الطبيعى .

— اتباع مبدأ المساواة فى الأجر دون تمييز فى الجنس عند المساواة فى العمل .

— يجب أن تكون القواعد المتبعة فى كل دولة بخصوص ظروف العمل بحيث تمكن من معاملة العمال المقيمين فى الدولة معاملة اقتصادية عادلة .

— يجب أن تنظم كل دولة إدارة للتفتيش تشتمل على عدد من النساء لضمان القوانين واللوائح الخاصة بحماية العمال .

هذه هى المبادىء التى أطلق عليها « ميثاق العمل » وهذه أدنى الحلول الأساسية لإشاعة الرفاهية بين سائر العمال فى العالم . فللدول الأعضاء أن تتبع فضلا عن هذه المبادىء كل ما تراه من وسائل مؤدية لرفع مستوى العمال .

وتدور الرفاهية الاجتماعية العمالية إذن حول الاهتمام بالعنصر البشرى كعنصر أساسى من عناصر الإنتاج ، وتتضمن أجور العمال وتحديد ساعات العمل وفترات الراحة والأجازات وموضوع تشغيل الأحداث والنساء فى الصناعة والتأمين الاجتماعى فى حالات العجز والمرض والشيخوخة والتقاعد وصحة العامل وشغل أوقات الفراغ وثقافة العمال والمسكن .

والرفاهية الاجتماعية فى المنطقة الصناعية تختلف عنها فى المنطقة التى يغلب أن يكون العمل فيها متصلا بالزراعة . ففى المنطقة الصناعية ظلت مشكلة مستوى الأجور موضوع دراسة يعالجها علم الإقتصاد ، وظل فريق من العلماء لا يقبلون أى تدخل من جانب الحكومة أو النقابات لوضع مستوى محدد للأجور ، اعتمادا على قوانين العرض والطلب التى تحدد هذا المستوى ، ونادى فريق آخر من العلماء بضرورة تدخل الدولة لوضع حد أدنى لأجور العمال . وثمة فريق يرى أن يتلاقى الميدان الإقتصادى بالميدان الاجتماعى ويؤيد هذا الفريق وجهة نظره بأنه لو فرضنا أن الحكومة وضعت حد أدنى لأجور العمال أعلى مما يتطلبه قانون العرض والطلب وأعلى مما تمليه الحدية للعمال ، فإن الحال سينخفض عن أن يكون الطلب على العمال مرنا ، أى يسهل الاستغناء عنهم وإحلال الآلات محلهم فتكون النتيجة هى شيوع البطالة والتعطل ، وهذه الظاهرة نلمسها بوضوح فى الدولة التى تمر بالأدوار الأولى للتصنيع ، حيث يتطلب التصنيع إحلال الآلات محل العمال . لذلك يفرق الفريق الثالث بين عمل العامل والعامل نفسه ، فالعمل سلعة تباع وتشترى ويجب أن تخضع لقوانين العرض والطلب ، أما العامل فإنسان له حقوقه كمواطن قبل الدولة ، فعلى الحكومة أن تكمل النقص فى أجره إن وجد هذا النقص بالتوسع فى الخدمات العامة كالتعليم المجانى والخدمات الصحية والاجتماعية والتأمين ضد البطالة والمرض والشيخوخة ، وبالتخفيف من عبء الضرائب وتحديد إيجارات المساكن والحد

من حدة غلاء السلع الضرورية ، إذمن شأن هذا كله أن يزيد من الأجر الحقيقى للعامل ، فى حين يترك أجره لفعل القوانين الاقتصادية ، ومن جهة أخرى يجب ن تتدخل الحكومة لكى تسد النقص فى الميل للاستثمار من جانب الأفراد حتى تمتص بمشروعاتها العامة كل من لم يجد عملا من العمال ، وبهذا يمكن التوفيق فى نظر هذا الفريق بين الميدانين الاقتصادى والاجتماعى .

ويتضح من ذلك أن مشكلة تحديد الأجر كانت تدور حول أجر عمال الصناعة ولا نكاد نلمس معالجة أجر عمال الزراعة إلا حديثا وفى الدول التى تأخذ بالاشتراكية . وقد حددت الجمهورية العربية حداً أدنى لأجر العامل الزراعى . فى قانون الإصلاح الزراعى . ومنذ انتشار الصناعة يدور الحديث حول موضوع ساعات العمل وفترات الراحة والاجازات، ولكن تحديد ساعات العمل فى الزراعة أمر لم يتناوله الحديث ، لأن طبيعة العمل الزراعى نفسه هو الذى يحدد ساعات العمل وفتراته ، بل أن الأمر لم يقف عند حد تخفيض ساعات العمل فى الصناعة أو تقرير أيام للراحة فقد أخذ العلماء منذ زمن فى دراسة العوامل والأسباب التى تؤدى إلى إثارة مشكلة التعب فى الصناعة للعمل على تلافيها أو التخفيف من حدتها[1] ، هذا بالإضافة إلى الاهتمام باستثمار أوقات فراغ العامل لأن الكفاية الإنتاجية لا تتحقق إلا فى الظروف التى تكون فيها الرعاية الاجتماعية متوافرة للعامل وأسرته .

وثمة مسألة تتصل بظروف العمل وتختلف باختلاف عمال الصناعة والزراعة ، فالعمل فى الزراعة عمل فى الحقل ، بينما يتم العمل الصناعى فى المصانع ، ولهذا نجد المعنيين برفاهية العمال يشيرون إلى وجوب تحسين ظروف العمل بحيث يكون مكان العمل وجوه صحيا من حيث النظافة وتوافر التهوية الكافية والإضاءة المناسبة وتجنب التكدس والازدحام ومنع تراكم المياه والفضلات وتنقية جو العمل مما قد يتجمع فيه من الغبار أو الزغب أو الروائح غير المناسبة وحصر الضوضاء فى أدنى حد ممكن .

---

(١) سعد عبد السلام حبيب ، المرجع السابق ، فصل الأجور ، ص ٨٦ — ١٦٤ .

البَابُ الرّابعُ

طبيعة الباثولوجيا الاجتماعية

تتصف المجتمعات بظاهرة الحركة ، وهى الظاهرة التى تميز المجتمع الحى عن المجتمع المنقرض والذى أصبح فى سجل التاريخ ، ولا تختلف المجتمعات جميعا فى اتصافها بهذه الظاهرة ، فإن المجتمعات التى يطلق عليها المجتمعات المتخلفة تشارك المجتمعات المتقدمة فى هذه الصفة ، وإن كان الخلاف بينهما فى الدرجة فقط ، كما أن المجتمعات المتقدمة تتحرك أى تتغير بسرعة أكبر من المجتمعات المتخلفة، وفى الجماعة البدائية المحلية أو فى القرية الصغيرة يبدو أن تقبل الأفكار أو الآراء الجديدة من الأمور النادرة الحدوث وعلى العكس من ذلك نجد المجتمع الحديث يقبل هذه الآراء الجديدة بل يعتبرها من المسلمات التى لاتجب مناهضتها أو الشك فى الأخذ بها .

وقد اتضح ذلك فى القرون الأربعة الأخيرة إذ رأينا أن مجتمعا كالمجتمع الأمريكى يأخذ بكل فكرة جديدة وينقلها إلى حيز التنفيذ الفعلى . فإن نجحت وأدت إلى نتائج تخدم الفرد والمجموع وتتفق والصالح العام إستقرت بين الأفراد والجماعات ، وأصبحت أمراً واقعا لا يناهض ؛ حتى تقوم حقيقة أخرى تثبت بالمنطق والعمل خطأ الفكرة القديمة فتترك وتصبح فى سجل التاريخ . وهكذا فى جميع المظاهر سواء مااتصل بالنواحى الاجتماعية أو الاقتصاديةأو السياسية .

وليس هذا هو الشأن فى المجتمعات القديمة ، فإن قدم العادات ورسوخ التقاليد لا يسمحان بسهولة بتقبل التغير السريع ، فإن الظروف الأخلاقية من ناحية وطرق تأدية الأعمال ووسائل السلوك فى الأنظمة الصناعية والتجارية والزراعية من ناحية أخرى تجد نفسها فى حالة قلق مستمر إزاء التقدم الصناعى والعلمى والتجارى فضلا عن التقدم المحسوس فى طرق المواصلات والاتصال . وليست حالة القلق هذه إلا نتيجة لتغير النظرة إلى الكون وإلى الزراعة من حيث أنها كانت الوسيلة الوحيدة التى تعتمد عليها البشرية كأساس لحياتها المادية . وقد أدت هذه التغيرات المختلفة إلى إعادة النظر فى تعريف الرعاية وإلى تفسير جديد للأخلاق كما أدت إلى ظهور مشاكل اجتماعية من نوع آخر مما إحتاج الأمر نحوها إلى التفكير فى طرق التخطيط الاجتماعى كوسائل لإعادة التناسق والنظام .

وقد حاول كثير من علماء الاجتماع والمصلحين والمشتغلين بميادين الرعاية الاجتماعية وخدماتها المتعددة ، التعرض للمشاكل الاجتماعية بوجهات نظر قد تتعدد بتعدد هؤلاء العلماء الذين لهم مدارس خاصة تحاول كل منها تعريف المشكلة وتوضيحها وتفسيرها وربطها بغيرها من المشاكل وإعداد الدراسات الاحصائية لها ، وعلى ضوء هذه الجهود المتواصلة تضع المدرسة خطة العمل ووسائل التنفيذ.

ولكن رجل الشارع يقف إزاء هذه المدارس موقف من لايكترث بهذا كله ، فهو لاتعنيه هذه الدراسات قدر مايعنيه إيجاد وسيلة لعلاج المشكلة القائمة علاجا يستشعره ويحس به ويؤدى فى النهاية إلى إزالة هذه المشكلة . وفى الحقيقة قد تبرر موقف رجل الشارع إزاء عدم اكتراثه ببحوث هذه المدارس المختلفة — ولكننا لانستطيع ونحن بصدد تفسير طبيعة المشاكل الاجتماعية أن نغفل هذه المدارس لأن الدراسة وحدها ومناقشة الآراء وتفسير وجهات النظر المختلفة هى الوسيلة الوحيدة للتعرف على العلاج الناجع .

ان المدرسة « البيولوجية » ترد المشاكل الاجتماعية إلى أسباب الوراثة فقط ، فهى مدرسة ترى أن ضحايا هذه المشاكل هم الذين يتصفون بنقص وراثى . وليس من علاج لهؤلاء فى نظر هـذه المدرسة إلا تعقيم هؤلاء الأفراد تعقيما يخلص المجتمع من ذريتهم ، بينما ترى المدرسة الجغرافية أن سبب المشاكل الاجتماعية هو المناخ الذى يؤدى إلى أساس المشاكل كلها وهو الفقر .

ومن الواضح أن تفسيرات مثل هـذه المدارس ليست دقيقة الدقة العلمية المنشودة ، فقد ثبت إرجاع جميع المشاكل الاجتماعية إلى سبب واحد أو ظاهرة واحدة ليس من الدقة العلمية فى شىء ، فالمجتمع ظواهر مختلفة متصل بعضها ببعض ومؤثرة فى بعضها ويجب أن يعمل لكل هـذه العوامل حسابها عند الحكم على دلالاتها النسبية ولكن من الخطأ كذلك اعتبار هـذه العوامل جميعا متساوية فى إحداث المشكلة الاجتماعية ، فلا بد أن يكون لأحد العوامل نسبة أكبر من العوامل الأخرى فى المشكلة ، وإن كان للعوامل الأخرى أثرها أيضاً ، ولهذا تحاول المدارس المختلفة تصنيف الأسباب المؤدية للمشاكل الاجتماعية تصنيفا يبنى على أهمية السبب وعلاقته المباشرة بالمشكلة ، ولكن هذه التصانيف المختلفة باختلاف

المدارس تتغير كذلك فى المدرسة الواحدة بتغير ظروف البيئة وزمن دراسة الظاهرة ولهذا نستطيع أن نقول : إن النسبية فى تفسير المشاكل الاجتماعية تكاد تكون طابعا مميزا للمدارس المختلفة ، وإن كانت قد حاولت فى العشرين سنة الأخيرة أن تكون دراساتها موضوعية وعلمية لا ذاتية فلسفية . على أننا نستطيع القول : أن معظم علماء الاجتماع والناهضين بمختلف العلوم الإجتماعية والعلوم المتصلة بها يتفقون فى أن منشأ المشاكل الاجتماعية هو التغير الثقافى أو الاجتماعى وحقيقة الأمر أن المشكلة تبدو كذلك لفشل ثقافة فى إيجاد الحلول لها بحيث تتكيف وهذه الثقافة المعينة .

ويوضح التسلسل التاريخى التالى الأسباب المختلفة التى رأتها المدارس المتعددة للمشاكل الاجتماعية : المرضية الاجتماعية ، سوء التنظيم الاجتماعى ، التاريخ الطبيعى للمشكلة الاجتماعية ، الثغرة الثقافية ، نزاع العادات والتقاليد .

حاولت إحدى مدارس علم الاجتماع تشبيه المجتمع بالجسم الإنسانى فكما أن مرض عضو من أعضاء الجسم يؤثر فى الجسم كله كذلك عدم إنسجام ظاهرة واحدة من ظواهر المجتمع يؤدى إلى ما نسميه بالمرض الاجتماعى . ولكن هذه الفكرة تدعونا إلى أن ننظر إلى المجتمع كما نظر إليه « هربرت سبنسر » من حيث أنه محتاج إلى حس مركزى يؤثر فى جميع الظواهر كما يؤثر المخ فى أعضاء الجسد . وعلى العموم فإنه يمكن اعتبار الرأى العام هو الحس المركزى للجماعة . ولكن تقدم العلوم الاجتماعية أدى إلى رفض هذه الفكرة والاتجاه إلى رأى آخر هو سوء التنظيم الاجتماعى .

ويمكن أن نفسر هذا الرأى بما قد يكون عليه المجتمع من طبقات تنفصل إحداها عن الأخرى انفصالا يؤدى إلى أن يكون لكل طبقة قيمها وعاداتها وأخلاقها والتى تختلف كل الاختلاف مع قيم وعادات وأخلاق طبقة أخرى ، ولاشك أن اختلاف القيم يؤدى إلى اعتبار القيمة الواحدة فضيلة ورذيلة فى نفس الوقت .

ومن شأن المجتمع الذى لا تتحد قيمته أن تسود فيه المشاكل الاجتماعية

لتضارب النزعات وتباين الميول واختلاف القيم . ومجتمع هـذا شأنه لا يمكن اصلاح فساده إلا بإعادة تنظيمه بشكل أو بآخر .

ولكن عندما شعر العالمان « فوار » و « وميرز » بأن فكرة سوء التنظيم الاجتماعى لا تؤدى إلى تفسير صحيح لجوهر المشكلة الاجتماعية وضعا إطارا عاما يمكن على ضوئه تفسير هذا الجوهر . وهـذا الإطار هو الفهم للتاريخ الطبيعى للمشكلة ، فإن كل مشكلة — فى نظرهما — تمر فى عدة مراحل :

الأولى هى الانتباه ، أى انتباه أفراد المجتمع وشعورهم بالمشكلة .

والثانية هى الجهود للتعرف على الصعوبات المحيطة بها والتى تؤدى إلى المرحلة الثالثة وهى الاقتراحات التى توضع للإصلاح .

وتتبع هذه المراحل الثلاث مرحلة رابعة هى محاولة التنظيم للأصلاح ، وبمجرد وضع برامج الإصلاح موضع التنفيذ فإنه يصحبها دائما مشاكل الإدارة . إدارة هذا الإصلاح . ومثـل هذا الإطار العـام يلقى ضوءا تحليليا على جهود المجتمع الزمنية فى مشاكل كالبناء والمساكن والحروب والتوتر الجنسى ولكنه مع ذلك يعجز عن إيجاد الصلة بين المشاكل الاجتماعية والعمليات الإجتماعية الرئيسية . ولهذا دعت مدرسة أخرى إلى فكرة : الثغرة الاجتماعية أو الثقافية على أنها السبب المباشر للمشاكل الاجتماعية ، ويعتبر تيلور الثقافة مجموعـــة من الطرق لتأدية الأعمال كما أنها موضوعات الصناعة البشرية التى تنتقل من جيل إلى جيل . وقد تغير فهم هذا الاصلاح « الثقافة » وأصبح مرادفاً لـكلمة « حضارة » أو عادات إجتماعيه أو التراث الاجتماعى ، وليس منصبا على المجتمع نفسه . وفى كتاب الطرق الشعبية للعالم الأمريكى « سمنر » يحلل الثقافة بحيث يجعلها تتضمن النظم الاجتماعية والعرف والعادات والتقاليد .

وتقسم فكرة الثقافة إلى قسمين رئيسيين : الثقافة المادية أو المحسوسة والثقافة اللامادية أى التى تشمل الأفـكار والآراء أو النواحى المعنوية بصفة عامة .

ولقد أدى التغير فى الثقافة وفى المجتمع نفسه إلى الانتباه إلى أثر كل من هاتين

الثقافتين فى الأخرى وإلى ما قد ينجم عن تخلف إحداهما عن الأخرى من مشاكل اجتماعية .

ومن المفيد أن نشير إلى زعيم هذه الفكرة وهو « و . ف . أجبرن » فى كتابة التغير الاجتماعى ، والذى يدور محوره على أن التغير فى الثقافة المادية يسبق دائما التغير الذى يحدث فى الثقافة اللامادية « الأفكار والآراء » وأن هذا هو ما يؤدى إلى ما يسميه بالثغرة الثقافية ، وهى الثغرة التى ينجم عنها ما نراه فى المجتمع من عدم تكيف أو قلق أو مشاكل اجتماعية ، ولن تقف حدة هذه المشاكل إلا إذا سارت الثقافة اللامادية جنبا إلى جنب مع الثقافة المادية بحيث لا تبدو بينهما هذه الفجوة أو الثغرة ، ولكنه رغم الوجاهة الظاهرة فى هذه الفكرة ، فقد ظهر أن تطبيقها متعذر من الناحية العملية ولقد أثيرت الأسئلة الآتية اعتراضا على الفكرة من أساسها :

هل تتغير الثقافة المادية دائما قبل تغيير الثقافة المعنوية ؟

إلى أى ثقافة من الثقافتين المادية واللامادية يمكن أن نرد العلم نفسه ؟

أن كثيراً من الإختراعات الميكانيكية مثلا مادية ومحسوسة النتائج ومع ذلك أليست الأفكار التى تسبق عملية الاختراع لا مادية صرفة ؟

ولا تسمح طبيعة هذا الكتاب بالإفاضة فى إجابة هذه الأسئلة ، وإنما الذى يفيدنا هنا هو أن نوضح أن التخلف الاجتماعى أو الثقافى يحتاج إلى إعادة بناء المجتمع بحيث يمكن تضييق المسافة بين ما هو ثقافى يتصل بعادات الشعب وتقاليده وقيمه وما هو مادى يتصل باستخدام الأساليب الفنية فى الصناعة والزراعة . ويتطلب إعادة بناء المجتمع إلى وضع سياسة اجتماعية تحدد عناصرها فى الأيديولوجية والأهداف البعيدة والمجالات التى يقتضى الأمر التعامل معها لتحقيق هذه الاهداف فى ضوء الأيديولوجية وأخيراً الاتجاهات التى تحدد نوع البرامج وأسلوب أدائها للعمل فى هذه المجالات(١) .

---

(١) يحيى حسن درويش وامام سليم وعبد المنعم شوقى وعلى فؤاد السياسة الاجتماعية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٢ ، ص ٢ ١ .

ويطلق علماء الاجتماع — كما سبق أن ذكرنا — على ما يظهر من نتائج للفجوة الثقافية عبارة التفكك الاجتماعى أوالباثولوجيا الاجتماعية . وقبل أن نعرض للمجالات التى تظهر فيها هـــذه السمات نتكلم فى إيجاز عن المقصود بالباثولوجيا الاجتماعية .

تعرف الباثولوجيا الاجتماعية (علم الأمراض الاجتماعية) بأنها دراسة للتفكك الاجتماعى أو سوء التكيف ؛ ويدور نقاش طويل بين علماء الاجتماع والدارسين لفنون الخدمة الاجتماعية حول معنى سوء التكيف ومداه وأسبابه ونتائجه كما يدور هذا النقاش أيضا حول التعرف على علاج العوامل التى تحول دون التكيف الاجتماعى أو تخفف من وطأة عدم التكيف ومع ذلك فإنه يسود بينهم شبه اتفاق على العوامل المصاحبة لهذه الظاهرة وهى : الفقر والبطالة وكبر السن والصحة المعتلة وضعف العقل والجريمة والطلاق والبغاء والتوترات العائلية . وثمة تعريف آخر يرى أن الباثولوجيا الاجتماعية هى الحالة المرضية نفسها أو الحالة غير السوية . وفى الاستعمال الشائع أن كلمة الباثولوجى معناها المريض ، والباثولوجيا هى دراسة الشروط أو الظروف المريضة . وهذه المصطلحات شائعة فى المناقشات والمجالات الطبية بينما نلاحظ أن تطبيقها على الظروف الاجتماعية حديث نسبيا . وبناء على ذلك يمكن القول إن الباثولوجيا الاجتماعية عبارة عن دراسة للظروف المريضة فى أى مجتمع أو فى أى تجمع .

وقد وضع علماء الاجتماع بعض الحدود التى يمكن عن طريقها إدراك مثل هذه الظروف المريضة ، بحيث يمكن الاستدلال بها على الناحية الاجتماعية ، إذ أن ميدان دراسة الأمراض الفردية هو الطب والطب النفسى .

وقد اقترح الأستاذ مارشال جونز فى كتابه النظريات الاجتماعية الأساسية تعريفاً للباثولوجيا الاجتماعية وهو أن الظرف Condition يكون مريضا ، ومن ثم فهو مرضى إذا كان انتشاره فى المجتمع يؤدى إلى إنهياره إنهيارا تاماً . فمثلا هل الخمر موضوع دراسة للباثولوجيا الاجتماعية ؟ وطبقاً للتعريف الذى يقترحه جونز فإنها تعد كذلك إذا كان انتشارها بين أفراد المجتمع يحول دون قيامهم بوظائفهم .

ومن ثم يؤدى هذا الأمر إلى إنهيار هذا المجتمع . وهل يعتبر انخفاض معدل المواليد أو زيادته ظرفا باثولوجياً ؟ قد يكون وضع هذا السؤال بهذه الصيغة — كما يرى جونز — من المتعذر الإجابة عنه إذ تعتمد إجابته على الظروف التي يظهر فيها هذا الإنخفاض أو هذه الزيادة . وإذا استطعنا أن نتنبأ بالانهيار الممكن للمجتمع كنتيجة لهذا الانخفاض أو هذه الزيادة فإنه يصبح لدينا من المبررات ما نحكم بها على أن هذا الانخفاض أو هذه الزيادة أمر مرضى .

ويبدو أن هذا التعريف الذى يميز الباثولوجيا الاجتماعية تعريف بسيط ولكن هناك عدداً من المشكلات ترتبط تطبيقاتها العملية بموقف واقعى يجعلها شديدة التعقيد . فمثلا يتخلل التنبؤ بالنتائج المستقبلة لأى شرط (ظرف) حكماً قيمياً ، إذ تعوزنا الحقائق التى نستطيع بها أن ننأى فى كثير من الحالات عن الحكم القيمى . وثمة خلط خطير فى تعريف بعض مفهومات مثل الظروف الباثولوجية والظروف السوية والظروف غير السوية ، وغنى عن البيان أن الخلط فى المعانى يعرقل الفهم الدقيق للمواقف الواقعية .

كيف يمكن إذن أن تعرف[1] أن موقفا أو شرطا معينا إذا انتشر بنسبة كبيرة بين السكان سيؤدى إلى تحطيم هذا المجتمع أو أنهياره؟ وحقيقة الأمر — أننا لا نستطيع أن نعرف ذلك ، فتاريخ الرابطة الإنسانية يدل على أن التجمعات قد تشبثت غالبا بأنماط من السلوك تؤدى بذاتها إلى الانهيار . وإذا فحصنا مجرى نمو هذه التجمعات وتداعيها — بعد أن إنهارت ، فإننا نستطيع القول بدرجة معتدلة من اليقين أن ثمة أنماط بعينها قد ساهمت فى إنهيارها . ومع ذلك فإنه إبان فترة إزدهارها ، كانت هناك فئة صغيرة من الناس هى التى استطاعت أن تتعرف على هذه الأنماط وتقييمها تقييما سليما . فبالنسبة للمثال الذى ذكرناه الخاص بانخفاض معدل المواليد لا نستطيع أن نقول فى حدود ثقافتنا إن هناك اتفاقا تاما أو كبيراً على اعتباره مرضا . فبعض الدارسين يعتبرونه كذلك بينما يعتبره البعض الآخر أمراً

---

(١) نفس المرجع السابق .

مفيداً ومثمرا لأنه سيهيء توازنا بين التنظيم الاجتماعي وعدد السكان ، ويعتقد فريق ثالث بأن معدل المواليد لا يؤدى إلى فرق محسوس .

وينطبق هذا تماما على عملية التحضر (١) ، فقد سادت حركة تفاؤلية فى بداية هذا القرن عن النتائج المتوقعة لنمو المدينة ، وعلى العكس من ذلك نجد كثيرا من الدارسين — الآن — يعتبر التحضر عاملا هاما يسهم فى أمراضنا الجارية . وبالمثل كان العلم فى نهاية القرن الماضى هو أمل الانسانية بينما ينظر كثير آخرون من دارسى المجتمع إلى العلم الآن بعين ناقدة . وكذلك هل يؤدى النظام الصناعى إلى التكامل والبناء أم إلى عدم التكامل والانهيار .

وهكذا يتضح تباين الأحكام القيمية عن ظرف معين فهو مرضى فى اعتبار وسوى من وجهة نظر أخرى ، وإلى أن تتوافر لدينا حقائق أكثر وثابتة ، فستظل عمليات التنبؤ أمرا شديد الصعوبة . ومع ذلك فإن ثمة درجة من الاتفاق تحدد أنواعاً معينة من الأمراض . ولكنه من المهم أن نفهم العلاقة بين معنى الباثولوجى وبين عدم السواء لأن هناك ميلا إلى اعتبار أن السلوك الباثولوجى هو السلوك الذى يعتبر غير سوى؛ وإذا أخذنا بهذا الاتجاه فإننا نخرج من اعتبارنا بعض الظروف التى قد تكون باثولوجية . ويترتب على وجهة النظر هذه أن لا نأخذ إلا بجانب واحد من الحقيقة . وواقع الأمر أنه لدينا سبيلان لتقرير ماهية السلوك السوى ، أحدهما هو أن نحدد معياراً للسلوك فيكون الانحراف عن هذا المعيار غير سوى . ونحن نأخذ بهذا الإجراء مثلا إذا تمسكنا بأنساق أو نظم أخلاقية أو إذا قبلنا وسلمنا بالعادات والتقاليد القائمة الآن كمعايير للسلوك . وقد كان وضع هذه المعايير — الماضى — بطريقة تحكمية فترتب على ذلك إرجاع التفرقة بين السواء وعدم السواء إلى قياس الفعل بمدى مطابقته لهذه المعايير . أما فى عصرنا الحالى فليست هذه المعايير بفارضه ، أى أنها لا تأخذ صورة السلطة ، كما لا ينصب التأكيد الحالى على الوسائل الفلسفية أو الأخلاقية كمنبع للتخلق .

---

(١) نفس المرجع السابق .

وقد ترتب على ذلك أن أصبحت المعايير الآن فى حالة سيولة أى فى حالة تغير دائم . والسبيل الثانى لتقرير ما إذا كان نمط معين سويا أو غير سوى هو أن السوى ما يفعله معظم الناس فى ظروف معينة وعلى ذلك فمن أمثلة السواء تناول الطعام ثلاث مرات فى اليوم ، وليس من السواء أن يكون للشخص ذراع واحد لأن لمعظم الأفراد ذراعين . والذكاء السوى هو الذكاء الذى يمكن الفرد أن يفعل ما يفعله أفراد فى سنه ومكانته الاجتماعية . وقد أصبح الحكم بالسواء من الموضوعات التى تخضع للاحصاء ، أى معرفة عدد الأفراد الذين يسلكون بطريقة معينة ، فإن كانوا أغلبية اعتبر هذا السلوك سلوكا سويا . وطبيعى أنه عند الاستخدام الواقعى لهذا المفهوم يمكن اتخاذ طرق إحصائية أكثر دقة ، ومع ذلك فإن لمجموع عدد الأفراد الذين يتبعون نمطا معينا دلالة واضحة . وبذلك يصبح السواء هنا بمعنى (المتوسط) فى الإحصاء . ومن مزايا هذه الطريقة فى تحديد السواء بساطتها ودقتها النسبية ، ولكن على الرغم من ذلك فإنه يعوزها الثبات إذ أن السواء يتغير بتغير الزمن .

وقد ترتب على افتقار هذه الطريقة إلى الثبات فى معنى السواء وعدم السواء ، فضلا عن أننا نريد تجنب الخلط بين الأنماط غير السوية والأنماط الباثولوجية أن اقترح بعض العلماء ومنهم لمرت وجونز حذف استخدام كلمات السواء وعدم السواء ؛ إذ يرى هذا الفريق أن دلالتها أقل بالنسبة للباثولوجيا الاجتماعية ، فقد يكون ظرف معين باثولوجيا وغير سوى فى نفس الوقت كالحال فى إدمان المخدرات فهو غير سوى لأنه بعيد عن المتوسط unaverage وهو باثولوجى لأنه من الممكن أن يؤدى إلى انهيار الجماعة أو المجتمع إذ زادت نسبة انتشاره بين أفراده . وقد يكون الظرف باثولوجيا وسويا فى نفس الوقت كالحال فى الأسرة التى لا أولاد لها الأمر الذى سيصبح سويا ولكنه غير سوى فى رأى كثير من الناس . وقد يكون الأمر غير سوى ولكنه ليس باثولوجيا كالحال فيمن يطلقون لحاهم . والمصطلح ذو الدلالة هنا هو الباثولوجى لا عدم السواء . ويمكن بصفة عامة أن نعتبر إدمان المخدرات والخمر والبغاء وبعض الاضطرابات العاطفية من صور الباثولوجيا الاجتماعية . وينتج الظرف الباثولوجى من تفاعل بين الفرد وبين عوامل

البيئة . ففى حالة الجريمة مثلا يمكن أن نقول إن الباثولوجى عبارة عن نمط سلوكى نما بنفس الطريقة التى ينمو بها أى نمط سلوكى آخر . والنمط السلوكى هو اطراد ملحوظ للسلوك ينمو من رد فعل مستمر لمواقف معينة فى البيئة [١] .

والفرد الباثولوجى — طبقا لهذا التحليل — ليس فردا غامضا أو مخلوقا ينأى عن فهمنا ؛ فإن باثولوجية عبارة عن نمط سلوكى يشبه تماما أنماطا سلوكية أخرى من حيث الأصل والتكوين . وكالشأن فى الجريمة ، تختلف نتائج الأنماط الباثولوجية عن نتائج الأنماط غير الباثولوجية . وفى حالة الباثولوجيا نبعد عن الاتصال بالواقع . وفى حالة عدم وجود الباثولوجيا نستطيع أن نقترب من الواقع مباشرة ، وأن نستخدم هذا الواقع إستخداما بناء . ويجب أن يتضمن حديثنا عن الباثولوجيا : وظيفتها ، وبصفة عامة يمكن القول إن وظيفتها هى أن تحل مشكلات لاتستطيع الشخصية حلها بطريقة منطقية وواقعية ، فهو حل فقير يتضمن تضحيات كبيرة ، ومع ذلك فإنه يبدو للفرد أنه هو الحل الممكن ، ولأنه يؤدى وظيفة بطريقة كهذه ، فإن له معنى عميقا بالنسبة لهذا الفرد ، ولهذا يبذل الفرد جهودا قوية للاحتفاظ به حتى أثناء العلاج .

وهكذا تصبح الأنماط السلوكية الباثولوجية أجزاء ذات دلالة لتنظيم حياة الفرد .

ويعتبر العصاب والذهان والسيكوباتية أنواعا من الباثولوجيا ، كما أن تحطيم الذات فى رأى جونز يشمل إدمان الخمر وإدمان المخدرات والبغاء والانتحار . ويعتبر إدمان المخدرات — فى رأى جونز — أفعل أدوات عقاب الذات وتحطيمها بالنسبة للفرد المريض (الباثولوجى) . وقد لا يكون تحطيم الذات فى حالة إدمان الخمر وإدمان المخدرات تحطيما فيزيقيا ، إذ قد لا ينتهى أمر المدمن بالوفاة لأنه فى الحقيقة يتجنب الموت لأن الوفاة تنهى عملية العقاب — وهى العملية التى يرغبها المريض ؛ وبدلا من الموت الفيزيقى يبحث مدمنو الخمر والمخدرات عن الهروب

---

(١) نفس المرجع السابق .

من النفس ، فهم يبحثون عن تحطيم الشخصية لا تحطيم الجسد وحده . ويتطلب تحطيم الذات ، أو الشخصية قطع العلاقات الاجتماعية القائمة ، بالإضافة إلى فقدان الاتزان الانفعالى والوظائف العقلية . وإدمان المخدرات يحقق أغراضا خاصة . وهى إنقسام العلاقات الاجتماعية القائمة وفقدان المكانة الاجتماعية . ولذلك فالإدمان فاعلية ترجع إلى أنه سلوك لا توافق عليه الجماعة .

أما المشكلة الاجتماعية فهى موقف ملازم أو مصاحب يتطلب العلاج الاصلاحى ، وينشأ هذا الموقف من ظروف المجتمع أو من البيئة الاجتماعية كما تعرف كذلك بالموقف الذى يستلزم تطبيق القوى الاجتماعية Social Forces وهذه القوى هى الدوافع التى تؤدى إلى العمل الاجتماعى وهو الجهد المنظم الذى تبذله الجماعة ، ويستهدف تغيير النظم الاقتصادية والاجتماعية لا عن طريق فن الخدمة الاجتماعية Social Works أو الخدمات الاجتماعية Social Services وإنما عن طريق حركات الإصلاح السياسى والديمقراطية الصناعية والتشريع الاجتماعى والعدالة الاجتماعية والحرية الدينية والحرية المدنية أما وسائل العمل الاجتماعى فهى الدعاية والبحث العلمى كما يستلزم أيضا الوسائل الاجتماعية لتحسين الموقف . ويرجع ظهور بعض المشكلات الاجتماعية إلى البيئة الإنسانية كأحد العوامل المهيئة لهذا الظهور ، وهذه المشكلات لا توجد بطبيعة الحال فى مجتمع مثالى . ومن أمثلة هذه المشكلات سوء تكيف الأفراد أو الأسر أو الجماعات الصغيرة وبعض صور البطالة والمرض والعوز والرذيلة ، كما ترجع بعض المشكلات الاجتماعية إلى خلل يعترى أنسجة البناء الاجتماعى ، أو إلى سوء تنظيم يعترى وظائف هذا البناء وهو أمر فوق قدرة الفرد والجماعة الصغيرة ، ومن أمثلة هذه المشكلات الحرب والبطالة والفساد السياسى .[1] وتحتاج الإجراءات العلاجية لمشكلات النوع الاول إلى نمط من أنماط الإصلاح الاجتماعى بينما تتطلب إجراءات العلاج لمشكلات النوع الثانى الهندسة الاجتماعية أى تطبيق القوانين والمبادىء السسيولوجية لتحقيق الأهداف الاجتماعية . وتختلف الهندسة

---

(١) جونز ، المرجع السابق ذكره ، ص ٤١٦ .

الاجتماعية عن الإصلاح الاجتماعى ؛ فى أنها تهتم بصفة خاصة بالبناء الاجتماعى بدلا من الوظيفة الاجتماعية ، كما تعنى بخلق أشكال أو أنماط جديدة أكثر مما تعنى بأن تعمل على أن يكون السلوك مطابقا للمعايير القائمة . وتتجه النظرية السسيولوجية الحديثة إلى اعتبار نسبة كثيرة من مشكلات حياة الفرد ، من الموضوعات ذات الصلة الوثيقة بالعلوم الاجتماعية ، ومعنى ذلك أن هذه النظرية تعطى أهمية من الدرجة الأولى لأثر البيئة الإنسانية على نمو جميع الأفراد وخبراتهم ، بصرف النظر عن بنائهم الولادى أو استعدادهم أى أن هذا الاتجاه يعترف بتساند مكونات الحياة الاجتماعية الحديثة وتعقدها المتزايد .

المراجع

يلاحظ أن المؤلف ذكر المصادر العلمية التى استقى
منها المادة العلمية فى ذيل صفحات الكتاب .

دار الهنا للطباعة ت : ٧١٣٢٧